

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان غفر بن بحر الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

بتحقيق وترتيب
عبد الله محمد

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة تكتيد ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء

كتاب الحسين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بكير الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تقديم :

كل تسكلة موضوعة بين معقفين في هذا
الجزء خاصة ، .أروكة بدون تعليق
وتنبيهه ، فهي من النسخة الشنقيلية
الرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جُملة الدَّرَّةِ والنَملة ، ٢
كما شرطنا به آخرَ المصحف^(١) الثالث . ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(٢) .

(خصائص النملة)

قد علمنا أن ليس عندَ الدَّرَّةِ غَنَاءُ الفَرَسِ في الحرب ، والدَّفْعُ عن
الحريم . ولكننا إذا أردنا موضعَ العَجَبِ والتَّعْجِيبِ ، والتَّنْذِيرِ على
التدبير ، ذكرنا الحسبَ القليلَ ، والسَّخِيفَ المِهينَ ؛ فَأَرَيْنَاكَ مَا عِنْدَهُ مِنْ
الحِسِّ اللطيفِ والتَّقْدِيرِ الغريبِ ؛ وَمِنْ النَّظَرِ في العواقبِ ، ومشاكلِ
الإنسانِ ومزاحمتِهِ .

والإنسانُ هو الذي سُخِّرَ له هذا الفَلَكُ بما يشتمل عليه .
وقد علمنا أن الدَّرَّةَ تَدْخُرُ للشتاءِ في الصَّيفِ ، وتَتَقَدَّمُ في حالِ المَهْلَةِ ،
ولا تُضَيِّعُ أوقاتَ إمكانِ الحزمِ . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقُّدها وحُسْنِ خُبَرِها ،
والتَّنَظَّرِ في عواقبِ أمرها ، أنها تخافُ على الحبوبِ التي ادَّخَرَتْهَا للشتاءِ

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أن تعفنَ وتُسوسَ^(١) ، ويقبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرجُها إلى ظهرها ؛ لتبيسها وتعيدَ إليها جفوفها^(٢) ، وليضربها النَّسِيمُ وينبئَ عنها اللَّحْنَ والفساد .

ثمَّ ربَّما كان - بل يكون^(٣) أكثرَ مكانها نديًا . و [إن^(٤)] خافت أن تنبت نَقَرَتْ موضع القطمير^(٥) من وسط الحبة ، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهي تفلق الحبَّ كله أنصافًا . فأما إذا كان الحب من حبِّ الكزبرة^(٦) ، فلقته أرباعاً ؛ لأنَّ أنصافَ حبِّ الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب . فهي على هذا الوجه مجاوزةٌ لفطنة جميع الحيوان ، حتَّى ربَّما كانت في ذلك أحزمَ من كثيرٍ من الناس .

ولها مع لطافة شخصها وخِفَّة وزنها ، في الشمِّ والاسترواح^(٧) ما ليس لشيء .

وربَّما أكلَ الإنسانُ الجرادَ أو بعضَ ما يشبه الجرادَ ، فتنسقط^(٨) من يده الواحدة أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربِهِ ذرَّةً ولا له بالذِّرَّ عَهْدٌ

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسم ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ليسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شئ النواة ، وهو يريد هنا شئ كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما في س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأهازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،
فرومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذرا ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحياتها كالخط الأسود المدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملها .

فأول ذلك صدق الشَّمِّ لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مرارا غيرها . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن النمل حاولت نقل الجرادة فعجزت ،
هي التي أخبرت صويحياتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتين ؟ قلنا :
لطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل
في العين بينها وبين أخواتها ، فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئا أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

ذَرَّةٌ ، إِلَّا واقَفَتْهَا سَاعَةٌ وَخَبَّرَتْهَا بِشَيْءٍ . فَذَلَّ ذلكَ على أَنِّها في رجوعِها عن الجِرادَةِ ، إِنَّمَا كانت لأشْباهِها كالرَّائِدِ لا يَكْذِبُ أَهْلُهُ ^(١) .

ومن العَجَبِ أَنَّكَ تُنْكِرُ أَنِّها تُوْحى إلى أَخْتِها بِشَيْءٍ ، والقرآنُ قد نَطَقَ بما هو أَكْثَرُ من ذلكَ أضعافاً . وقال رُوْبَةُ بنُ العِجَّاجِ ^(٢) :

لو كُنْتُ عُلِّمْتُ كَلَامَ الْحِكْلِ ^(٣) عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا ^(٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ

يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ^(٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرد الكلاء والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) ويلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستاق أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز لعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الديميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تَسألُنِي مِنَ السَّيِّئِينَ كَمْ لِي فَقُلْتُ : لو عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحِسْلِ

وقد أتاها زمن الفِطْحَلِ والصَّخْرُ مبتلٌ كطين الوحل

أو كنت قد أوتيت علم الحِكْلِ كنتَ رهينَ هَرَمٍ أو قتل

والحِكْل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) في الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستاق صحيحة في ص ١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان وأثبتت عينه^(١) ، وأن علم منطقها عنده ، وأنها أمرت صويحباتها^(٢) بما هو أحزم وأسلم . ثم أخبر أنها تعرف الجنود من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . ونحالك أيها المنكر تبسمه بحالهن^(٣) ، أنك لم تعرف قبل ذلك [الوقت وبعده ، شيئاً من هذا الشكل من الكلام ، ولا تدبيراً في هذا المقدار . وأما ما فوق ذلك فليس لك أن تدعيه . ولكن ، ما تنكر من أمثاله وأشباهه وما دون ذلك ، والقرآن يدل على [أن لها بياناً ، وقولاً ، ومنطقاً يفصل بين المعاني التي هي بسيلها ؟ ! فلعلها مكلفة ، ومأمورة منبهة ، ومطبعة عاصية . فأول ذلك أن المسألة من^(٤) مسائل الجهالات ، وإن من دخلت عليه الشبهة من هذا المكان لناقص^(٥) الروية^(٦) ردى الفكرة^(٧) . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلة في الغريزة وفي الجنس والطبيعة . وهم ناس إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغ ونزول الفرض^(٧) حتى لو وردت ذرة لشربت من أعلاه .

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأنبت » .

(٢) س : « صواحيباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا في س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال الخلل . ط ، هـ : « تشبه بحالهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما في س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الروية » صوابه في س .

(٦) في الأصل : « ودق الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الفرض » محرف . وفي العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهب^(١) :

أَبَ هَذَا اللَّيْلِ فَامْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّسُومُ فَاثْنَعَا^(٢)
فِي قِبَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطُرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْفَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقِي بَيْعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال البين . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطي الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهب . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسب إلى الأصوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان. ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا ألم » ورواية ياقوت : « أب هذا ألم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، يفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويرى يفتحها ؛ ويفتح النون ، ويرى بكسرها . ويرى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعاً : أى الذى جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجنى . ورواية العباب والمقاييس والمختصص (١١ : ٩) : « خلفه » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراة مصر . وارتبعت : دخلت في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لمكورة الفوطه كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ التُّنُومَ وَالسَّلْعَا (١)

ذَلِكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأَرَاهُ مَا كَلَّا فَنَظَعَا (٢)

وقال أبو النجيم في مثل ذلك (٣) :

وَكَانَ نُسَابَ الرِّيَّاحِ سُنْبُلُهُ (٤) وَاخْضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرَمَلُهُ (٥)

وَأَبْيَضَ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدْوَلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرُّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلُهُ (٧)

وَأَصْفَرَ مِنْ تَلْعٍ فَلِيحٍ بِقَلُّهُ (٨) وَانْحَتَّ مِنْ حَرْشَاءٍ فَلَجَّ خَرْدَلُهُ (٩)

(١) التُّنُوم ، بفتح التاء وتشديد التوذا للمسومة : شجر له حمل صفار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسي اليوم بمباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقي حبالا خضرا لا ورق لها ، وقصبانه تلتف على الفصوص وتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صفار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القردة .
(٢) الظفح ، ككتفت : الظفح .

(٣) انظر بعض أشعار هذا الرجز في جهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالسكسر : شجر البقي . والحرملة ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) أبيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لمسايق من الماء فيهما . وقد اضططره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلمة ، وهي مجرى الماء من أعلى الوادي . والفليح ، بالجيم : غنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فليح » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطار) . والفليح : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهي في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشَقَّ عن فصيح سواء عنطله ^(١) وانتفض البروقُ سوداً فلنقله ^(٢)
واختلف النملُ قطاراً ينقله ^(٣) طارَ عن المهر نَسِيلٌ يُنْسِلُهُ ^(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو يزيد : الحمكة القملة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك في الذرة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التراب ^(٥) ، وهى أيضاً جرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجحر ^(٦) بما فيه من الذرِّ والحبِّ والمازن . والمازن هو البيض ، وبه سموا مازن .

-
- (١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنطله » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ : البصل البرى .
(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حَب أسود صفار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، هـ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .
(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة بحرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « قطار » وفى س ، هـ : « قطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، هـ : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .
(٤) النَسِيل ، بفتح النون : ما يحفظ من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .
(٥) ط ، هـ : « الزراب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما يجمعه من التراب » . وفى المختص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .
(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزُّبَال ما حملت النملة بغيرها ، وهو قول ابن مقبل :

كريم النجار حمى ظهره فلم يُرْتَزَأْ برُكوب زبالا^(٢)

(شعر في التعذيب بالتمل)

وأنشد ابن نُجَيْم^(٣) .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالتَّمَلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)

وقال الأصمعيُّ في تسليط الله الذرَّ على بعض الأمم :

لحقوا بالزَّهَوِيِّينَ فَأَمْسَوْا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِم بِالْمَيْمَنِ^(٥)

سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بِدَارٍ شَطُونِ^(٦)

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت في صفة فعل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرْتَزَأُ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفى ط ، ه : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) واختصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، ه : « نعيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه .

(٦) يقال عققان ، كعتان ، وعقيقان هيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقتان ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سَلَّطَ الذَّرُّ ، فَازَرُ أَوْ عُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ لِدَارٍ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به لشطون » صوابه فى س ، ه .

• يَنْبَعُ الْقَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهُدَى بذات الغصون^(١)
 فازر ، وعَقِيفَان^(٢) : صِنْفَانِ مِنَ الذَّرِّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل
 [بن حنظلة] الناسب^(٣) . ويقال : إِنَّ أَهْلَ رَهْمَةَ هَلَسُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قال : [وكان آخِرُ مَنْ مات بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيشٍ ، ^(٤)] هِشَامُ
 ابْنَ الْغَيَّةِ .

قال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي ذَلِكَ :

نَزَعَ الذَّرَّ فِي الْحَيَاةِ وَغَنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّذْمِيرَ^(٥)
 أَرْسَلَ الذَّرَّ وَالْجَرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَنِينًا فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمُورًا^(٦)
 ذَكَرُ الذَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنَّ الْجَرَادَ كَانَ ثُبُورًا^(٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
 « القار » بالغاء . و « الهدى » هي في ط ، هـ : « التلى » .

(٢) عقيفان بقاء ثلثها ياء ثم فاء ، وهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النساب : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتنا اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي سلب الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، هـ .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزاء » . والتفسير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

ويفرعون إذ تشاق له المسا . ففلا لله كان شكورا

قال إني أنا المخير على النا مس ولا رب لي على مجيرا

فعاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
 « دمورا » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو
 يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، هـ والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(غلة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بوادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نُشِكِرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النمل ربما أجلت أمة من الأمم عن بلادهم .

ولقد سألت أهل كسكر^(٤) فقلت : شِعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وَارِزُّكُمْ عَجَبٌ ، وَسَمَكُكُمْ^(٥) عَجَبٌ ، وَجِدَاؤُكُمْ عَجَبٌ ، وَبَطْنُكُمْ عَجَبٌ ، وَدَجَاجُكُمْ عَجَبٌ ، فَلَوْ كَانَتْ لَكُمْ أَعْنَابُ ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب . ثم قرأ : ﴿ قَالَتْ نُمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنُكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجحرة^(٦) مَسَاكِنَ . والعربُ تسميها كذلك . ثم قال : ﴿ لَا يَحِطُّنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعت من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، يوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، هـ :

« سمك » وفي س : « صمك » وربما كانت هذه الأخيرة مخرقة عن : « صحنكم »

وقد سبق تفسيرها في حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجم مكسورة تلجأ ماء مفتوحة : جمع جحر . وفي الأصل :

« الجحرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنْ قَائِدِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعْذُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَتَبَسَّمْ
صَاحِبَكَا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ ^(١)] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « أَلُطْفُ ^(٢) مِنْ ذَرَّةٍ » و : « أَضْبَطُ مِنْ نَمْلَةٍ ^(٣) » .
قال : والنَّمْلَةُ أيضاً : قَرْحَةٌ تَعْرِضُ لِلسَّاقِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ فِي جَزِيرَةِ
العرب ^(٤) .
قال : ويقال : « أَنْشَبُ مِنْ ذَرَّةٍ ^(٥) » .

(قول في بيت من الشعر)

فَأَمَّا قَوْلُهُ ^(٦) :

لَوْ يَدْبُ الْخَلْوِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ ^(٧)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
 - (٢) أَلُطْفُ ، من الطائفة ، وهى الدقة . س : « أَلُفٌ » من الإلخاف ، وهو الإلخاف ؛ لأنها تلج في طلب قوتها .
 - (٣) أَضْبَطُ ، من الضبط ، وهو شدة الزوم . ويقال أيضاً « أَضْبَطُ مِنْ ذَرَّةٍ » ، ومن الأعمى ، ومن صبى « انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
 - (٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالثملة » .
 - (٥) في الأصل : « أَنْسَبُ » .
 - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
 - (٧) أَنْدَبَتْهَا : أثرت فيها . والكَلُومُ : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلَى مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِنِهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَلْقُطُ حَوْلَى الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَى أَمَسَتْ بِالْحَبِيدَيْنِ بَلْقَعَا^(٢)
قال : وحولَى الحصَى : صغارها . فشَبَّهَ بالحولى من ذوات الأربع .

(أَحَادِيثُ وَأَمَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عن
ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرْدُ ، وَالْهُدُودُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابْنُ سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا فَأَنَاطَلَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيئَةٍ
نَمْلًا ، لَمَّا فِي شَجَرَةٍ وَلَمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَتَيْنَا أَبَا زُرْعَةَ

(١) الممان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالجبيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بْنُ عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي ، اختلف في اسمه ،
فقليل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة
اللقطات . تقرير التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فعصَّته نملة ، فقام إلى نملٍ كثير تحت شجرة فقتلَهُنَّ ، فقبل له : أفلا نَمَلَةٌ واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدني ، قال : أخبرني ابنُ شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزلَ نبيُّ من الأنبياء تحت شجرة ، فقرصته نملة ، فأمرَ بجهازه^(١) فأخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أمرَ بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكك أمةً من الأمم يسبحون الله تعالى ؟ ! فهلاً نملة واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزماني^(٢) ، عن هشام الدستوائي^(٣) قال : إنَّ النملَ والذرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلُّهُ يتقلَّن الحبَّ ، فإذا كان الشتاء وخِفْنَ أن ينبت فلقنَّه .

هشام بن حسان ، أنَّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لقوا من النملِ أذى ، فأمرَ الأحنف بكرسي [فوضع عند جُحرهنَّ ، فجلسَ عليه ثمَّ تشهد] فقال : لَتَنْتَهَنَّ أو لَنُحَرِّقَنَّ عليكنَّ ، أو لَنَفْعَلَنَّ أو لَنَفْعَلَنَّ^(٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناده هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، ه : « الزناني » . وأثبت مافي س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .
(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه . « ابن الدستوائي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوى (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، ه : « أو لنفعلن » بالياء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة بن زهير^(٢) قال : قال أبو موسى الأشعري : « إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة . »

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون ، فإذا هم بمنلة رافعة رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذا التمثيل ! » .

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حدثنا زيد القمي^(٤) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال « خرج سليمان بن داود — عليهما الصلاة والسلام — يستسقي فرأى منلة مستلقية على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي البصري ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصري ، راو من التابعين البصريين ، وكان من أفتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الحلال ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فبعله الله محمدا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفي الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصري قاضي هراة ، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمي .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجي » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهم إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، لَيْسَ بِنَا غَنَى عَنْ سَقِيكَ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَسْقِينَا
وَتَرْزُقِنَا ، وَإِنَّمَا أَنْ تُمَيِّتَنَا وَتُهْلِكَنَا ! فَقَالَ : ارجعوا فَقَدْ سَقَيْتُمْ
بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ ! » .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ۚ ٧
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إِنَّ نَذِيرًا يَعِجِبُ^(٢) مِنْهُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ يَعْظُمُ خَطَرُهُ حَتَّىٰ يُضْحِكُهُ لَعَجِيبٌ ! قال : فقال : لَيْسَ التَّأْوِيلُ مَا ذَهَبَ
إِلَيْهِ . قال : فَإِنَّهُ قَدْ يَضْحَكُ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ كَلَامِ
الصَّبِيِّ ، وَمِنْ نَادِرَةٍ غَرِيبَةٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَظْهَرُ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنِهِ ، كَالنَّادِرَةِ
تُسَمَّعُ مِنَ الْخَبْرِ ، فَهُوَ يُضْحِكُ . فَتَبَسَّمَ سُلَيْمَانُ عِنْدِي عَلَى أَنَّهُ اسْتَظَرَفَ
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ النَّمْلَةِ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبي موسى^(٣) : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
سَادَةً حَتَّى الدُّرَّ . قال : يقولون : إِنَّ سَادَتَهَا الْآوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنَ الْجَحْرِ ،
يَرْتَدْنَ بِجَمَاعَتِهَا ، وَيَسْتَبِقْنَ إِلَى شِمِّ الَّذِي هُوَ مِنْ طَعَامِهِنَّ .

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفوف » .

(٢) س : « إِنَّ تَذِيرًا يَتَعَجَّبُ » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر زهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَافِضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَى عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بُبُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمْ^(١)
قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقَلٌ يَمْنَعُهُ من البيان .
فإذا كان الثَّقَلُ الذى في لسانه من قِبَلِ العُجْمَةِ^(٢) قيل : في لسانه
حُكْلَةٌ . والحُكْلُ من الحيوان كُلُّهُ ما لم يكن له صوتٌ يُسَمِّيان باختلاف
مخارجِه ، عند حَرَجِه ، وضَجَرِه ، وطلبيهِ ما يغذوه ، أو عند هِياجِه إذا أراد
السَّقَاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغير ذلك من أمره .

(رأى الهندى في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندى أن سبب ما له كثيرُ كلامُ الناس واختلقت صُورُ
ألفاظِهِمْ^(٣) ، ومخارجُ كلامِهِمْ ، ومقاديرُ أصواتِهِمْ في اللَّينِ والشَّدَةِ ،

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يفرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الفصيح ، أو المنكوب ، أو الدلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) يمد هذه في كل من ط ، ه : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المسدِّ والقَطْع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرتْ
خواطِرهم وتصاريِفُ ألفاظهم ، واتَّسعت على قدر اتِّساع معرفتهم .

قالوا : فحوائِج السَّنانير لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخواتها وآلافها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحُها إذا دعت أولادها للطَّعم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعتْ ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلَّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلَّت وجوه
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات
والشمال . وحاجاتها ظاهرة جليلة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
ملا يقصّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] راضية الإبل ، والرَّعاء ، ورؤاض الدَّوابِّ في المروج ، والسَّوامسُ ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوّف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
ما لا يعرف مثله من هو أعقلُ منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تكرار لعمارة ستاق بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كما في س .

(١) ط : ه : « كثرت » ، ووجه ما أثبت من س .

(٢) ط : ه : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمدّ الهزّة في أوله : جمع ألف بالكسر وجو الألف . ط :
« آلافت » صوابه في س ، ه .

(٤) ط : « وجه » . وساق القول يقتضي ما أثبت من س ، ه .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، الخامسة . فهو سهو منه .

(٦) في الأصل : « ومنتهى » .

(٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ^(١) . فالحُكْلُ من الحيوان [من^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رؤبة^(٣) :

لَوْ أَنَّنِي عُمَرْتُ عُمَرَ الحِجْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ الثَّمَلِ
(تأويل بيت للعُماني)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقَيْمِيُّ وهو الذي يقال له العُماني^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمانيُّ من يُعَدُّ من جمَع الرَجَزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ بِلْجٍ^(٥) ، وجَرِير بن الحَطَّيِّ ، وأبى النَّجْم وغيرهم . قال العُمانيُّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا^(٦)
يقول : الدَّرُّ الذي لا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادُ^(٨)
لفهمه . والسَّوَادُ هو السَّرَارُ^(٩) . [قال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) في الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ما سبق من التنبيه في ص ٨ .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٦٦)

(٥) في الأصل : « كعمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٩) .
و « بلج » هو والد عمر ، وأصل اللج المقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس
ما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده
يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والمرار ،

بالكسر : التعادوت سرأ .

« أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أُنِى تَسْمَعُ سَوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْحُسَيْنِ : « قُرْبُ الْوَسَادِ »
وَطَوَّلُ السَّوَادِ (١) .

قال أبو كبير الهذلي :

سَاوَدَتْ عَنْهَا الطَّالِبِينَ فَلَمْ أُنَمَّ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعَزْلِ (٢)
وَقَالَ النَّمْرُ بْنُ تَوَلَّبَ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ إِذَا الْقِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وَشَهِدْتُ عِنْدَ اللَّيْلِ مُوقِدَ نَارِهَا (٣)
عَنْ ذَاتِ أَوْلَيْسَةَ أَسَاوِدُ رَبِّهَا وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمَلْحِ تَحْتَ شِفَارِهَا (٤)
وَقَدْ فَسَّرْنَا شَأْنَ الْحَكْلِ (٥) :

وَقَالَ التِّيمِيُّ الشَّاعِرُ (٦) الْمَتَكَلِّمُ - وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَهْجُو نَاسًا مِنْ بَنِي

تَغْلِبَ مَعْرُوفِينَ - :

عُجْمٌ وَحَكْلٌ لَاتِيْنٌ ، وَدِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قَالَتْ هَذَا حِينَ سَلَتْ : « مَا حَلَكَ عَلَى أَنْ زَيْتَ بِمَيْدِكَ ؟ » . انظر البيان
(١ : ٣٢٤) ، وَالْحَيَوَانُ (١ : ١٦٩) ، وَالصَّنَاعَاتُ ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « سَاوَرْتُ » ، صَوَابُهُ فِي سَمِ . وَالسَّمَاءُ الْأَعَزْلُ : مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنْزِلَاتِهِ
الْقَمَرِ ، وَهُوَ نَجْمٌ يَظْهَرُ مَعَ الْقَمَرِ .

(٣) الْقِدَاحُ هُنَا قِدَاحُ الْمَيْسِرِ . تَوَحَّدَتْ : أَيِ اخْتَصَمَ كُلُّ رَجُلٍ قَدَحًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ ؛
لَشِدَّةِ الزَّمَانِ وَغَلَاةِ الْحَمَمِ .

(٤) عَنْ ذَاتِ أَوْلَيْسَةَ : أَيِ مِنْ أَجْلِ نَاقَةِ ذَاتِ أَوْلَيْسَةَ ، رَعَتْ وَلِيَا بَعْدَ وَلِيٍّ مِنَ الْمَطْبَرِ
فَسَمِعَتْ . أَسَاوِدُ رُبَّهَا : يَقُولُ : أَسَاوِدُ وَأُنَاجِيهِ لِاخْتِدَاعِهَا عَنْهَا فَيَسْمَحُ بِهَا لِيَجْرِيَ
عَلَيْهَا الْمَيْسِرُ . وَكَأَنَّ لَوْنَ الْمَلْحِ فَوْقَ شِفَارِهَا : أَيِ أَنَّ الشِّفَارَ الَّتِي تَذْبَحُ بِهَا وَتَقَطِّعُ
يَعْلَقُ بِهَا عَجْمُ هَذِهِ النَّاقَةِ السَّمِينَةِ فَيَحْكِي ذَلِكَ لَوْنَ الْمَلْحِ . ط : « أَسَاوَرُ » صَوَابُهُ
فِي سَمِ ، هـ ، وَالْمَيْسِرُ وَالْقِدَاحُ ص ١١٨ وَالْمَعْنَى الْكَبِيرُ ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذَكَرَهُ الصَّوَلِيُّ فِي الْأَوْرَاقِ ٧٦ بِاسْمِ « التِّيمِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ » .

(٧) الْأَعْلَاجُ : جَمْعُ عُلْجٍ ، بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الرَّجُلُ مِنْ كَفَّارِ الْعَجَمِ . وَالْبِرَانِسُ :

جَمْعُ بَرَنْسٍ ، وَهُوَ الْقُلُوصَةُ الطَّوِيلَةُ ، وَكَانَ التَّنَاسُكُ يَلْبِسُونَهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ .

وَالْبِرَنْسُ أَيْضًا : كُلُّ ثَوْبٍ رَأْسُهُ مِنْهُ مَلَزَقٌ بِهِ ، دِرَاعَةٌ كَانَتْ أَوْ مِطْرَأٌ أَوْجِبَةٌ .

وَفِي حَدِيثٍ عَمْرٍ : « سَقَطَ الْبِرَنْسُ عَنْ رَأْسِي » هُوَ مِنْ هَذَا . وَالتَّرَاوِيحُ فِي الْبَيَانِ

(١ : ٤٠) : « وَلَكِنْ حَكْلًا لَا تَيْنَ » .

فَفَصَلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَاغِرِ وَالظَّلْفِ وَالْخَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالْخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ الَّتِي لَيْسَتْ تَصْبِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدِ ^(٢) : [أَشْهَدُ] أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يَخْبِرُ عَنِ النَّصَارَى كَمَا يَخْبِرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْمُفَضَّلِ)

[وَ] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِلْمُفَضَّلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ ^(٤) ٩

قَوْلَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ :

وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصُمِّتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّيَا جَدِيعًا ^(٥)

- (١) ط ، هـ : « ذَوَاتِ الْعُجْمِ » وكلمة « ذَوَاتِ » مقحمة .
- (٢) من الخبيرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليونس .
- (٣) ط ، هـ : « حَقٌّ » ، وهو على الصواب في س .
- (٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان ابن علي الهاشمي .
- (٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المسال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراوع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة الجاعة . تصممت بالماء توليها : أي تسكت ولدها الذي يبكي من الجوع شيء من الماء . وأصل التولي : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولياً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة، هذا يسمى معازلة وقال : لا أعرف المعازلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيده جيدة يرتى بها فضالة بن كلفة مطلعها :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْلِي جِزْعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ليبيك الشرب والمدامة ولا غيتان طرا وطامع طمعا
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جده) .

فجعل الدال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجذاع^(١) .
قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الدال مكسورة . وفي الجَدْع
يَقُول أبو زيد :
ثمّ استقاهما فلم يقطع نظامهما عن التّضبيب لا عِبَلُ ولا جَدِغُ^(٢)
وإنّما ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعيّ^(٣) :
وأرسلَ مُهْمَلًا جَدِعا وخفّا ولا جَدِغُ النَّبَاتِ ولا جَدِيبُ^(٤)
فنفع المفضّل ، ورفع بها صوته ، وتكلم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ :
لو نفخت بالشُّبُور لم ينفعك ! تكلم بكلام التَّمَل وأَصِيبُ^(٥) !

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التّضبيب : السن وكثرة اللحم . ه فقط : « التّضبيب » . والجَدْع ، ككتف :
فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيّء الغذاء .

(٣) ابن حنّاء ، يطلق على (خسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحنّاء ، اسم أمهم
كما في القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم
لقب به حين أصابه . والحنّ : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حنّاء ، وكان بينه وبين أخيه صخر
مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ — ١٦٣) . وثالث هذين
الأخوين هو يزيد بن حنّاء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب
ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أغوان آخران ، أحدهما بلاء بن قيس الكنانى
وأخوه جثامة . وأمهات الحنّاء بنت وائلة . وقد تقدّمت ترجمة بلاء في (٣ :
٦٠) . جاء في ط : « حنّاء » سوايه في ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة
هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » .
والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهة (ويقال أيضاً جبيهة بالتصغير)
وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى
في أيام بنى أمية ، وهو من المقلّين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني .
(١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإهمل .

(٥) تجدد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جدع) .

والشُّبُور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيَّة^(١) . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت^(٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم فَنَحَّوْا عليه بالشُّبُور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ مِنَ الحدودِ القائمةِ في كتبهم ، ولكنَّ الجاثليقَ^(٣) ورأسَ الجالوتِ ، لا يمكنُهُما في دار الإسلام حبسٌ ولا ضربٌ ؛ فليس عندهما إلَّا أنْ يغرَّما المالَ ، ويُحرَّما الكلامَ . على أنَّ الجاثليقَ كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدرِ ، الذي له من السُّلطانِ ناحيةٌ . وكان طيخانو^(٤) رئيسَ الجاثليقِ ، قد هَمَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العباديِّ^(٥) ، عندما بلغه من اتِّخاذِ السَّراريِّ^(٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ لِيُسْلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيسَ^(٧) وميخائيلَ^(٨) وتوفيلَ^(٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، يفتح الـثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق التقدير الأب أنستاس .

(٥) العبادي : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شيء اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السراي : جمع سرية ، وهي الأمة المملوكة التي يوتن بيتا . ونظام التمرير ، أي اتِّخاذِ السراي ، نظام إسلامي يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا في س ، هـ . وفي ط : « الأشفيل » .

(٨) س : « متخايل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلْ عَيْنٍ مَنُوبِل^(١) - وفي حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الروم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُمْ فيه .

وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَّارَى^(٢) . فإن أردتَه فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عُمر بن أبي ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِيٍّ جِلْدُهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورُ^(٣)
والحذر : الورم والأثر^(٤) يكون عن الضَّرب .

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي هـ : « سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصرى » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد فقرأ منها بهامشة السكامل (٢ : ١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحي جلدها : أى جلدها الضاحي المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حذور » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حم » والكتاب المين « أى ألين الظاهر » ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حذر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حذورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في هـ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها : لمن الديار كأنهن سطور تسلى معالمها الصبا وتثير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها . مأسور

(٤) في الأصل : « والحذر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بنملة ونَمِيلَة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بِذَرٍّ ، واكتنوا
بأبي ذرٍّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذَرٌّ السَّيْفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة (٢) :

وقد أَغْدُوْ مع الفتيانِ بالمنجردِ الرَّ (٣)
وذى البركةِ كاللَّابِو تِ والمَحْزَمِ كالقَرِّ (٤)

(١) في الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتداً على لسان العرب ، وفيه : « وفري السيف : فرنده وماؤه ، يشبهان في الصفاء بمذب النمل والذر . قال عبد الله ابن سيرة :

كل يتوه بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه العليما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :
وكننت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العنق والسكرم . ط ، هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (ترر) .
والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبتر »
وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت في أماليه
(١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا بالختنك الش

زوى السكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب تر ، للكثير الماء .
واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية
الأصل . والمحزم ، كيجلس : موضع الخزام . والقَر ، بالفتح : المودج :

معى قاضية كالمذبح في متنيهِ كالذِّر^(١)
 ١٠ وقد اعتسِر الضَّربَةُ تَشْنِي شَنْ الشَّرِ^(٢)
 وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ ترميها صرارا وتَرْجَفُ . إن يُلثِّمها خِمارُ^(٣)
 وتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قِيلَ حَقًّا وَيَرْعِبُ قَلْبَهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ
 وقال أوسُ بْنُ حَجَرٍ ، في صفة السَّيْفِ :

كَأَنَّ مَذْبَأَ النَّمْلِ يَنْتَسِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خَافَ بَرْدًا فَاسْهَلَا^(٤)
 على صفحته بعد حينٍ جلَّالته كَفَى بِالَّذِي أَبْلَى وَأَنْعَتَ مُنْصَلَا^(٥)

(١) القاضية ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالملاح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملاح كما سبق تشبيه الشحم به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت غزوما في اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكاله بما هنا .

(٢) اعتسِر الضربة ، أصله من اعتسِر الرجل الكلام : إذا انتفضه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجئني علوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعرس » صوابه في هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شن » فهي في ط : « شن » والكلمتان غير واختمين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار . (٢ : ١٨٧) ومعه التنصيص (١ : ٤٨) والشراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحته » مع حذف « من » كما في س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحته من متون جلَّالته » .

(انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجلٌ من الحرقة^(١) من جهينة ، فأخذه فشدّه قِاطاً ، ودهن آسته ربُّ وقمطه^(٢) وقربه من قرية التمل ، فأكل التملُ حشوة بطنه^(٣) .

(مُعرّفيه ذكر التمل)

وقال ذو الرمة :

وَقَرِيَّةٌ لَاجِنٌ وَلَا أَنْسِيَّةٌ مُدَاخِلَةٌ أَبْوَابُهَا بُنِيَتْ شُرَارًا^(١)
نَزَلْنَا بِهَا مَا نَبْتَغِي عِنْدَهَا الْقَرَى وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِمَنْزِلِنَا قَدْرًا^(٢)

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بِدَارٍ هَمُّهَا أَشْبُ جَلُّ الْفُرُوعِ كَثِيرَةُ شَعْبُهُ^(١)
إِنَّ اسْتِهَانَتَهَا بِمَنْ صَرَعَتْ لِيَقْدِرَ مَا تَعَاوَى رُتْبُهُ^(٢)

-
- (١) كذا هل الصواب في ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الحدة » محرف . وفى الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .
- (٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب يضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل الصمن والزيت . وفى الأغاني : « ودهن آسته بشحم » .
- (٣) القصة فى الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .
- (٤) أراد بالقرية قرية التمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : عل غير استقامة فهى معوجة .
- (٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبغى عندها » .
- (٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جتل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .
- (٧) فى الأصل : « أزرأ سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوت للئمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه^(١)
وقال البعيث :

وَمَوْتُ كَبَيْتِ اللَّيْلِ لِأَخِيرِ عِنْدَهُ لَمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيهِ بَنَمِيمٍ

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب^(٢) يقول : إنه لنمام نملى . على
قولهم : « كذب على نمل^(٣) » إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال
حميد بن ثور ، في تهوين^(٤) قوة الذر :

منعمة ، لو يُصبحُ الذرُّ سارياً على جلدِها بضت مدارجُه دما^(٥)
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة
عنب - : أتصدقين^(٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها لمثاقيلَ ذر^(٧)

= أبى المتأخية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدار » هى فى الأصل : « فيقدر »
وأثبت ما فى الديوان وثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و « تملو » هى فى ط :
« نملوا » ، وتصحيحه من س ، هـ وثمار والمروج . وبلها فى الديوان : « تملو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال » وسمعت أعرابيا .

(٣) النمل ككتف والنمل والنمل - كحسن - والمنمل - كنبير - والنمل ، كل
أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « تهوين » والتهوين : التقليل . والتهوين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تصديقين ، حذف إحدى التامين تخفيفاً . ط فقط :
« أتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، هـ .
وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في التَّمَل)

ومَّا قِيلَ فِي الشُّعْرِ مِنَ اللُّغْزِ ^(١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَلَيْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ

يعْنِي التَّمَلُ . فزَعِمَ أَنَّ لِلتَّمَلِ حَافِرًا ، وَلَئِنَّمَا يَخْفِرُ جُحْرَهُ ، وَلَيْسَ ١١
بِخَفْرِهِ بَعْمَهُ ^(٢) .

(التعذيب بالتَّمَل)

وَعَذَّبَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ^(٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْحَرْشِيِّ ^(٤) بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ
فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أَرَدْتَ إِلَّا يُفْلِحَ أَبَدًا فَمُرُّهُمْ أَنْ يَنْفُخُوا فِي دُبُرِهِ التَّمَلُ .
فَفَعَلُوا فَلَمْ يَفْلِحْ بَعْدَهَا .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) ولئنما يخفّره بقوائمه الصّت . انظر التلميزي .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة
الشجعان ، ولى الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاة يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المنثى ، وفيه يقول الفرزدق
ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد التميميص

تفتق بالعراق أبو المنثى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحارثي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتل
بن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحارثي ، يفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١) :
(٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحارثي » هي في الأصل : « الجارثي »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصّة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشبّه في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجردان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تأتي على عامتها . وذكر أنه جرّب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إن الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ، وذلك أن الضبّاع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كل شيء لهم . ولا تزال كذلك حتى ينشئ^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الروية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفي هـ : « ولا يزال » . وفي ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشئ » هي « ينشئ » سهل همزها ، وهي بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملًا ، وليس فناؤها لكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملًا . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص ^(١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » . والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكيو والآخري ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو ^(٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر ^(٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ماني ه .
(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطراباً في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدتتا بالياء ، ومرة بدتتا بالتاء . وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ ^(١)
وَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخَصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ
طَيْرَانِهَا .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا ^(٢)] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يَصَبَّ فِي أَفْوَاهِ بَيُونِهَا الْقَطِرَانُ وَالْكِبْرِيتُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسَّ فِي أَفْوَاهِهَا ^(٣) الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ
بَاطِلًا . انْتَهَى .

ب

١٢

جملة القول في القرد والخنزير

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْنُخِ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسُ عَلَى خَلْقَتِهِمَا ^(٤)
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبَرَةِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَفِي خَصَالِهَا الْمَذْمُومَةِ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَصْلُ ^(٥) الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي التَّقْصِصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

-
- (١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .
(٢) يمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .
(٣) أى أفواه بيوتها .
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .
(٥) في الأصل : « الفصل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت ، والدَّرَّ والتَّمَلَّ ، والكلب ، والحمار ، والتَّمَلَّ ، والمُدهَدَدَ ، والغراب ، والذئب ^(١) ، والفيل ، والخليل ، والبعال ، والحَمِيرَ ، والبقَرَ ، والبَعُوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوث ، والنون ^(٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً في الذلَّة والضَّعْف ، وفي الوهن ، وفي البُذاء ، والجهل .

(هوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقالها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جل وعلا ، لم يمسخ أحداً من حشوا أعدائه وعظماهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إنَّما قرع الطالب في هذا الموضع ^(٣) بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعف

(١) س : « للذب » صوابه في ط ، ه . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ، وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوث العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى : « وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والنعبان ، والجراد ، والحية ، والسلى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجده جلّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذَبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فدلّ بوهن بيته
على وهن خلقه ، فكان هذا القول دليلًا على التّصغير والتّقليل . وإنما لم
يقُلْ : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنْكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَتَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتَرَّ كَهْ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان في ذلك دليلٌ على ذمّ طباعه ، والإخبار عن تسرّعه
وبذائه . وعن جهله في تدبيره ، وترّكِهِ وأخذه . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وذكر الذّرة فقال : ﴿ فَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلًا على أنّه من الغايات في الصّغر
والقلّة ، وفي خِفّة الوزن وقلة الرجحان . ولم يذكر أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلًا
في الجهل والغفلة ، وفي قلّة المعرفة وغِلْظِ الطّبيعة . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلق وذَكَرَ مِنْ أصناف الحيوان بالذمّ والحمد . فأما
١٣ غير ذلك ممّا ذكرَ مِنْ أصناف الحيوان ^(١) ، فإنّه لم يذكره ^(٢) بدم ولا
نقص ، بل قد ذكر أكثرهن ^(٣) بالأمر المحموده ، حتّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مبدأ : « بالدم والحمد » ساقط من س .

(٢) س : « يذكر » .

(٣) س : « أكثرها » .

للقرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لها في قلوب
النَّاسِ حال . و [لو] ^(١) لم يكن جعل لها في صدور ^(٢) العامة والخاصة من
الْقُبْحِ والتَّشْوِيهِ ، ونذالة النَّفْسِ ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما
خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أنَّ العَقْرَبَ أَشَدُّ عِدَاوَةً وَأَذَى ، وَأَفْسَدُ ، وَأَنَّ الْأَفْعَى والثُّعْبَانَ
وعَامَّةَ الْأَحْنَاشِ ^(٣) ، أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ وَأَقْتَلُ لَهُمْ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ أَشَدُّ صَوْلَةً ، وَأَنَّهُمْ
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قُوَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وعجزهم عنه ،
وعلى حَسَبِ سُوءِ أَثَرِهِ فِيهِمْ . ولم نَرَهُ تَعَالَى مَسَخَ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِهِ عَلَى صُورَةٍ
شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ : وَلَوْ كَانَ الْأَسْتِنْدَالُ وَالْأَسْتِقْقَالُ وَالْأَسْتِسْقَاطُ أَرَادَ ،
لَكَانَ الْمَسْخُ عَلَى صُورَةِ بَنَاتِ وَرْدَانَ أَوْلَى وَأَحَقَّ ^(٤) . وَلَوْ كَانَ التَّحْقِيرُ
وَالتَّصْغِيرُ أَرَادَ ، لَكَانَتِ الصُّوَابَةُ وَالْجُرْجِيسَةُ ^(٥) أَوْلَى بِذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ إِلَى
الْأَسْتِصْغَارِ ذَهَبَ لَكَانَ الذَّرُّ وَالْقَمَلُ وَالذُّبَابُ أَوْلَى بِذَلِكَ . وَالذَّلِيلُ عَلَى قَوْلِنَا
قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وَلَيْسَ أَنَّ النَّاسَ رَأَوْا شَيْطَانًا قَطُّ عَلَى صُورَةٍ ،
وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ اللَّهُ [تَعَالَى] قَدْ جَعَلَ ^(٦) فِي طِبَاعِ جَمِيعِ الْأُمَمِ اسْتِقْبَاحَ
جَمِيعِ صُورِ الشَّيَاطِينِ ، وَاسْتِسْجَاةَ وَكِرَاهَتَهُ ، وَأَجْرَى عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِهِمْ
ضَرْبَ الْمَثَلِ فِي ذَلِكَ - رَجَعَ بِالْإِيحَاشِ وَالتَّنْفِيرِ ، وَبِالْإِخَافَةِ

(١) لَيْسَ بِالأَصْلِ .

(٢) س : « قُلُوبٌ » .

(٣) الْأَحْنَاشُ : الْحَيَاتُ ، جَمْعُ حَنْشٍ بِالتَّحْرِيكِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَجْنَسُ » بِمَحَرَفِ .

(٤) « عَلَى صُورَةٍ » سَاقِطٌ مِنْ س . وَ « أَرَادَ » ، لَكَانَ « هِيَ فِي س : « إِذَا
كَانَ » ، بِمَحَرَفِ .

(٥) الْجُرْجِيسُ ، بِكسر الجيمين : الْبِمَوْضِ الصَّنَارِ . فِي الْأَصْلِ : « الْخُرْجِيسَةُ »
صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « جَعَلَ لَهَا » وَكَلِمَةٌ : « لَهَا » مُقْحَمَةٌ .

والتفريع ^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم ^(٢) .

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين ، أن رءوس الشياطين نبات ينبت باليمن ^(٣) .

وقال الله عز وجل لنبيه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَهَنْ أَضْطَرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رجس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرذ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثير منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أن في الخنزير معنى متقدماً ^(٥) سوى المسوخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل للعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « متقدماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذى هو شريكه
في المسخ - كما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَكُنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصَّر^(٢)
من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان
هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوك والسُّوقَة ،
يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم
القرد ينهى عن نفسه . ويكنى الطباع في^(٣) الزَّجر عنه غَنَتْهُ^(٤) . ولحم
الخنزير ممَّا يُسْتَطَابُ ويُتَوَاصَفُ ، وسبيلُ لحم القردِ كسبيلِ لحم الكلب
يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسدي الذي ليم بأكل لحم
الكلب^(٦) :

يا فقعسى لم أكلته بله لو خافك الله عليه حرمة
فأأكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليه » أنَّ الله يخافه على شيء
أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنَّهُ لما كان الكلبُ عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامة الناس بأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فِيحَرَّمَهُ . وهذا مما لا تقف الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبَعُ الْوَهْمُ مُوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ الَّذِينَ ، فَيُاعْرِفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجزاء ^(٢) الكلاب نامسٌ ، ويستطيعونها فيما يزعمون . ويقولون : إنَّ جرو الكلب أَسْمَنُ شَيْءٍ صَغِيرًا ، فإذا شَبَّ استحال لحمه ، كأنَّه يشبه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدَّ .

(ذكر من يأكل السنائير)

وما أكثر من يأكل السنائير . والذين يأكلونها صنفان من الناس : أحدهما الفتي المغرور ، الذي يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سيئورا أسودَ بهيما لم يعمل فيه السحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلَّة ، وقد غسل ذلك وعصره ، أذهب الماء زهُومته ، ولم يكن ذلك المخذوع بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلَّه أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطعام ^(٣) فوق الذي هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشرط ، ودبر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، هـ .

(٢) أجزاء ، يفتح الهزئة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصَّنْف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبُّون المصائد^(١) للسنائير ،
التي يُلْقَوْنَ منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وَحَدَقَهُ وَغَضِبَهُ
عليه ، أن [يكون] السُّتُور مُفْرِطَ السَّمَنِ ، فيدعُ قَتْلَهُ ويذْبَحُهُ . فإذا فعل
ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقَرَّرُ^(٣) الرَّجُلُ من أكل
الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أن يأكله مرَّةً لبعض التَّجَرِبَةِ ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
بأن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيبَ منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحَيَّاتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعي والحيات)

وزعم بعضُ الأطباء والفلاسفة ، أن الحَيَّاتِ والأفاعيَ تؤكل نَيْثَةً^(٧)
ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغذو غِذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصائد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيهم الشر من السنائير .

(٣) ط ، هـ : « يتقَرَّر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تغدَّر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤية وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤية ، وعنده جرذانٌ قد شَوَّاهُنَّ ، فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤية : هُنَّ خيرٌ من اليرابيع والضُّباب وأطيبُ ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحَيَّاتِ ^(١) في الصُّدُور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر ^(٢) أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبَّان والزَّناير)

ونامسٌ من السُّفَّالة ^(٣) يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُرَّاسانَ يُعَجِّبونَ بأخذ البرِّ ماوردٍ ^(٤) من فراخ الزَّناير ، ويعافون أذنانَ الجرادِ الأعْرَابِيَّ السمين . وليسَ بين رِيحِ الجرادِ إذا كانت مشويَّةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشويَّةً فرق . والطَّعمُ تبعٌ للرائحة ^(٥) : خبيثُها لخبيثها ، وطيبُها لطيبها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّةً ونبيئةً ، أنها كالجرادِ ^(٦) السَّمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، ه .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالبة » . وهو تعريف ، صوابه عما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كاسيأتى واضحاً في (٥ : ٣٥٦)

حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعراب السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّهُ خدمتهُ في طلب فراخ الزنابير ليأكلها .
وفراخها ضربٌ من الذَّبَّانِ .

(أكل لحوم البراذين)

فأما لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيينا ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنه لم يأكل أطيبَ من رأس برذونٍ وسُرَّتِيه . فأما السُّرَّةُ والمَعْرِقَةُ ^(١) فإنهم
يزاحجون بها الجداء والدجاج : ويقدمون الأسرام المحشوة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطين أكلًا ذريعًا . فأما الرِّقُّ ^(٢) والكوسج ^(٣)
فهو من أعجب طعام البحريين . وأهل البحر يأكلون البلبل ^(٤) وهو اللحم
الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابيُّ إذا وجد أسودَ سانحاً ^(٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير فى كسميره ^(٦) .

(١) المعرفة ، كمرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير ينحشى شره ، وهو فى الماء شر
من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى .
ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المملوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « البلبل » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(٥) الأسود السانح : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سياتى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وَحَبَّرَنِي كَمْ شِئْتَ^(١) مِنَ النَّاسِ ، أَنَّهُ رَأَى أَصْحَابَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ^(٢) بِالْأَهْوَاِ وَقَرَاهَا ، يَأْخُذُونَ^(٣) الْقِطْعَةَ الضَّخْمَةَ مِنَ الْجَبْنِ الرَّطْبِ^(٤) ، وَفِيهَا كَكْوَاءُ الزَّنَائِرِ^(٥) ، وَقَدْ تَوَلَّدَ فِيهَا الدَّيْدَانُ ، فَيَنْفُضُهَا وَسْطَ رَاحَتِهِ ، ثُمَّ يَقْمَحُهَا^(٦) فِي فَيْهِ ، كَمَا يَقْمَحُ السَّوِيقَ وَالسُّكَّرَ ، أَوْ مَا هُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وَقَدْ خَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ النَّقَمِ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ ، وَمَا أَخَذَ مِنَ الشَّكْلِ وَالْمُقَابِلَاتِ ، فَقَالَ : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلاً ، هو لغة رديئة حكاه ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يدعهم كم أهلكتنا » . انظر معنى اليبس .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً لما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المثن » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اللباس كانوا يملحونه ويحفظونه . انظر تهكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالسكس : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الخائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استغف .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿١﴾ .

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ في المثلثة والشنعة ، مِّنْ (١)
جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالحزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لانتقيل الآداب . وإنَّ الفُهوْدَ وهي وحشية تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازي ، والشواهين ، والصقورة (٣) ، والزُرْقَى ، واليُؤْيُؤُ ، والعُقَابُ ، وعَنَاقُ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّاتِ . ثُمَّ يَفْضُلُهَا الْفَهْدُ بِخَصْلَةٍ غَرِيبَةٍ
وذلك أَنَّ كِبَارَهَا وَمَسَاقَهَا أَقْبَلُ لِلآدَابِ ، وإنْ تَقَادَمَتْ فِي الْوَحْشِ (٥) ،
مِنْ أَوْلَادِهَا الصِّغَارِ ، وإنْ كَانَتْ تَقْبَلُ الْآدَابَ ، لِأَنَّ الصَّغِيرَ إِذَا أَدَّبَ
(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ أَنْ » .

(٢) وَيَجْمَعُ الْحَمَارُ أَيْضاً عَلَى أَحْمَرَةٍ ، وَحَمْرٍ - بِضَمِّينِ وَبِضْمَةٍ - وَحَمُورٍ ، وَحَمَرَاتٍ ،
وَحَمُورَاءَ . جَاءَ فِي ط : « كَالْحَمَائِرِ » وَهُوَ تَخْزِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ
هـ ، س .

(٣) الصَّقْرُ يَجْمَعُ عَلَى أَصْقَرٍ وَصَقُورٍ وَصَقُورَةٍ ، وَصَقَارٍ وَصَقَارَةٍ بِكَسْرِ صَادِهِمَا ،
وَصَقْرٍ بِالضَّمِّ . ط ، هـ : « وَالصَّقُورُ » . وَأَثْبَتَ مَا فِي س . وَالْجَاهِظُ يَمِيلُ
إِلَى هَذَا الْجَمْعِ كَمَا سَبَقَ فِي (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عَنَاقُ الْأَرْضِ ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ : دَوِيَّةُ أَمَةِ مِنَ الْفَهْدِ حَسَنُ الصُّورَةِ ، لَوْنُهُ أَحْمَرٌ ،
وَفِي أَعْلَى كُلِّ مِنْ أُذُنَيْهِ شَعْرَاتٌ سَوْدٌ ، يَصِيدُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الطَّيْرِ ، وَيُسَمَّى أَيْضاً
الْتَفَّةَ ، وَهُوَ بِالْفَارْسِيَةِ سِيَاهُ كَوْشٍ ، وَبِالْإِنْفَرَنْجِيَّةِ : Caracal . وَفِي الْأَصْلِ :
« عَنَاقُ الْأَرْضِ » بِالتَّاءِ . صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٥) فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ ، نَسَخَتِ الْخَطِيئَةُ : « التَّوْحَشُ » وَالْعِبَارَةُ تَجَنَّبَ بِكُلِّ مَنُهَا .

فبلغ ، خرج خبأ مؤاكلا^(١) ، والمسّن الوحش^٢ يخلص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخزير وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدب على حال ، حتى كأنه - وإن كان بهيمة - في طباع ذئب .

وذلك أن أعرابياً أخذ جرّو ذئب وكان التقطه التقاطاً ، فقال : أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما ، وهو غرّ لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربّناه وألفناه ، أنفع لنا من الكلب . فلما شبّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابي :

أَكَلْتِ شَوِيهِي وَرَبَيْتِ فَيْتَا فَنَ أَذْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٣)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وحشيتين [كانا^(٤)] ثم من أشدّ الوحش توحشاً ، وألزمها للقفار ، وأبعدّها من العمران .
والذئب أغدر من الخزير والخنوص^(٥) ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » . هـ : « جبنا » ، صوابه في س . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند السيرى . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لثانتنا ولد ربيب
غذيت بدها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كمنور : ولد الخزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَعَّى لَهُ الْأَسَدُ ؟ ! وذلك أَنَّ الخنازير ^(١) إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قَوْمٍ هَلَكَتْ تِلْكَ الضِّيَاعُ ، وَفَسَدَتْ تِلْكَ الْغَلَّاتُ . وَرَبِّمَا طَلَبَ الْخَنَزِيرَ ^(٢) بَعْضُ الْعُرُوقِ الْمُدْفُونَةِ فِي الْأَرْضِ فَيَحْرُبُ مَائَةَ جَرِيْبٍ ^(٣) ، وَنَابَهُ لَيْسَ يَغْلِبُهُ مِعُولٌ . فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ تَمَنَّوْا أَنْ يَصِيرَ فِي جَنْبِهِمْ ^(٤) أَسَدٌ . وَلَرَبِّمَا صَارَ فِي ضِيَاعِهِمُ الْأَسَدُ فَلَا يَهَيِّجُونَهُ ، وَلَا يُؤْذُونَهُ ، وَلَوْ ذَهَبَ إِنْسَانٌ لِيَحْفِرَ لَهُ زُبْيَةً ^(٥) مَنَعُوهُ أَشَدَّ الْمَنَعِ ؛ إِذْ كَانَ رَبِّمَا حَمَى جَانِبَهُمْ مِنَ الْخَنَازِيرِ فَقَطْ . فَا ظَنُّكَ بِإِفْسَادِهَا ، وَمَا ظَنُّكَ بِهَيْمَةِ يُتَمَعَّى أَنْ يَكُونَ بِهَا ^(٦) أَسَدٌ ؟ ! ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْخَنَازِيرِ بِالسَّلَاحِ ، وَبِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ الَّتِي تَقْتُلُ بِهَا ، فَرَبِّمَا قَتَلَ الرَّجُلَ مِنْهُمْ ، أَوْ عَقَرَهُ الْعَقْرَ الَّذِي لَا يَنْدَمِلُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَضْرِبُ بِنَابِهِ شَيْئاً إِلَّا قَطَعَهُ ، كَأَنَّهُمَا مَا كَانَ . فَلَوْ قَتَلُوا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا مَائَةَ وَقَتْلَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِنْسَاناً وَاحِداً ، لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ عِوَضٌ .

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإنفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقدحة .

(٤) الجنبية ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنبهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة ^(١) ؛ لأنها تطلب آخرها وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبل ^(٢) ذلك وبعده ؛ لبروز ^(٣) الناس للغائط . فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ومع الصبح ، أنه قد أسحر ^(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها في ^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرّزات . ولذلك ضربوا المثل ببيكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بجذير الغراب وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأزوع من الخنزير ، ولا أكّد للفارس ، ولا أشدّ إعتاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قبح وجهه فلو أن القبح والإفلاس ، والغدر والكذب ، تجسّدت ثم تصوّرت ^(٦) لما زادت على قبح الخنزير . وكلّ ذلك بعض الأسباب التي مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأنّ القرد لمسخ الوجه ، قبيح كل شيء ^(٧) . وكفاك به أنّه للمثل المضروب - ولكنه في وجه آخر مليح . فليحه ^(٨) يعترض على قبحه

-
- (١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .
 - (٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتها من مباحج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
 - (٣) كذا في ط ، هـ ومباحج الفكر . وفي س : « لخروج » .
 - (٤) أسحر ، بالسين : صار في السحر ، والصح : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .
 - (٥) في الأصل : « إل » ، وصوابه في مباحج الفكر .
 - (٦) كذا في ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
 - (٧) في ثمار القلوب : « قبيح في كل شيء » .
 - (٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فِيَا جُزْهُ وَيُصْلِحَ مِنْهُ . وَالْخِنْزِيرُ أَقْبَحُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ ضَرْبٌ مُصَمَّتٌ بِهِمْ ،
غُصَارٌ أَسْمَجٌ بَعِيدٌ .

(وَبِالذِّكُورَةِ عَلَى الذِّكُورَةِ)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِمَّنْ طَالَ ثَوَاؤُهُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَ
صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَتَجَرِبَةٍ ، وَكَانَ كَلَفًا بِحَبِّ التَّيْنِ^(١) ، مُعْتَرِضًا لِلْأُمُورِ ، يَحِبُّ
أَنْ يُفْقِضِيَ إِلَى حَقَائِقِهَا ، وَتَثْبِيَتِ أَعْيَانِهَا بِعِلْمِهَا ، وَتَمْيِيزِ^(٢) أَجْنَاسِهَا ، وَتَعْرِفِ
مَقَادِيرِ قَوَاهَا ، وَتَصَرُّفِ أَعْمَالِهَا ، وَتَنْقُلِ حَالَاتِهَا ؛ وَكَانَ يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قَدْرَهُ ،
وَلِلْيَانِ فَضْلَهُ .

قَالَ : رَبِّمَا رَأَيْتَ الْخِنْزِيرَ الذَّكَرَ وَقَدْ أَلْجَأَهُ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ خِنْزِيرًا
إِلَى مَضِيْقٍ ، وَإِلَى زَاوِيَةٍ ، فَيَنْزُونَ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا^(٣) ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهُمْ .
وَخَبَّرَنِي هَذَا الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَأَصْحَابِ الْفِكْرِ ، أَنَّهُمْ رَأَوْا
مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ^(٤) الْحَمِيرِ . وَذَكَرُوا أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا تَأْنِيثٌ فِي طَبْعِهِ ، وَإِمَّا أَنْ
يَكُونُ لَهُ فِي أَعْيُنِهَا مِنَ الْإِسْتِحْسَانِ شَبِيهٌ بِالَّذِي يَعْتَرِي عَيُونَ بَعْضِ الرِّجَالِ
فِي الْغُلْبَانِ ، وَالْأَحْدَاثِ الشَّيْبَابِ .

وَقَدْ يَكُونُ هَذَا بَيْنَ الْغَرَانِقِ وَالسَّكَرَاكِ . وَالتَّسَافُدُ بَيْنَ الذَّكَرِ
وَالْأُنْثَى . وَالسَّافِدُ وَالْمُسْفُودُ إِذَا كَانَا مِنْ جَمِيعِ الذِّكُورَةِ ، كَثِيرٌ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « التَّيْنِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَتَكَرَّرُ كَثِيرًا . وَإِنَّمَا هُوَ « التَّيْنِ » بِمَعْنَى
التَّفْهَمِ وَالْإِكْتِنَاهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتَمْيِيزِ » .

(٣) بَدَلَهُ فِي مِجَاهِ الْفِكْرِ ، وَكَذَا نِهَاجُ الْآرَبِ (٩ : ٣٠٠) : « ثُمَّ يَنْزُو عَلَيْهِ
الْأَمِثْلُ فَالْأَمِثْلُ » .

(٤) س : « فِي » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفسى . وأما ^(١) تسافد الحمام الذكر والأنثى للذكر ^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد ^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنثياب في نابه من القوة والذرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .
قال : والإنسان يلقي أسنانه ^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .
قال : والخنزير لا يلقي أسنانه البتة .

(من لم يشغر)

ويقال : إن عبد الصمد بن علي ^(٥) لم يشغر قط ^(٦) ، وأنه دخل قبره بأسنان الصبا .

١٨

(١) ط ، ه : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، ه : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « والإنسان لا يلقي أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولحقه جزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقدم بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شغر ، بالبناء للمجهول ، وأشفر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنَّ أسنان الذئب مخلوقة في الفكَّ ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك ممَّا توصف به أسنان الحية . قال الشاعرُ :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَّاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنُهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذَّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .
وَلَا يَشْكُونُ أَنَّ الضَّبْعَ كَذَلِكَ .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ،
وأما ما كان كثير الثرب^(٤) ففرقته يجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المغزى .

(١) المطال : أصله الديك والطبع . ط ، هـ : « ممطولة » وصوابها من س
وبما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء من ١٨٠ + ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى
الدم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة
محرقة في الأصل ، فهي في ط ، س « يجمل » وفي هـ : « يجمد » . وكتب
في هامشة س : « خ يجمد خ جمه » وكل أولئك بحرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يفتش البكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكَرُ يقاتِلُ في زمن الهَيْج ، فلا يدَعُ خنزيراً إلا قتلَه ، ويدنو من الشَّجَرَةِ ويدلِّكُ جلده ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكره الخنازير تطرد الذَّكُورَةُ عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعاً ، وكذلك الثَّيْرَانُ والسَّكَبَاشُ والتَّيُوسُ في أقطبيهما ، وهي قبل ذلك الزَّمان ^(١) متسالة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة ^(٢) لا يدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنو من هَجْمَتِهِ ^(٣) .
والجمل خاصَّةً يكره قُربَ الفَرَسِ ، ويقاتله أبداً .
ومثل هذا يعرض للذَّئْبَةِ والذَّئْبِ . والأسد ليس ذلك من صفاتها ، لأنَّ بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفر دكل واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذَّئْبَةِ الأنثى جِراء ^(٤) ساءت أخلاقها وصُعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيال : يسوء خلقها في ذلك الزَّمان ، والفيالون يحمونها النَّزْوُ ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزَّمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجعلان على النَّاسِ ؛ لمكان الألفة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جِراء : جمع جرو ، وهو ولدنا . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ الناس أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ریحاً في زمانٍ هينِجها ، فلا يباعدون الذُّكُورَ عنها ، وإذا اعترأها ذلك ركضت ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العرض لإناث الخنازير . فإذا^(١) كان زمنُ هياج الخنازير ، تطأطي رعوها ، وتحرك أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغير أصواتها إذا طلبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرة السِّفادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنُوصاً^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيرة لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت ذلك^(٣) تسكني بنزوة واحدة .

ويُعلَفُ الذُّكُورُ الشعيرَ في أوان النَّزْو ، ويصلح للأنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والحافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثيراً من الخنازير تبقى خمسة عشر عاماً . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تنجب كما يريدون . وأجود الأنزؤ أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة ^(١) بكرًا ولدت جراءاً ضعافاً ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير ^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَاللَّنَطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّيِّئُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ ^(٣) ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أكل به لغير الله : أى ما رفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فانت . واللنطيحة : التى نطحتها غيرها فانت . وما أكل السيئ : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التماسر بالأقداح على الجزور .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ أَنْذَرْتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْهَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحتل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيب ، يريدون العذوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعيرِ والأرزِ طيبٌ ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فم طيبٌ الرِّيحُ ، وكذلك البرِّ ، يريدون أنه سليم من اللُّثْنِ ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيبٌ ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطَّاغُوتَ » . وقرئ : « عابد الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » نعت كلفظ . ويقط ، و « عبدة الطَّاغُوتَ » ، و « عبد الطَّاغُوتَ » جمع كخدم . والطَّاغُوتُ منصوبة في قراءة حفص ، بجرورة في القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه في معصية الله .
(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز في الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوها ، في أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله في (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره في ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لم الطيبات والتلاوة » ويحل . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسُ المَغْنِيُّ لبعض^(١) ولد عثمان بن عفان^(٢) : لقد شهدت
زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . يريد الطهارة . ولو قال : شهدت
زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسن ذلك ؛ لأن قولك طيب إنما
يدل على قدر ما اتصل به من الكلام . وقد قال الشاعر^(٣) :

والطيبون معاقِد الأزر^(٤)

وقد يخلو الرجلُ بالمرأة فيقول : وجدتُها طيبة . يريد طيبة الكوم^(٥)
لتذيدة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيب الخلق ، فإنما يريدون الظرف
والملح^(٦) .

وقال الله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَرْيَجٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليست بالضعيفة ولا القوية .

(١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبض الرسول ، وقطم يوم وفاة أبي بكر ، وخنن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أو أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في الليان : « بآي أنت وأمي ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الحرث بن بنت حفان ، من مريثة لما ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبيعي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم .
الخرافة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معتزك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي لشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من

الإنسان . والمغنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحاة .

ويقال : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ^(١) كانت طيبة الحواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم قال : ﴿ الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليل على أن التأويل في امرأة نوح وامرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثير من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحَ وَامْرَأةَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا ﴾ . فدل ذلك على أنه لم يعن الخيانة في الفرج :

وقد يقع اسم الخيانة على ضروب : أولها المال ، ثم يشتق من الخيانة عن المال الغش في النصيحة والمشاورة . وليس لأحد أن يوجه الخبر إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرّم الرُّسُل ، على أسمع الوجوه ، إذا كان للخبر مذهب في السلامة ، أو في القصور على أدنى العيوب^(٢) . وقد علمنا أن الخيانة لا تتخطى إلى الفرج حتى^(٣) تبتدىء بالمال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، ه : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقلوه : طيب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك ^(١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ فمن اضطرَّ غيرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
٢١
ألا أراد قد ذكر أصناف ما حرَّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتَةٍ
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ ^(١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي
خصَّه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس مما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، ه : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إن قيل ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخ صورة القرد ،
فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرم ، ثم خصه أيضاً أنه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إن العرب لم تكن تأكل القرد ،
ولا تلتبس صيدها للأكل . وكل من تنصر من ملوك الروم والحبشة
والصين ، وكل من تمجس من ملك أو سوق ، فإثمهم كانوا يرون للحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأن لحومها مما تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القرد ، والتقدير ^(٣)
منها ما يغني عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدير ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْعِزَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ۝ ﴾ .

(١) زيادة يقتضيه الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) غير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر الخلب والخاص أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحداها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالعص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
معرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالسكذب والظلم والغشم^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تخل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بيان خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يقيح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا مما يحرم بعينه وبذاته ، لأنه^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه .
وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختباراً ، كمنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القتل ثم أحياهما جميعاً . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلکؤ والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنّت^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقيح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلکؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلکي » هـ : « التلطي »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس الملل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالاً زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عز وجل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنما يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظر إلى فلان ، على معنى الاستئصال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خِتْلَكُمْ (٥) كَشَى خِنْزِيرَةً إِلَى عَدِيرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادىء بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) في الأصل : « الاستئصال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعتكم » ، وصوابه « خلقتكم » كما سبق

في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غيرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نِعْمَ جَارُ الْخَزِيرَةِ الْمَرْضِعُ الْغَرَّ نَى إِذَا مَا غَدَا ، أَبُو كَلْثُومٍ (٢)
طَاوِيًّا قَدْ أَضَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثُرَيْدٍ مُلَبِّدٍ مَادُومٍ (٣)
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ سَ قَالَتْ كَالْمِغْلَفِ الْمَهْدُومِ
(جَرِيرٌ وَالْحَضْرَمِيُّ)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشام ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ يشتمه ؟ فقالوا : ما أحدٌ يُقدِّمُ عليه ! قال : فأنا أشتمه ويرضى ويَضْحَك ! قال : فقام إليه فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قَرَبَ اللهَ دَارَكَ ولا حَيًّا مَزَارَكَ ! يا كَلْبُ ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال له : رَضِيتَ في شَرَفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَقْفَاكَ أَنْ تَهَاجِيَ الْقِرَدَةَ الْعَاجِزَ (٥) ؟ ! يعني الفرزدق . فضحك . فحدثَ صديقٌ لي أبا الصَّلَعِ السُّنْدِيَّ (٦) بهذا الحديث ، قال : فشعري أعجبُ من هذا ؛ لأني شتمت البُخْلَاءَ ، فشتمت نفسي بأشدَّ مما شتمتهم . فقال : وما هو ؟ قال قولي :

لَا تَرَى بَيْتَ هِجَاءٍ أَبَدًا يُسْمَعُ مِنِّي
الهِجَاءُ أَرْفَعُ يَمْنُ قَدْرُهُ يَصْغُرُ غَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عدي ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
- (٢) الفرقي ، بالعين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرقي » صوابه في ط ، س والبيان (٣ : ٣١١) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملبيق » . والمادوم : المخلوط بالآدم بالنسب ، وهو ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأغباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، هـ .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم ٣١١ باسم « أبو الصلغ » في حرف الصاد المعجمة . هـ : « الهندي » .
- (٧) س : « ينقص غني » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحداً يسخر بالناس ، ويدعى أنه يرقى من
الضُّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه من يشتكى ضرسه قال له
إذا رقاها : إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ إذا صِرْتَ إلى فراشك القِرْدَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ذَكَرْتَهُ
بَطَلْتَ الرُّقِيَّةَ ! فكان — إذا أَوَى إلى فراشه — أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ
ذِكْرُ القِرْدِ ، ويبيت على حاله من ذلك الْوَجَعِ ، فيغدو إلى الذى رقاها ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بَيْتٌ وَجِعًا ! فيقول : لَعَلَّكَ
ذَكَرْتَ القِرْدَ ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ نَمٍّ لَمْ تَنْتَفِعَ بِالرُّقِيَّةِ !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفَاءِ الْكُوفِيِّينَ :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوُخَ أَشْرَبُ وَإِنْ كَانَتْ مَعْتَقَةً عَقَارًا (١)
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوُخَ آكُلٌ وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيضًا صِغَارًا (٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى .
والعقار ، بالضم : الحمر ؛ لمآقرتها ، أى ملازماتها اللدن ، أو لمقرها شاربها
عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأغنياء
(٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية ^(١) :

فَمَنْ مَبْلِغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَثَانَةَ
تَعَلَّقُوا أَبَا قَيْسٍ بِهَا إِنَّ أَطْعَمَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانٌ ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أَنَّ بَشَّاراً الْأَعْمَى ، لَمْ يَجْزَعْ مِنْ هَجَاءِ قَطُّ كَجَزَعِهِ مِنْ

بَيْتِ حَمَّادٍ عَجْرِدٍ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَيَا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، هـ وأمالى الزجاجي ٤٦

والخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :

٧٧) أَنَّ الْقَائِلَ بِمَضَى شِعْرَاءِ الشَّامِ ، وَكَذَا فِي مِبَاهِجِ الْفِكَرِ ١٢٢ . وَلِلْبَيْتَيْنِ قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ

فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ لَهُ قِرْدٌ يَلْعَبُ بِهِ ، فَلَامَهُ النَّاسُ عَلَى اخْتِزَافِهِ ، فَأَمَرَ

بِهِ فَشَدَّ عَلَى أَثَانٍ وَحَشِيَّةٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَتْ ، وَأَمَرَ أَنْ تَطْلُبَهُ الْخَيْلُ ، فَرَكِضَ الْخَيْلُ ، وَتَنَادَتْ

الْفَرَسَانُ فِي طَلْبِهِ فَتَجَا وَلَمْ يَدْرِكْ . وَأَنشَدَ يَزِيدُ الْبَيْتَيْنِ الْآتَيْنِ (بِرِوَايَةِ أُخْرَى) :

تَمَسَكَ أَبَا قَيْسٍ عَلَى أَرْحِيَّةٍ فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانٌ

فَقُلْتُ مِنَ الشَّخْصِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَثَانُ

قُلْتُ : وَمَعْنَى اللَّعِبِ بِالْقِرْدِ هُوَ السِّبَاقُ بِهِ . وَيَتَضَحَّ ذَلِكُ مِنَ النَّصِّ الْآتِي

عَنْ نَهَايَةِ الْأَرَبِ : « وَفِي الْقِرْدِ مِنْ قَبُولِ التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ عَنْ أَحَدٍ ،

حَتَّى إِنَّهُ دَرَبُ قِرْدٍ لِيَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ عَلَى رُكُوبِ الْخَيْمِ وَالْمَسَابَقَةِ عَلَيْهَا » .

(٢) أَبُو قَيْسٍ : كُنْيَةُ الْقِرْدِ ، كَمَا فِي الْخَصَصِ . بِهَا : أَيُّ بِالْأَتَانِ .

(شعر في الهجاء)

وقال بُشَيْر بن أَبِي جَذِيعَةَ الْعَبْسِيُّ (١) :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةٍ وهل يستعدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرَانِ (٢)
أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٌ وَسَطُ كُلِّ مَكَانِ
لَقَدْ مِمَّنْتَ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ (٣)

الأصمعي (٤) عن أَبِي الْأَشْهَبِ (٥) عن أَبِي السَّلِيلِ قَالَ : مَا أَبَالِي أَخْزِرًا
رَأَيْتُ يُجْرُ بِرَجْلِهِ (٦) ، أَوْ مِثْلُ (٧) عَبِيدٍ يَنَادِي : يَا لَ غُلَانِ !

(١) هو بُشَيْر ، بهيئة التصغير ، ابن أَبِي جَذِيعَةَ بن الْحَكَمِ بن مروان بن زَيْنَاعِ بن جَذِيعَةَ
الْعَبْسِيِّ ، ذكره الْأَمْدِيُّ في الْمُؤْتَلَفِ والمُخْتَلَفِ ٦١ . وروى له أَبُو تَمَامٍ الْأَبْيَاتَ
الْآتِيَةَ في حَمَاتِهِ (٢ : ١٨٢) . وفي الْأَصْلِ : « بَشَرُ بنِ الْهَنْتَلِيِّ » ، وهو
تَحْرِيفٌ غَيْرُ صَالِحٍ .

(٢) تَخْطُرُ : من غَطَرَ الْعَبِيرُ : ضَرَبَ بِذَنْبِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَالْكَبْرَةُ ، بِالْكَسْرِ :
الْعُظْمَةُ ، أَوْ التَّجْبِرُ . يَقُولُ لِقَبِيلِ حَذِيمٍ : أَعْتَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِمَارَاةِ الْأَشْرَافِ ؟ !
وَجَعَلْتُمْ قُرُودًا لِحُسْنِهِمْ . وَالْقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يَخْطُرُ بِهِ . وَرَوَايَةُ الْهَاجِصَةِ : « أَتَخْطُرُ
لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدُ حَذِيمٍ .

(٣) سَأَلَ أَبُو الْهَنْتَلِيِّ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ : كُنِيَ بِالْقِرْدَانِ هُنَا عَنْ الْقَعْلِ . أَيْ
سَمِنَتْ أَجْسَادُهُمْ وَعُظِمَتْ ، وَدَقَّتْ أَحْسَابُهُمْ وَلَوْثَتْ . وَأَصْلُ الْقِرْدَانِ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ
قِرْدٍ بِالْقَصَمِ ، وَهُوَ دَوْبِيَّةٌ تَلْزِمُ الْإِبِلَ وَمَعَاطِنَهَا . وَرَوَاهُ أَبُو تَمَامٍ : « قَعْدَانُكُمْ »
جَمْعُ قَعْدٍ ، وَهُوَ الذَّكَرُ الشَّابُّ مِنَ الْإِبِلِ . جَعَلَ قَعْدَانَهُمْ سَمِينَةً لِأَنَّهُمْ يُؤْتِرُونَهَا
بِالْبَلَنِ عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ ، فَأَحْسَابُهُمْ غَيْرُ سِمَانٍ . وَقَدْ رَدَّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ رَوَايَةَ
أَبِي تَمَامٍ . الْبَرَزِيُّ (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س ، ه .

(٥) س : « ابْنُ الْأَشْهَبِ » .

(٦) س : « بِرَجْلِهِ » .

(٧) س : « قَتِيلٌ » .

(استطراد لغوى)

الأصمعيُّ عن أبي ظبيان^(١) قال : الخُوزُ^(٢) هم البُناة^(٣) الذين بنوا الصَّرح^(٤) واسمُّهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ، فجعلت العرب خُوك^(٦) خُوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و[قد] قال النَّاسُ في المِسْخِ بأقوالٍ مختلفة : فمنهم من زعم أنَّ المِسْخَ لا يتناسل ولا يبقى إلَّا بقدر ما يكون موعظةً وعبرة ، فقطعوا على ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنَّه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبُّ والجُرِّيُّ^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأم التي مسخت في هذه الصُّور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباه^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ماصن^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذي

(١) لم أذكر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، هـ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر يختصم . عن المعجم .

(٥) في الأصل ، وهو هنا س : « خزر » وتصحيحه من معجمي استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجري : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله . انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ ص ٥) .

(١٠) س ، هـ : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير الماقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل في أجراء غير بني آدم مجراهم في الإخبار عنه) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنه كان في بيتها رمع موضوع ، فقيل =

نرى ^(١) هو من ولده ، حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل ^(٢) ، وفي الزهرة ^(٣) ، وفي هاروت وماروت ^(٤) ، وفي قبرى وعبرى أبوى ذى القرنين ^(٥) ، وجزمهم ^(٦) ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أتى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السيرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذلك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل

يختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذلك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم

فسخنها الله شهاباً . تأويل يختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما

الشهوة ، فتمرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم

صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير

البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه

في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع جباروت

وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » .

انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا

لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان

لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فلم السحر

لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباه الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب

٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبرلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨)

وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قبرى وعبرى » بالمثناة التحتية . وفي ط :

« فزى وعبرى » و ه : « فزى وعزى » و س (فزى — مهلة — وعبرى)

أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو

أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨)

وثمار القلوب . جاء في الأصل بضمه : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة

كما ظهر لك . وجاء في ط ، ه : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .

(٦) جزمهم هذا هو ابن يقطين بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

فأما القول في نفس المسخ فإنَّ الناس اختلفوا في ذلك : فأما الدهرية فهم في ذلك صنفان : فمنهم من جحد المسخ وأقرَّ بالحسف ^(١) والريح والطوفان ، وجعل الحسف كالزلزال ، وزعم أنه يقرُّ من القذف بما كان من البرد الكبير ^(٢) ، فأما الحجارة فإنها لا تجيء من جهة السماء . وقال : لست أجوز إلا ما اجتمعت عليه الأمة أنه قد يحدث في العالم . فأنكر المسخ البتة .

(أثر البيثة)

وقال الصنف الآخر لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم ^(٣) وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم ^(٤) على الأيام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاخ بن عمرو الجرمي . والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصي الله فأهبط إلى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) : ١٨٧ ص ٧ . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والأدنى — في زعمهم — « العليان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أي أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كيّاراً . فأما سقوط الحجارة من السماء لتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٣٣ . في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماثم » ، صوابه في س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد باجوج
ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف
انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل
والدواب وجميع ماشيتهم : من سبيع وبهيمه ، على طبائعهم . وترى جرادة
البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وراها^(٣) في غير الحضرة على غير ذلك .
وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وراها في رأس الشيخ
الأبيض الشعر بيضاء ، وراها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الحمل
الأورق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء . فلئن نصل
خضابه صار فيها سُكَّلة من بين بيض وحمَر .

وقد نرى حرّة بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ،
وبهيمه وطار ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين
خصائصهم المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، ين من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين
المسعودي طباعهم بأنهم في عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وراها » .

(٤) الشمط محرّكة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس .
وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليست في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف
ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهباء نحو الشمط . والأورق
من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكّلة ، بالفهم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكّلة » ، محرف .

(٦) الحرّة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحمرت بالنار : وسليم ،
هو بهيمة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه
الحرّة في عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرّة ، في رسائل
الجاحظ ٧٨ سمي وتمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان^(١) ، ولم أذئاب إلا تكن كأذئاب التماسيح والأسد والبقر والحيل وإلا كأذئاب السلاحف والجُرْذَان ، فقد كان لهم عُجُوبٌ^(٢) طَوَالٌ كالأذئاب .

وربما رأينا الملاح النَّبْطِي في بعض الجعفریات^(٣) على وجهه شبه القِرْد . وربما رأينا الرَّجُلَ من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ ، إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد ، والماء الحَبِيث ، والتربة الرديئة ، ناساً في صفوة هؤلاء المغربيين^(٤) والأنباط ، ويكونون جهالاً ، فلا^(٥) يرتحلون ؛ ضنَّانة^(٦) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زاد في تلك الشعور ، وفي تلك الأذئاب ، وفي تلك الألوان الشُّقْر ، وفي تلك الصُّور المناسبة للقروء .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أن الموضع الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور القروء . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهبِّ الريح الشمالى ، والأخرى

(١) بيسان في هذه قرية من قرى الموصل . وأنظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣ في رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما في س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنَّانة بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخل .

في مهبط الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهر واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطباع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك يناقض لقولنا ، ولا مثبت
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتم ليس بمحال ، ولا بُنكر أن يحدث
في العالم برهانات ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنما عرفنا ذلك من قبلهم . ولولا ذلك لكان الذي
قلتم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثم خبر بذلك نبي ، أو دعا به نبي ، لكان ذلك أعظم الحجة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنه إذا جاز أن يقلب الله خردة من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأقبحهم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - ليكان لا يشكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميع من قال بالطَّبائع ولم يذهب مذهب جهم ^(٢) ، وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن المنسِّي ^(٤) يذكر الفرد :

فَهَلَّا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ تَوَائِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد الطَّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة المفتي ؛ إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْبَانَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ ﴾ فذكر اللَّحْمَ دُونَ الشَّحْمِ ، ودُونَ الرَّأْسِ ، ودُونَ الْمُخِّ ، ودُونَ الْعَصَبِ ،

(١) أي القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر الحارث بن شريع ، الخارج على أمراء خراسان ؛ فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « الفردى » ، وفي لسان الميزان ٢ : ٢٣٠ وكذا التوق بين الفرق ٢٠٢ : « الفرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن التديم في غير ما موضع . قال ابن التديم : « من الحيرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسبح بأبي الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن المنسِّي » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفرع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

تودون سائر أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك ^(١) الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه . وليس بين ذِكْر اللَّحْمِ والعظم فرق ، ولا بين اللَّحْمِ والشَّحْمِ فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمْت عليْكم الميتة والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشَّحْم ، وإنَّما ذكر ^(٢) اللَّحْم ، فلم تحرِّم الشَّحْم ؛ وما بالكم تحرِّمون الشَّحْم عند ذكر غير الشَّحْم ! فهلاً حرِّمْت اللحم بالكتاب ، وحرِّمْت ما سواه بالخبر الذي لا يدفع ؟ ! فإن بقيت خصلة أو خصلتان مما لم تضيفوا ذكره في كتاب منزه ، وفي أثر لا يدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عادات ، وكلاماً ^(٣) يعرف كلُّ شيء بموضعه ، وإنَّما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كيله : اشتر لي بهذا الدينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللحم فيه الشَّحْم والعظم ، والعرق والعصب والغضروف ، والفؤاد والطَّحال ، والرَّئْة ، وبيعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحم ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَيْتَا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلْبَسُونَهَا ﴾ . فإن كان الرِّسُول ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « فكذاك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » ه : « وكلاما ما » ، وثبتت الصواب من س .

والجزور . ولو أن رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللناس أن يصبغوا كلامهم حيث أحبوا ، إذا كان لهم مجاز ، إلا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للبخيزير جلد ، كما أنه ليس للإنسان جلد إلا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنما الجلد ما يُسلخ ويُدحس^(١) فيتبرأ مما كان به ملتزقاً^(٢) ولم يكن ملتحمًا ، كفرق ما بين جلد الخوصلة والعرفين^(٣) .

فإن سألت عن الشعر ، وعن جلد المنخنة والموقودة والمتردية والنطحة وما أكل السبع^(٤) ، فإني أزعم أن جلده لا يُدبغ ولا يَنْتَفِعُ به إلا الأساكفة ، والقول في ذلك أنه كله محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ ﴾ ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً ، وإن كان لا يعمل بالمشقَب والمشار ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمى العيرَ اطميمة^(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد . وتقول : هذه طُعمُن فلان ؛ للهوارج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثر من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . والطميمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقصد ، وصار في أعظم الأجزاء
 قدراً ، دخل سائر تلك الأجزاء في اسمه . ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم
 ومفرداً في جميع الشحام ، كشحوم الكلى^(١) والثروب ، لم يجز ذلك .
 وإذا تكلمت على المفردات لم يكن المخ لحماً ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
 ولا الشحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
 ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْتَةُ اللَّحْمِ وَحَلْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
 المشبهة باللحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم ، كان القول واقعا ٢٧
 على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَانَا فَالْهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
 لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل في بعض الكلام ، فسنذكر
 شأن الهدهد والمسألة في ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
 لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكُتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
 يعنى الهدهد . فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له — والعقوبة لا تكون

(١) في الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الهداء ، بفتح الهمزة بعدها دال مهملة : طعام القدوة ، بالضم ، وهى أول النهار .
 والهام : الروس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من الناء . وفى هـ ، بـ : « لا يعنى » بالياء .

(٤) في الأصل : « أولا يأتينى » .

إلا على المعصية لبشرى آدمي لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصية لله إلا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة - وفي قوله لسليمان : ﴿ أَحَطَّ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثم قال بعد أن عرف فصل^(١) ما بين الملوك والسوقة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظم^(٢) عرشها ، وكثرة ما أوتيت^(٣) في ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعرّف^(٤) السجود للشمس وأنكر المعاصي . ثم قال : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٥) ، ويتعجب من سجودهم لغير الله . ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السر والعلانية . ثم قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) في الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) في ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أي الهدى .

(٥) قرأ حفص وعلي والكسائي بالتاء التفوية على الخطاب ، والباقون بالتعمية على الغيب

غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَلَئِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا
جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُحْمَدُونَنِي ^(١) عَمَالٌ قَالُوا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكَ أَنَّهَا قَالَتْ : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ
بِهَدْيَةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ثم ^(٢)] قال سليمان للهدهد :
﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيْكُمُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ
هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَا عَمَّا يُشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ،
فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف
والثواب ، والولاية ^(٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛
لأن المعرفة توجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة
والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداهد أن
يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والذميرى ^(٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحزة بإثباتها
وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقيون يحذفونها وصلا
ووقفا . غيث التنفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الذميرى ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهرى =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة ، والفلة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأمم ، تُقدِّمها عليه في المعرفة — فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدِّمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب^(٢) ، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام ، فإن الحمام كان رائد نوح على نبيينا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إن الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا من عُرْضِ الهداهد^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهد بجملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، ولكِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هِدْهَدًا ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، وكذلك حمار عَزِيز ، وكذلك ذئب أَهْبَانَ بْنِ أَوْس^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= يضم الدال ، وهر الرجل الممن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فقالوا بينهم ، رقما للاتيسار . شرح الشافعية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القاتل بقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : يضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عملَ أجرا النَّاس ، كما لا يستطيع أجراً النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلي الناس . فبأعمال المجانين والعُقلاء عرفنا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها ^(١) ، وباختلاف أعمال الأطفال والكهول عرفنا مقدارهما في الضعف ^(٢) والقوّة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فصلنا ^(٣) بين الجماد والحيوان ، والعالم وأعلم منه ، والجاهل وأجهل منه ^(٤) . ولو كان عند السّباع والبهايم ما عند الحكماء والأدباء ، والوزراء والخلفاء ٢٩ والأئم ^(٥) والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمار تلك العقول . وهذا باب لا يخطئ فيه إلاّ المانيّة ^(٦) وأصحاب الجهالات فقط . فأما عوام

(١) في الأصل : « وفسادها » . والفسير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحّة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « في الضميف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالصاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأئم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » وفي تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كوثين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في ملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنات النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سمة صدر ، فزحوا إليهم في أيام بنى أمية ؟ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم ، وكان يرى بالفردقة . حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مئاني) وهي نسبة شاذة ، و (مانيوي) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشفوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « مئاني » نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يُتفاضل بالبيان والحفظ ، وبنسق المحفوظ ^(١) . فأمّا المعرفة فنحن فيها سواء . ولم نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدار معارف الحيوان إلاّ بما يظهر منها ^(٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأنّ عيسى عليه السلام خلق من غير ذكرٍ وإنما خلق من أنثى ، وأنّ آدمَ وحواءَ خلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنّ عيسى تكلم في المهد ، وأنّ يحيى بن زكريّا نطق بالحكمة في الصّبا ، وأنّ عقياً ألّقح ، وأنّ عاقراً ولدت ^(٣) ، وبأشياء كثيرة خرجت خارجة عن نسق العادة ^(٤) . فالسبب الذى به عرفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدار من المعرفة ، دون ما توهمتم وفوق ما مع الهدهد . ومتى سألتونا عن الحجّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرّ بأنّ من دخل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجاربٍ وتمرينٍ وترتيب . فسألتكم عما ألهم الهدهد ، هى المسألة عمّا ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا فى هـ . وفى ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأى عاقر » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت يا ويلى ما ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ » .

فإن قال قائل : فإن [كان ^(١)] ذلك القول كله ، الذى كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال ﴿لَاعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجل ابنه - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحد على ذلك الوعيد . ويكذب فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو فى ذلك قد حسن خطه ، وجاد حسابيه ، وشدا من النحو [والعروض ^(٢)] والفرائض ^(٣) شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و ^(٤)] أجاب فى الفتيا بكلام فوق معانى الهدهد فى اللطافة والغموض . وهو فى ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض ^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك فى الهدهد لأن سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام والذئب ، والعناق ^(٦) والجدى . والذئب سبيل من سبيل منايهم . فلو ذبحه سليمان لم يكن فى ذلك إلا بقدر التقديم والتأخير ، وإلا بقدر صرف ^(٧) ٣٠ ما بين أن يموت حتف أنفه ، أو يموت بالذئب . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفى ط : « الفرائض » ، صوابه فى س .

(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .

(٥) ط : « الفرض » ، صوابه فى س ، ه .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه فى س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين ديرة^(١) . ولعلّ نتف جناحه ينفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهداهد بعينه حق ما دلّت عليه الآية ، ولم ينجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نكن^(٢) كمن ينكر قدرة الله على أن يركب^(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنّا لو تأوّلنا الذبيح على مثال تأويل قولنا في ذبح إبراهيم وإسماعيل^(٥) عليهما السلام — وإنما كان ذلك ذبحاً في المعنى لغيره^(٦) — أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويقلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم ينجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الهداه : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مريبلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسي : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدري . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتنازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكمال لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسمحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير في الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردا البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والمشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسمحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكباش ، فإن إسماعيل ، أو إسمحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه يذبحه ، ووقع الذبيح فعلا على الكباش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القاتل : أمّا أنا فقد ذبحته وضربت عنقه ، ولكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْكُ الذَّبِيح^(١) ، أو على قولهم : فجئت وقد ذَبَحَني العطش - لكان ذلك مجازاً .

ولو أن صبيّاً من صبياننا سُئِلَ ، قبل أن يبلغَ فرضَ البلوغِ ساعة ، [وكان^(٢)] رأى مَلَكةً سبياً^(٣) في جميعِ حالاتها ، لما كان بعيداً ولا ممْتعاً أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلَكةً ، ورأيتها تسجُدُ للشمس من دون الله ، ورأيتها تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وتَعْصِي الرَّحْمَنَ . ولا سيما إن كانَ من صبيان الخلفاء والوزراء ، أو من صبيان الأعراب .
والدليل على أنَّ ذلك الهدهد كان مسحوراً وميسراً ، مُضِيّه إلى اليمن ، ورجوعه من ساعته .

ولم يكن من الطَّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدليل على ذلك أنَّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلَّ ما ذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضيت بطلاً هارباً من العمل ، أنْ تُكْذِبَ أم تنجح ، أو ترى أعجوبةً أو لا تراها . ولكنّه توعّده على ظاهر الرأى ، ونافره القول ؛ ليُظْهِرَ الآيَةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثمَّ طعنَ في ملكِ سليمانَ ومَلَكةٍ سبياً ، ناسٌ من الدهرية ، وقالوا^(٤) : زعمتم أن سليمان سأل ربّه [فقال] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

(١) أي الذي شقت فآرته . وفأرة المسك : نافجته ، أي وعازه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) ليست في س . ويدلها في هـ : « سبياً » ، بحرفة عما أثبت من ط .

(٤) في الأصل : « وقال » .

وأن الله تعالى أعطاه ذلك ، فلسكه على الجن فضلاً عن الإنس ، وعلمه منطق الطير ، وسخر له الريح ، فكانت الجن له خولاً ، والرياح له مسخرة ثم زعمتم - وهو لما بالشام ولما بسواد العراق - أنه لا يعرف بالين ملسكة هذه صفتها . وملوكنا اليوم دون سليمان في القدرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخزر ، ولا صاحب الروم ، ولا صاحب الترك ، ولا صاحب التوبة . وكيف يجهل سليمان موضع هذه الملسكة ، مع قرب دارها واتصال بلادها ! وليس دونها بحار ولا أوعار ، والطريق نهج للخف والحافر والقدم ^(١) . فكيف والجن والإنس طوعً بينه . ولو كان ، حين خبره الهدد بمكانها ، أضرب عنها صفحاً ، لكان لقائل أن يقول : ما أناه الهدد إلا بأمر يعرفه . فهذا وما أشبهه دليل على فساد أخباركم .

قلنا : إن الدنيا إذا خلاها الله وتدير أهلها ، ومجاري أمورها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن زعم أن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان أنبه أهل زمانه ، لأنه نبي ابن نبي . وكان يوسف وزير ملك مصر من النباهة بالموضع الذي لا يدفع ^(٢) ، وله البرد ^(٣) ، وإليه يرجع جواب الأخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ، ولا يوسف مكان يعقوب عليهما السلام - دهرًا من الدهور ، مع النباهة ، والقدرة ، واتصال الدار . وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ^(٤) ، فقد

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، ه : « الخف » صوابه في س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، ه : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنس في س « والملك النباهة في الموضع الذي لا يدفع » . وليس بشئ .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسرارة من أرض الشام » .

كانوا أئمة من الأمم يَتَكَسَّبُونَ^(١) أربعين عاماً ، في مقدار فراسخٍ يسيرةٍ ولا يبتدون إلى الخرج . وما كانت بلادُ التَّيَّةِ إلّا من ملاعبهم ومُنْتَزَحاتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك]^(٣) العسكرِ^(٤) الأدلاءَ والجمالين^(٥) ، والمكاريين^(٦) ، والفُيُوجَ^(٧) ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصل^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِينِ الذين يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ في كُلِّ ليلةٍ ، فَتَقُولُ^(٩) : لئنهم لو كان كلما أراد مُريدٌ^(١٠) منهم أن يصعدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قد رُجِمَ صاحبه^(١١) ، وأنَّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحدٌ منهم مع الذِّكرِ والعيانِ .

-
- (١) تسكع : ذهب في ضلاليه . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ما أثبت من س .
 (٢) كذا بتقديم النون في الأصل .
 (٣) الزيادة من س ، هـ .
 (٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليلكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .
 (٥) الجمالين ، بالجمع . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .
 (٦) المكاريين : جمع مكار . والمكاري : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .
 (٧) الفُيُوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرباً من « بك » بالفارسية . ط ، س : « الفُيُوج » ، صوابه في هـ .
 (٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .
 (٩) ط ، هـ : « فتقول » بالثاء ، صوابه في س .
 (١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرّد .
 (١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .
 (١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى ^(١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود ^(٢) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصرّوف القلب عن ذكر ذلك الخبر ^(٣) ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بشره الله بالظفر وتمام
الأمر ^(٤) بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة ^(٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع ^(٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكراً لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالياء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالذال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون أو يقتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢ للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه . ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا بما ألّف لهم مُسَيْلِمَةُ من ذلك الكلام ، الذي يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه . فكان لله ذلك التدبير ، الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهر يُريدُ من أصحاب العبادات والرسل ، ما يريد من

(١) س : « ليحتملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « القضية » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلة بن حبيب الحنفي من أهل النخيلة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاجاً ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « الشمس وضحاها . في ضوءها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليخشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « ياضفدع نقي نقي . كم تنقين . لالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في النخيلة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم النخيلة ، وقتل مسيلة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) في الأصل : « بني النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذى لا يُقَرُّ إِلَّا بما أوجده العيان ، وما يجرى بجرى العيان - فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علم الدَّهْرِيُّ [أَنَّا نَعْتَقِدُ ^(١)] أَن لنا رَبًّا يَخْتَرعُ الأجسامَ اختراعاً وأنه حَيٌّ لا بِحياة ، وعالمٌ لا بعلم ^(٢) ، وأنه شَيْءٌ لا ينقسم ، وليس بِذِي طُولٍ ولا عَرْضٍ ولا عُقْمٍ ، وأنَّ الأنبياءَ تحيى ^(٣) الموتى . وهذا كُلُّهُ عِنْدَ الدَّهْرِيِّ مستنكرٌ ، وإنما كان يكون له عَلَيْنَا سَبِيلٌ ^(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزاً فى القياس ، واحتجنا إلى تثبيت الربوبية وتصديق الرسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكان كونه غير مستنكرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلمٍ ، ولا عيبٍ ، فلم يبقَ له إِلَّا أن يسألنا عن الأصل الذى دعا إلى التَّوْحِيدِ ، وإلى تثبيت الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلُّنا على أَنَّهُ صِدْقٌ ، نَظَّمَهُ البليغ الذى لا يقدر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلك من الدَّلَائِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مَنْ جَاءَ بِهِ .

وفيه مسطور أَنَّ سليمانَ بْنَ داودَ غَبَرَ حِيناً - وهو مَيِّتٌ - معتمداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَبُ عنه إنْسِيٌّ ولا جِيٌّ ، والشَّيَاطِينُ مِنْهُمْ الْمَكْدُودُ بِالْعَمَلِ الشَّدِيدِ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ الْمَحْبُوسُ وَالْمُسْتَعْبَدُ ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكثود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تُجَاهَ أَعْيُنِهِمْ (٢) ، فَلَا هُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةَ وَجْهِهِ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سَقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مُعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسِّ ، ٣٣ وَنَفُوذِ الْبَصَرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى فِي هَذَا الْمَكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُؤًا (٤) وَتَسَكَّلُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِثُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقرين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالقسم والكسر والفتح . عن التماموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لَقِثُوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط .

و « ثَبَّتُوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرفَةُ^(١) التي يُلقِيها اللهُ تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا^(٢)]
 أَنَّ اللهَ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويدْكُرُ بما يشاء ، ويُنْسِيَ
 ما يشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ ورَبَضِهِ^(٣) ، وخاصَّتُهُ ، ومن
 يخدمه من الجنِّ والإنسِ والشَّياطينِ ، على الإطِّباقِ بأنَّه حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعروا به كانوا على ما لم
 يزالوا عليه . فعَلِمْنَا أَنَّ الجنَّ والشَّياطينَ كانت تُوهِمُ الأغبياءَ والعَوَامَّ ،
 والحَشَوَةَ^(٤) والسُّفَلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ — والشَّياطينَ لا تعلم
 ذلك — فأراد اللهُ أَنْ يكشفَ من أَمْرِهِم للجُحَّالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماءِ . فهذا
 وأشباهه من الأمورِ نحنُ إلى الإقرارِ به مضطرونَّ^(٥) بالحججِ الاضطراريَّةِ
 فليس لخصومنا حيلةٌ إلَّا أَنْ يوافقونا^(٦) ، وينظروا في العلةِ التي اضطرتنا
 إلى هذا القولِ ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إلَّا الصَّحِيحَ . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أَتَيْنَا من تأويلنا^(٧) .

وأما قوله : ﴿ لَا عَذَابَ لَهُ ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يكونُ بالحَبْسِ ، كما قال اللهُ

(١) الصَّرفَةُ ، بالفتح : أن يصرف اللهُ عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س :
 « الصدقة » صوابها في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الرِبَضُ ، بالتخريك : سور المدينة .

(٤) الحَشَوَةُ ، بالفهم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يوافقونا ، بتقديم اللّاف ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة
 ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أَتَيْنَا : أى قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام .

ط ، ه : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم »
 مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .
ولمَّا كَانُوا مُخَيِّسِينَ^(١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى^(٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقوم في أقل من عشر ساعة^(٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحل الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربما قتل الأسد ، وما أكثر ما يلحق
بصاحب^(٤) السيف والرَّمح ، فيضربه بِنَابِهِ ، فيقطع كل ما لقيه من جسده :
من عظم وعصب ، حتى يقتله . وربما احتال أن ينبطح^(٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغني ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيء من الحيوان كاحتمال بدنه لوقع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أَرْوَعُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا^(٦) عدا أطمع
في نفسه كل شيء ، وإذا طولب أعيا الخيل العتاق . والخنزير مع ذلك أنسل

(١) الخفيس ، هو من قولهم : إبل خفيسة : لا تمرح . ط : « محبوسين » وهي
صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، ه : « محبين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، ه : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من ه .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الخنزيرة تَضَعُ عَشْرِينَ خِنْوَصاً ، وهو مع كَثْرَةِ إنساله - مِنْ أَقْوَى الفَحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ الْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْنَأً فِي سَفَادِهِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْفَحُولَةِ ^(١) .

وإذا كَانَ الْكَلْبُ وَالذَّبُّ مَوْصُوفَيْنِ بِشِدَّةِ الْقَلْبِ ؛ لَطُولِ الْخَطِّ ^(٢) ، فَالْخِنْزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ . ٣٤

وَالْقِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلَكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغاً ^(٣) ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِخَرْطُومِهِ ، وَخَرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالْخَطُّ غَيْرُ الْخَرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وَلَهُ طَيْبٌ ، وَهُوَ طَيْبُ لَحْمِهِ وَلَحْمُ أَوْلَادِهِ ^(٤) . وإذا أَرَادُوا وَصْفَ اخْتِلَافِ ^(٥) وَدَكِ الْكُرْكِيِّ ^(٦) فِي مَرَقِ طَبِيخٍ ، قَالُوا : كَانَ إِهَالَتَهُ إِهَالَةً خِنْزِيرٍ ^(٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرِعُ إِلَيْهَا ^(٨) الْجَمُودُ . وَسَرْعَةُ جُودِ إِهَالَةٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَجْمَعُ الْفَحُولَةُ » وَلَا تَصَحُّ . وَفِي ط ، هـ زِيَادَةٌ : « هَذَا » فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ الْبَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الْخ . وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ س ، هـ .

(٤) يَدُلُّ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي هـ : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هـ . وَفِي ط ، س : « اخْتِلَافٌ » .

(٦) الْكُرْكِيُّ ، بِالْفَمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْتَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ : Grane . قَالَ الدِّمِيرِيُّ : « وَالْمَلُوكُ مَصْرَ وَأَمْرَانِهَا فِي صَيْدِهِ تَغَالُ لَا يَدْرِكُ لَحْمَهُ ، وَإِنْفَاقَ مَالٍ لَا يَسْتَطَاعُ حَصْرَهُ وَعَدَهُ » . ط : « الْكُرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٧) الْإِهَالَةُ ، بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالْوَدَكُ : الدَّمُ . هـ : « أَهَالَهُ إِهَالًا خِنْزِيرٍ » ، مَحْرَفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مَحْرَفٌ .

الماعز في الشتاء عيب . وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بمظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عظم واحتيجَ إلى صِلته في بعض الأمراض لم يلتجئَ به إلاَّ عظم الخنزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضرب فصاح لم يكن السامعُ يفصلُ بينَ صوتيه وبينَ صوت صبيٍّ مضروبٍ^(١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباقِ جميع الأُمم على شهوة أكله واستطابة لحمه ، دليلٌ على أنَّ له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخنقة ونحوها)

والمجوس زعم أنَّ المنخنقة والموقوذة والمتردية^(٢) ، وكلَّ ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه^(٣) ، فهو أطيب لحمًا وأحلى ؛ لأنَّ دمه فيه ، والدم حلوٌ

(١) وقد تبيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . ويطلق في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ مِنْ طَرِيقِ الْعَادَةِ وَالذَّيَانَةِ ، لَا مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِغْذَارِ وَالزُّهْدِ الَّذِي يَكُونُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجُرَىَّ والضَّبَابَ^(١) على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ آخَرُونَ .

وقد كانت العربُ في الجَاهِلِيَّةِ^(٢) تَأْكُلُ دَمَ الْفَصْدِ^(٣) ، وَتَفْضَلُ طَعْمَهُ ، وَتُخْبِرُ عَمَّا يورثُ مِنَ الْقُوَّةِ .

قال : وَأَيُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنَ الدَّمِ ، وَهَلِ اللَّحْمُ إِلَّا دَمٌ اسْتَحَالَ كَمَا يَسْتَحِيلُ اللَّحْمُ شَحْمًا ؟ ! وَلَكِنَّ النَّاسَ إِذَا ذَكَرُوا مَعْنَاهُ ، وَمَنْ أَيْنَ يُخْرَجُ وَكَيْفَ يُخْرَجُ ، كَانَ ذَلِكَ كَاسِرًا لهُمُ ، وَمَانِعًا مِنْ شَهْوَتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ فِي حَسَنِهَا^(٤) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ جِسْمٌ لَمْ يَصْبِغْ أَحْسَنَ مِنْهُ^(٥) . وَلَوْ لَا مَعْرِفَتُهُمْ بِقَتْلِهَا وَإِحْرَاقِهَا وَإِنْلَافِهَا ، وَالْأَلَمَ وَالْحَرْقَ الْمَوْلِدِينَ^(٦) عَنْهَا ، لَتَضَاعَفَ ذَلِكَ الْحُسْنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . وَلَهُمْ لَيَرَوْنَهَا

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فاجاهلية » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضمعوا الدم ، بعد فصدته في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنبها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، ق ، و . وفي هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإن الإنسان يستحسن قد السيف وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذي هبى له ، بدا له في أكثر ذلك ^(١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات ^(٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حق تربية ، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات ^(٣) البيض ، المنقشة الظهور — كما يبتئونها ونوموها إلا في المهد ، مع صبيانهم .

(رد على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة ^(٤) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهر شيء من المأكول ^(٥) يوجب ذلك . ٣٥
ولنمّا قلنا : إذا وجدنا الله تعالى قد مسح عبادة من عباده في صور الخنزير [دون بقية ^(٦) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعل ذلك إلا لأمر اجتمعت في الخنزير ^(٧)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقل إلا هذا

(١) بدا له : أي نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، هـ .

(٣) هذا البحث الآتي متعلق بما سبق في ص ٧٤ — ٧٧ ساني وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهي المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبنتى المعارضة بعدها من أول المجلد الثاني منها .

(٥) هـ : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْعَى وَيَحْكِي ، ويتناولُ الطَّعَامَ بيديه ويضعه في فيه ، وله أصابعُ وأظفار . وينتقِ (١) الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّدِيدَ ، وَيَلْقَنُ بالتَّلْقِينِ الكثير ، وإذا سقط في الماء غرق ولم يسبح ؛ كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة . فلم تجد النَّاسُ للذي اعتري القرد من ذلك - دونَ جميع الحيوان عِلَّةً - إلا هذه المعاني التي ذكرتها (٢) ، من مناسبة الإنسان من قبلها .

ويحكي عنه من شدة الزواج ، والغيرة على الأزواج ، ما لا يحكى مثله إلا عن الإنسان ؛ لأن الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرسُ ، إلا أنها لا تزواج . والجارُ يَغَارُ ويحمي عانتَه الدهر كُلَّهُ (٣) ، ويضربُ فيها كضربه لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزواج ولا تغار .

واجتمع في القرد الزواج والغيرة ، وهما خصصتان كريمتان ، واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نرَ وجهَ شيءٍ غير الإنسان أشبهَ صورةً وشبهاً ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبهَ فأً ووجهاً بالإنسان ، من القرد . وربما (٤) رأينا وجهَ بعضِ الحمر (٥) إذا كان ذا خطمٍ ، فلا نجدُ بَيْنَهُ وبين القردِ إلا اليسيرَ .

(١) أصله من قولهم : نَقِ العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقي بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمنقِ يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . في الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال في القرد)

وتقول ^(١) الناس : « أَكَيْسٌ مِنْ قِشَّةٍ ^(٢) » ، و « أَمْلَحُ مِنْ رُبَّاحٍ ^(٣) »
ولم يقل أحد : أكيس من خنزير ، وأملح من خنوص . وهو قول العامة :
« القرد قبيحٌ ولكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابه)

وقال النَّاسُ فِي الضَّبِّ : إِنَّهُ مِسَخٌ . وقالوا : انْظُرْ إِلَى كَفِّهِ وَأَصَابِهِ .
فَكَفَّ الْقَرْدُ وَأَصَابَهُ ^(٤) أَشْبَهُ وَأَصْنَعُ . فَقَدِمَتْ لِلْقَرْدِ عَلَى الْخَنْزِيرِ مِنْ
هَذَا الْوَجْهِ .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي لَحْمِهِ ، فَإِنَّا لَمْ نَزْعَمْ أَنَّ الْخَنْزِيرَ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي
مُسَخٌ ، وَلَا هُوَ مِنْ نَسْلِهِ ، وَلَمْ نَدْعُ لَحْمَهُ مِنْ جِهَةِ الْاسْتِقْدَارِ لَشَهْوَتِهِ فِي الْعَدِيرَةِ ،
وَنَحْنُ نَجِدُ الشَّهْوَةَ وَالْجُرْيَ ^(٥) ، وَالذَّجَاجَ ، وَالْجَرَادَ ، يَشَارِكُنُهُ فِي ذَلِكَ ،
وَلَكِنْ لِلْخِصَالِ الَّتِي عَدَدْنَا مِنْ أَسْبَابِ الْعِبَادَاتِ . وَكَيْفَ صَارَ أَحَقَّ بِأَنْ تَمْسَخَ
الْأَعْدَاءُ ^(٦) عَلَى صَوْرَتِهِ فِي خَلْقَتِهِ .

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجري : ضريان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أي أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرة لعبيد الكلابي - وأظهر من حبّ الإبل والشَّغَفِ بها ما دعاني إلى أن قلت له - : أينها وبينكم قرابة ^(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إني والله ما أعنى البَحْثانيَّ ، ولكني أعنى العَرَّاب ، التي هي أعرب ! قلت له : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرا ! قال : الله لا يمسُخُ الإنسانَ على صورةِ كريمٍ ، وإنما يمسُخه على صورةِ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد ^(٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ ^(٣) تكلم على فِطْرَتِهِ .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٤) .
وقد طعنَ ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغير علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء ^(٥) في كلِّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السَّنَةِ فرق .

(١) س : « أينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : للرجل الجافي .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدین ، أو طبرية : وكلُّ منها حاضرة البحر ، أي قرية منه .

« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »

أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :

ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يجيء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمك الأسبور ^(١) ، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبِل السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أسمى ، وهو الجواف ^(٢) ، ثم يأتيهم الأسبور ^(٣) ، على حساب مجيء الأسبور ^(٤) والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحريين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة ^(٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف ^(٦) ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » بحرف .

(٢) في الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشياء هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإزْبِيان^(١) ، والرَّق^(٢) ، والكَوْسَج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والْبَرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك مغزوف الزّمان ، متوقّع المخرَج .
وفي السّمك أوابد وقواطع ، وفيها سيّارة لا تقيم . وذلك الشّبه يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمون بخمسة السّنة^(٦) ، يهذّونها^(٧) ، سوى ما تعلّقوا به
من غيرها .

ثمّ القواطع من اللّطير قد تأتينا إلى العراق منهم^(٨) في ذلك الإِبَّانِ
جماعات كثيرة ، تَقَطُّعُ إلينا ثمّ تَعُودُ في وقتها .

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المملوف . وقد سبق الجاحظ كلام فيه ، أنظر (١ : ٢٩٧ ص ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، بحرف عما أثبت .
(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .
(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذى يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « الكرونوج » و س :
« الكرونوج » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .
(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهذونها » بالبدال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبى الخلد ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمُ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَاوَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمَ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيعِ ، وَالْأَسَابِيعُ تَدُورُ مَعَ شَهْرِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتَوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ ، وَفِيَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانٍ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيْجِ الْحَيَوَانِ وَطَلَبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاحَةِ ، وَأَوَاقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ؛ وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْقَضُ ^(٣) الْوَرَقُ وَالثَّمَارُ ؛
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامُ كَيْفَ تَلْقَى قُرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرِ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

وَلَوْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : [فِي نَسْبِي] ^(٦) أَوْ قُلْنَا لَهُ : وَمَا آيَتُكَ ؟ وَمَا عَلَامَتُكَ ؟ ٣٧
 فَقَالَ : إِذَا كَانَ فِي آخِرِ تَشْرِينِ الْآخِرِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأُسْبُورُ ^(٧) ، مِنْ جِهَةِ
 الْبَحْرِ — ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا بِهِ . وَلَوْ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
 أَوْ يَوْمُ الْأَحَدِ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ الْأُسْبُورُ ^(٧) ، حَتَّى لَا يَزَالَ يُصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينقض ، بالقاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه في س .

وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تسلخ : إذا انصرت من

جلدها . جاء في س : « تسلخ » وكلمة « الحيات » مساقطة من س

وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل يتصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأسبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراباً إذا عايننا الذي ذَكَرَ على نَسَقِهِ أَنَّهُ صادق ، وأَنَّهُ لم يعلمْ ذلك إلا من قِبَلِ خَالِقِ ذلك ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أَقرَرْنَا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدَّ والجزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ونقصانه ^(٢) ، واستسارته ^(٣) . وكلُّ شيء يأتى على هذا النِّسْقِ من المجارى ، فَإِنَّمَا الآيَةُ فِيهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مُرسى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهرٍ أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتِيكم الحيتانُ في كلِّ سبتٍ . أو قال : في كلِّ رمضانٍ . ورمضانٌ متحوِّلُ الأزمانِ في الشِّتَاءِ والصَّيفِ ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبْتُ يتحوِّلُ في جميعِ الأزمانِ . فإذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة ^(٥) فيه دالَّةٌ على توحيدِ الله تعالى ، وعلى صِدْقِ صاحبِ الخبرِ ، وأَنَّهُ رسولٌ ذلك المسخَّرُ لذلك الصَّنَفِ . وكان ^(٦) ذلك المحيُّ خارجاً من النِّسْقِ القائمِ ، والعادةِ المعروفةِ . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السلك » .

(٢) الخاق ، مائة : آخر الشهر د أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستمر القمر فلا يرى غداة ولا عشية .

(٣) استمرار القمر : أن يمتلئ ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فساراه ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسرائه » س : « استاراه » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شجرة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذكر أنه مسح ناساً خنازير قد ذكر القُرود^(١) . ولم يذكر أنه مسح قوماً خنازير ، ولم يمسح منهم قروداً^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسح على صورة القردة^(٣) أشنع ؛ إذ كان المسح على صورتها^(٤) أعظم^(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أنه قد مسح ناساً قروداً فقد كان مسح ناساً خنازير . فلم يدعْ ذِكْرَ الخنازير وذكرَ القُرودَ^(٦) إلّا والقُرودُ في هذا الباب أوجعْ وأشنعْ وأعظمُ في العقوبة ، وأدلُّ على شدة السَّخْطِ^(٧) . هذا قول بعضهم .

(١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسح قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسح بالقُرود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسح قوما قرودا ولم يمسح منهم خنازير » . وأصلحه بما ترى .

(٣) في الأصل : « القرد » بالإنفراد . ووجه الجمع كما سترى .

(٤) في الأصل : « على صورتها » ، وإنما التفسير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سياتى .

(٦) أى وحدها ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحريك ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطه لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّبَاع الحَظْم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخنزير — والفِنْطِيسَة^(١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَانَ فناطيسها كراكر الإبل^(٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خنزيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًا . وذكر أنَّ خَنَازِيرَ بعضِ البُلدانِ يكون لها ظِلْفٌ واحد ، ولا يكون بأَرْضِ نَهَاوَنْدَ حِمَارٌ ؛ لشدَّةِ برْدِ الموضع ، ولأنَّ الحِمَارَ صَرِدٌ .
وقال : في أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ^(٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتخذ بها بيتًا . وفي الجزيرة التي تسمَّى صِقْلِيَّةَ^(٤) لا يَكُونُ بها صَنْفٌ من الخُل ، الذي يسمَّى أفرشان^(٥) . ٣٨

-
- (١) الفَنْطِيسَة ، بالكسر : عظم الخنزير . وفي اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفَنْطِيسَة والفَرْطِيسَة والأَرْبَة ، أى هو منيع الخوذة حتى الأنف . أبو سعيد : فَنْطِيسَة وفَرْطِيسَة : أنفه » ، فهي قد تستعمل لغير الخنزير .
(٢) كذا على الصواب في ط . وفي هـ : « فناطيسها » ، وفي س : « فناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهي صدر كل ذى خف .
(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .
(٤) صقلىة ، بكسر الهمزة ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلىة » ولعلها لغة في تعريبها .
(٥) س : « أفرشان » بالغاء .

(قول أهل الكتابين في المسيح)

وأهل الكتابين ^(١) يُنكرون أن يكونَ الله تعالى مسيحَ النَّاسِ قروناً
وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا ^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جَنِّبْنَا التَّكَلُفَ ، وَأَعِزَّنَا مِنَ الْخُطَلِ ، وَاحْمِئْنَا مِنَ الْعُجْبِ بِمَا
يَكُونُ مِنَّا ، وَالثَّقَةِ بِمَا عِنْدَنَا ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوْحُ الكاتب
ورجالٌ من بني العنبر ، أن عندهم في رمال بلعنبر حَيَّةٌ تصيدُ العَصَافِيرَ
وَصِغَارَ الطَّيْرِ بِأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعنبر ، وامتنعت الأرض على الخافي والمتعل ، ورَمِضَ الجندب ^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأُمطر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونيات الأرض ، ونظرت امرأته من وراءه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم ويفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورَمِضَ : آله الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركوز ، أو عودٌ ثابت ^(١) ، فيجئ الطائر الصغير أو الجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادةً أو جُعلاً أو بعض مالا يُشبعها مثله ، ابتلعت ^(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دأبها ما منع الرمل جانبيه ^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عودٌ ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للجرباء ^(٤) ، إلى أن يسكن الحر ويهيج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجيب أن تكون هذه الحية تهتدي لمثل هذه الحيلة . وفي جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة اكتراث الحية بالرمل الذي عاد كالجمر ^(٥) ، وصلاح أن يكون ملة وموضعاً للخبرة ^(٦) ، ثم [أن ^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعاتٍ من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شاربغ النخل من الميدان . والجرباء : بالسكس : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألواناً : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها تتوما فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبرة : بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصح .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رجال من الصقالبة ، خصيان وفحول ، أن الحية في بلادهم تأقى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتنتوى على فخذها^(٣) ورُكبتها إلى عراقيها ، ثم تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعها ، حتى تلتقم الخلف ؛ فلا تستطيع البقرة [مع قوتها^(٤)] أن تترمرم^(٥) . فلا تزال تمصُّ اللبن ، وكلما مصت استرخت . فإذا كادت تلتف أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها في ضرعها فساد شديد تغسر مداواته^(٧) .

والحية تُعجبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناء غير مخمّر^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما في س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحملها صاحبها أيما حتى يجتمع لبنها في ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد في ثمنها . وفي الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها في س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها في نهاية الأرب : « تلتف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاءه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ ^(١) ، وَرُبَّمَا جَعَتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيَقَالُ إِنَّ اللَّبَنَ مُحْتَضَرٌ ^(٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعِمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثَّوْبَ الْمُعَصْفَرَ مُحْتَضَرٌ ^(٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعَجَّبَ بِهِ الْحَيَاتِ)

وَالْحَيَّةُ تَعَجَّبُ بِالْأَفْنَحِ ^(٤) وَالْبَطِيخِ ^(٥) ، وَبِالْحُرْفِ ^(٦) ، وَانْخَرَدَلُ الْمَرْخُوفِ ^(٧) ؛ وَتَكَرَّهُ رِيحَ السَّدَابِ ^(٨) وَالشَّيْبِ ، كَمَا تَكَرَّهُ الْوَزْغُ رِيحَ الزَّرْعَفَرَانِ .

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَعُوا : تَنَاوَلَهُ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِّهِ وَلَا بِأَنَافِهِ .

(٢) مُحْتَضَرٌ ، بِالْفَسَادِ الْمَعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ : تَحْضَرُهُ الْجِنُّ فَيُحَايِرُونَهُ ؛ قَالُوا : وَلِذَاكَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضَرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضَرٌ » س : « مُحْتَضَرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ السَّابِقَ .

(٤) الْفَنَاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتٌ عَرِيضُ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حِجْمِ الْفَنَاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدُ الْقَوَصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضَجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَاحُ الْجِنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَاكَ يُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحِلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّرْعُ يَأْتِي فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْفِظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَمِصُّهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَا يَرُونَ .

(٦) الْحُرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرِّشَادِ .

(٧) الْمَرْخُوفُ ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ الْمَسَاءَ فَاسْتَرْخَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرُفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمَزْخَرَفُ » وَفِي س : « الْمَرْخُوفُ » بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانْظُرِ لَمَقَدَ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدع إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكلتا ^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاون أجزائها . وليست بذات ^(٢) قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف ^(٣) ، تُنَشِّبُهَا في الأرض ، [و ^(٤)] تنشب بها ^(٥) . وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي ^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لذنة ملساء عَلَيْكَ ^(٧) فيحتاج الرفيق ^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها ^(٩) كالخنثف والمخنثس ، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها . فأما أذنان الأفاعي فإنها تنبت .

(١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف . وفي ط ، هـ : « بكلتي » ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : « يدي » ، ووجه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) س : « تنبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرسة : من قولهم طعام هالك وعالك ، ككثف : متين المضغة . ط ،

هـ : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضي انزلاقها من

يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تميز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهي عبارة لاتساير باقي الكلام .

(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلصه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نَابَهَا يُقَطَّعُ بالكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتمَّ نباته في أقلَّ من ثلاث ليال :

(نزع عين الخطاف)

والخطَّاف في هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطَّاف ^(٣) إذا قُلِّعَتْ
إحدى عينيه رجعت . وعينُ البرَدُونِ يركبها البَيَاضُ ، فيذهب في أيَّام
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يَحْتَالُ له بأن يُدْخِلَ في فيها حُخَّاصُ أَرْج ^(٤) ، ويطبق
لحيَّها ^(٥) الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضَّتِهَا أياماً صالحة .
والْمَغْنَطِيسُ الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

-
- (١) س : « أعاجيب » .
(٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكاز » صوابه في س ،
هو ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردن .
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، هـ . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحاصله : شحمه .
(٥) الحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحيها »
بالثنية ، صوابه الأفراد كما في س .
(٦) المغنطيس والمغنطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنطيس بفتح الميم . وكسر
النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، مغرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
(٧) الثوم ، بالضم ، ذلك الثبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب
في ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدور عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها ^(١) تحطمت في جوفها ، فترى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنها تُذبح حتى يُفترى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت : وأمرت ^(٢) الحاوى فقبض على خرزة ^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً ^(٤) . فما فتح بيدها بقدر سمِّ الإبرة حتى بردت ميته ^(٥) . وزعم أنه ^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيهه بذلك ، ثم إنه فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فانت بأسرع من الطرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : خان لما أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت

بيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، الحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن المسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَسْحُوحِ الْبَدَنِ ^(١) ، لَيْسَ يَذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلَ ^(٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ ^(٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وَزَعِمَ أَحْمَدُ بْنُ غَالِبٍ ^(٤) قَالَ : بَاعَنِي حَوَاءُ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،
وَأَهْدَى لِي خَمْسًا اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ ^(٥) ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةٍ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فُلَانُ الصَّيْدِلَانِيُّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدِلَانِيُّ
بَعِيْنُهُ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْفَصِيلِ مِنْ قَفَاهُ ^(٦) ، وَحَرَكْتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسَنُ ^(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « مسح » بالخاء المهملة ، وقد فسرهما
سائق . وفي الأصل : « مسح » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمك » .

(٤) س : « أحمد بن غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده
اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أجد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاه » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى
سَأَتَطَوَّعُ لَكَ بِأَنْ أَعْمَلَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الْجَوْنَةُ^(٣) ، فَيُغْفَلُ^(٤) الْوَاحِدَةُ فَيَقْبِضُ عَلَى قَفَاهَا بِأَسْرَعٍ مِنَ
الطَّرْفِ^(٥) ، ثُمَّ يَذْبَحُهَا . فإذا ذبحها سال من أفواها لَعَابُ أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذى يَقتُلُ ! قال : فجالت يده جَوْلَةً . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرة عَلَى طَرَفِ قَيْصِرِ الصَّيْدَلَانِ . قال : فَتَفَشَّى^(٦) ذَلِكَ الْقَاطِرُ حَتَّى
صَارَ فِي قَدْرِ الدَّرْهِمِ الْعَظِيمِ . ثُمَّ إِنَّ الْحَوَاءَ امْتَحَنَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَتَهافت

(١) النقر ، بالقاف ، أصله قَطِيرٌ ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
فى ص ١٠٩ ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهمشيارى (فى كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدغلى فى كلك حتى أدفأ ثم أخرج .
فأدخلها فلما دفعت قال لها : أخرجى ! فقالت : إني ما دخلت فى هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهمشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاى :
نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجمة ، كما سيأتى فى ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سليمة (تصغير سلة) مشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون
مع الطارئين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالخاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطلع من أغفلنا قلبه من ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال
تغفلت واستغفلته : تحييت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضا : العين .
س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغذ
رقيق فتشى فيه » . ط ، س : « فتشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً^(١) [تجول] في الطست ويكدم^(٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من^(٣) قيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت^(٤) حتى مرّ معي إلى الصيدلاني ، فأرّيته موضعه .
وأصحابنا يزعمون أن لعاب الأفاعى لا يعمل في الدم . إلا أن أحمد ابن المثنى زعم أن من الأفاعى جنساً لا يضّر الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أيّ الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسيره الثوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أن العيون التي تضيء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والتمور ، والسنانير والأفاعى ، فيينا نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياء ومقتولة^(٥) ، فقال له : حدثهم بالذي حدثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أنواع^(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قباهما .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كُنَّ عِنْدِي ، لِأُرْمِي بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْسًا وَاحِدًا ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي
تَجَمَّاهُ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَيْلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقَاتَ :
عَيْنُ غُولٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالَى ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْمَعَانِي ،
فَقَمْتُ فَقَدَحْتُ نَارًا ، وَأَخَذْتُ الْمَصْبَاحَ مَعِيَ ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ^(١) ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ ^(٢) وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا
ذَلِكَ الضُّوْءُ عَلَى حَالِهِ ، فَنَهَضْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِي الْأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِرَارًا . قَالَ : فَقُلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى ^(٣) شَيْئًا إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَحَيْتُهُ ! ٤١
فَنَحَيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرِ الضُّوْءَ ،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الْأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(قُوَّةُ بَدَنِ الْحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ)

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبْضَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ الْأَمْرِ وَالْقُوَّةِ الْقَبِيضَةَ عَلَى قِفَا الْحَيَّةِ
فَتَلْتَفُّ عَلَيْهِ فَتَصْرَعُهُ . وَفِي صُغُودِهَا وَفِي سَعِيهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ
الْخُضْرُ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَلَيْسَتْ بِذَاتِ قَوَائِمٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الْأَفْعَى مَوْثِقَةٌ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ اسْمًا وَوَصَفًا . فَنَ جَعَلَهَا وَصَفًا لَمْ يَصْرَفْ كَمَا
لَا يَصْرَفُ أَحَرٌ ، وَمَنْ جَعَلَهَا اسْمًا صَرَفَ ، كَمَا صَرَفَ أَرْنِيَا وَأَفْكَلَا . الْخُصُوصُ
(١٦ : ١٠٦) . هَذَا قَوْلُ الْفَارَسِيِّ . وَقَالَ غَيْرُهُ : « الْأَفْعَى تَقَعُ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثِقُ » .
الْخُصُوصُ (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « وَنَمْنَا » ، وَنَامَ هُنَا بِمَعْنَى رَقَدَ .

(٣) ط ، ه : « لَا أَرَى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حرَكَةِ الكل^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربما كان في البَضْعَةِ أو في الشيء الذي ابتلعته عَظْمٌ ، فتأتى جذمَ شجرةٍ ، أو حجرًا شاخصًا^(٢) فتنتوى عليه انطواءً شديدًا فيتحطّم^(٣) ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .
ثمَّ يُقَطَّعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانت برِّيَّةً ، وتعيشُ في البرِّ بعد أن طال مُكْنُها في الماء وصارت مائيَّةً .

قال : وإنما أثبتنا هذه القُوَّةَ ، واشتدَّت فقرُّ ظهرها هذه الشدَّةُ ، لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أنَّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشهر . وهى مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحَيَّةَ لا تموتُ حَتْفَ أنفها ، وإنما تموتُ بِعَرَضٍ يَعْرِضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوانِ شيءٌ هو أَصْبَرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنها إن كانت شَابَّةً فَدَخَلَتْ في حائطِ صخر ، فتنبَّعوا موضعَ مَدْخَلِها بوترٍ أو بحجرٍ^(٤) ، ثمَّ هدموا هذا الحائط ، وجدوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه في س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَةُ تُذَكِّرُ بِالصَّبْرِ عند هذه العَلَّةِ ^(١) . فَإِنْ هَرِمَتْ صَغُرَتْ
فِي بَدْنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، وَلَمْ تَشْتَهِ الطَّعْمَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ : - وَهُوَ
جَاهِلِيٌّ ^(٢) - :

فَابْتَعَتْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّيْمِ ^(٣) لَمِيْمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٍّ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمٍّ فَكُلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمٌّ ^(٤)
وهذا ^(٥) القولُ لهذا المعنى . وَفِي هَذَا الرَّجْعِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ ^(٧) الْكِبَرِ صِلَ صَفًّا مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصَرِ ^(٨)

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س :
« تذكر القصر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) الليم ، بالتحريك : ما يلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها
فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالهملة ،
صوابه فى س وفى ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما فى ديوان الماعنى

(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحامسة ابن الشجرى

٢٧٣ - ٢٧٤ . وفى مجموعة الماعنى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت

إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطلت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص
أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه فى س ، هـ .

يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لا ينطوى » ، وفى

ديوان الماعنى : « لا ينطوى » ، وفى حامسة ابن الشجرى : « ما ينطوى » ،

وهذه مصحفة .

طويلة الإطراق من غير خَفَرٍ^(١) كأنما قد ذهبت بها الفكر^(٢)

جاء بها الطوفان أيام زخر^(٣)

(صَبَرُهَا عَلَى فَقْدِ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت موصوفة بالشَّرِّ والنَّهَمِ ، وسَرَعِ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أيام الشتاء ما ليس للزَّهيد^(٤) . ثم هي بعدُ

[مِمَّا^(٥)] يصير بها الحال إلى أن تستغني عن الطَّعْمِ^(٦) .

(النَّسْ والتَّعَابِينِ)

ثم قد يزعمون أنَّ مَعَصَرَ دُوبِيَّةٍ يقال لها النَّسْ^(٧) يتخذها الناطور^(٨)

إذا اشتدَّ خوفه مِنَ التَّعَابِينِ ؛ لأنَّ هذه الدَّابَّةَ تنقبضُ وتنضمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ه : « الأطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المعاني ، ونهاية الأرب . وهو تصحييف لوجه له ، والصواب المثبت من س وحاسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « تفر » وفي س ، ه : « نفر » وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المعاني وحاسة ابن الشجرى . والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهي مؤنثة .

(٢) كذا في ط ، ه . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « زخر » بحرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة » ، وهما « قليللا الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، ه .

(٧) النَّسْ ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفًا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار في حوانيتهم . والعامّة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النَّسْ » ، وفلان عس ، يتوّن بالأول أنه حديد البصر سريع ، وبالتالي أنه المني حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعي : هو الناطور =

وَتَضَاعَلُ^(١) ، وَتَسْتَدْقُ ، حَتَّى كَانَهَا قَدِيدَةً^(٢) أَوْ قِطْعَةً حَبْلٍ ، فَإِذَا عَضَّهَا
الشَّعْبَانِ وَانطوى عليها زَفَرَتْ ، وَأَخَذَتْ بِنَفْسِهَا وَزَحَرَتْ^(٣) جَوْفَهَا فَانْتَفَخَ .
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَقَدْ انطوى عليها ، فَتَقَطَّعَهُ قِطْعًا مِنْ شِدَّةِ الزَّخَرَةِ^(٤) .
وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

وَالشَّعْبَانِ لِاحْدَى الْقَوَاتِلِ . وَزُحْمُونَ أَمَّا ثَلَاثَةُ أَجْنَاسٍ لَا يَنْجِعُ فِيهَا
رَقِيَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ ، كَالشَّعْبَانِ ، وَالْأَفْعَى ، وَالْهَنْدِيَّةُ^(٥) . وَيُقَالُ : إِنَّ مَا سِوَاهَا
فَإِنَّمَا يَقْتُلُ مَعَ مَا يُمِدُّهَا مِنَ الْفَرْعِ ، فَقَدْ يَفْعَلُ الْفَرْعُ وَحْدَهُ ، فَكَيْفَ إِذَا
قَارَنَ سُمُّهَا^(٦) ؟ ! [وَسُمُّهَا]^(٧) إِنْ لَمْ يَقْتُلْ أَمْرَضَ .

= والنبيط يعملون الفناء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
قلت : ذلك معناها التفصيل الاشتقاقى ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد
أن النبيط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاعل : تنقيش وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومعرفة
في ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصترقة القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والتقد : سيور
تقد من جلد ظفير غدير مدبوغ ، فتشد بها الأكتاب والحامل ، كما فى اللسان .
ط ، هـ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملاه ، كما فى القاموس . س : « زخرت » ، وكثبت النقطة العليا
بالمداد الأحمر ، والسفل بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزجرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نفص وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفرع في المسموم)

ويزعمون أن رجلاً قال ^(١) تحت شجرة ، فتدلّت عليه حيةٌ منها
 فعضّت رأسه ، فانتبه حمراً الوجّه ، فحكّ رأسه ، وتلفّت ^(٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
 فوضع رأسه ينام ، وأقام مدّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له ^(٣) بعضُ من
 كان رأى تدليّها عليه ثمّ تقلصّها عنه وهروها منه ^(٤) : هل علمتَ من أيّ
 شيءٍ كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
 فإنّ الحيةَ الفلانيّةَ نزلت عليك حتّى عضّت رأسك ، فلما جلست [فزعاً]
 تقلّصتُ عنك وتراجعت . ففزع فزعةً وصَرَخَ صرخةً كانت فيها نفسه .
 وكأنّهم توهّموا أنّه لما فزع واضطرب ، وقد كان ذلك السّمُّ مغموراً
 ممنوعاً فزال ما نفعه ، وأوغله ذلك الفزع ، حين ^(٥) تفتّحت منافسه ، إلى
 موضع الصّميم والدماغ وعمق البدن ، فأنحلّ موضع العقْد الذي انعقدت
 عليه أجزاؤه وأخلّطه .
 وأنشد الأصمعيّ :

نَكِيْثَةٌ تَنْهَشُهُ بِمَنْبَذٍ ^(٦)

-
- (١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .
 (٢) ط ، هـ : « وولفت » ، وأثبت ما في س واللميري .
 (٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .
 (٤) « وهروها منه » ساقط من س . وفي ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .
 (٥) في الأصل : « حتّى » .
 (٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وَأَنْشَدَ لِأَبِي دَوَادٍ الْإِبَادِيَّ :

فَأَتَانِي تَفْخِيمُ كَعْبٍ لِي الْمَذْ طَقَّ إِنَّ النِّكِيثَةَ الْإِفْحَامَ^(١)

(أثر الفزع في فعل المسم)

قال : فالْفَزَعُ إمَّا أَنْ يَكُونَ يُوصِلُ السَّمَّ إِلَى الْمَقَاتِلِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعِينًا لَهُ ، كَتَعَاوَنِ الرَّجُلَيْنِ عَلَى نَزْعِ وَتِدٍ . فَهَمْ^(٢) لَا يَجْزَمُونَ عَلَى أَنَّ الْحَيَّةَ مِنَ الْقَوَاتِلِ الْبَيْتَةَ^(٣) ، إِلَّا أَنْ تَقْتُلَ إِذَا عَضَّتْ النَّاسِمَ وَالْمَغْشَى عَلَيْهِ ، وَالطِّفْلَ الْغَرِيرَ ، وَالْمَجْنُونَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ ، وَحَتَّى تَجْرَبَ عَلَيْهِ الْأَدْوِيَّةُ .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وَكُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سَلْمُوهُ^(٤) وَابْنُ مَاسُوِيهٍ ، وَبِخْتِيشُوعَ بْنِ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : هَلْ يَنْفَعُ التَّرْيَاقُ مِنْ نَهْشَةِ

(١) التّفخيمُ : أَنْ يَجْعَلَ يَقْعَمُ أَيْ يَدْخُلُ فِي الْأَمْرِ فَجَاءَ بِهَا رُويَةً . فِي الْأَصْلِ : « تَفْخِيمُ » صَوَابُهُ فِي الشُّعْرَاءِ ١٨٩ . وَكَعْبٌ ، هُوَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ ، الرَّجُلُ الْجَوَادُ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ أَبَا دَوَادٍ شَيْءًا عَنْهُ . الشُّعْرَاءُ ١٨٩ . وَفِي الْأَصْلِ : « إِلَى الْمَطْقِ » تَصْحِيحُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَالنِّكِيثَةُ : الْخَطَّةُ الصَّعْبَةُ ، ط ، هـ : « النِّكِيثَةُ » صَوَابُهُ فِي سِ الشُّعْرَاءِ . وَالْإِفْحَامُ بِمَعْنَى التَّفْخِيمِ ، ط ، هـ : « الْإِفْحَامُ » تَصْحِيحُهُ مِنْ سِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَيْتًا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

(٢) بِدَلْ هَذِهِ السَّكَلَةِ وَالتِّي قَبْلَهَا فِي ط : « وَتَرَامِ » ، تَحْرِيفُ صَوَابِهِ فِي سِ ، هـ .

(٣) يُقَالُ : جَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ ، بِفَتْحِ الزَّايِ خَفِيفَةً ، أَوْ مُشَدَّدَةً : أَيْ سَكَتَ . س : « لَا يَجْزَمُونَ أَنَّ الْحَيَّةَ » الْفَخْ ، وَمَوْذَى الْبَيَارَتَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ التَّأَمُّلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَكَانَ أَحَدُ دَاوُدَ عِنْدَهُ سَلْمُوهُ » ، وَلِلْكَكَلَةِ الثَّانِيَةِ وَالْغَالِظَةِ يَفْسُدَانِ السَّكَلَامُ .

أفنى ؟ فقال بعضهم : إذا عَصَبَتِ الأفعى فأدركتْ قبل أن تَنْقَلِبَ ^(١) نفع الترياق ، وإن لمْ تُدْرِكْ لمْ يَنْفَعْ ، لأنهم إنْ قَلَّوْا مِنْ الترياقِ قَتَلَهُ السَّمُ ، وإنْ كَثُرُوا مِنْهُ قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عَنْ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ .

قلت : فَإِنَّ ابْنَ الْعُجُوزِ ^(٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا ^(٣) لَيْسَتْ تَنْقَلِبُ لِمَجِّ السَّمِّ وإفراغِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَفْعَى فِي نَابِهَا عَصَلٌ ^(٤) ، وَإِذَا عَصَتِ اسْتَفْرَغَتْ إِدْخَالَ النَّابِ كُلَّهُ ، وَهُوَ أَحْبَبُّ أَعْصَلٍ ^(٥) ، فِيهِ مِثَابُهُ مِنَ الشَّصِّ ^(٦) ، فَإِذَا انْقَلَبَتْ كَانَ أَسْهَلَ لِنَزْعِهِ وَسَلَّهُ . فَأَمَّا لَصَبِّ السَّمِّ وَإِفْرَاغِهِ فَلَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَعَلَّهُ مَا قُلْتُ ! [قُلْتُ] : مَا أَسْرَعَ مَا شَكِكْتَ !

ثمَّ قلتُ لَهُ : فَكَيْفَا ^(٧) وَضَعُوا الترياقَ وَاجْتَلَبُوا الْأَفْعَى وَضُئُوا ^(٨) وَعَزَمُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِدْرِكِ الْأَفْعَى قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ! وَكَيْفَ صَارَ الترياقُ بَعْدَ الْإِنْقِلَابِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنزِلَتَيْنِ : إمَّا أَنْ يَقْتُلَ بِكَرَّتِهِ ، وَإِمَّا أَلَّا يَنْفَعُ بِقَلَّتِهِ ! فَكَيْفَا الترياقُ لَيْسَ نَفْعُهُ إِلَّا [فِي] ^(٩) [الْمَنزِلَةِ الْوَسْطَى] الَّتِي لَا تَكُونُ فَاضِلَةً وَلَا نَاقِصَةً ! وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ : كَيْفَ يَكُونُ نَفْعُهُ إِذَا كَانَ الترياقُ جَيِّدًا قَوِيًّا ، وَعُوجِلَ فَسُقِيَ الْمَقْدَارَ الْأَوْسَطَ ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّمِيمَ ، وَيَغُوصَ فِي الْعُمُقِ ^(١٠) . وَعَلَى هَذَا وَضَعُ ، وَهُمْ كَانُوا أَخْزَمَ

(١) س : « تَنْقَلِبُ » .

(٢) فِي ص ٤١٩ : « ابْنُ أَبِي الْعُجُوزِ » . وَهُوَ أَحَدُ الْحَوَائِثِ .

(٣) س : « بِأَنَّ الْأَفْعَى » .

(٤) الْعَصَلُ ، بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَالتَّحْرِيكِ : الْإِعْوِجَاجُ . س ، هـ : « عَصَلٌ » مَصْحُوفٌ .

(٥) س : « أَعْصَلُ » ، بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ كَمَا فِي هـ ، ط .

(٦) هَذِهِ الْعِبَارَةُ لَيْسَتْ فِي هـ ، وَفِي ط ، س : « النَّقْصُ » . وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « فَكَيْفَا » .

(٨) كَذَا .

(٩) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ .

(١٠) أَيْ عَمِقَ الْبَدَنِ ، كَمَا مَرَّ فِي ١٢٢ س ١١ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْعَمِيقُ » .

وَأَخَذَقَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا شَيْئًا ، ومقدارُهُ من النَّفْعِ لا يُوصَلُ إلى معرفته .

ويقول بعضُ الخذاق : إِنَّ سَقَى التَّرْيَاقِ بَعْدَ النَّهْشِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ مَوْتُ الْمَنُوشِ .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمَك ؟ وبأَيِّ سَبَبٍ أَيقَنْتَ ^(١) أَنَّهَا تَمُجُّ مِنْ جَوْفِ نَابِهَا شَيْئًا ؟ ! ولعله ليس هنالك إِلَّا مَخَالَطَةُ جَوْهَرِ ذَلِكَ النَّابِ لَدِمِ الْإِنْسَانِ ! أَوَلَسْنَا قَدْ نَجَدُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ يَعْضُ صَاحِبَهُ فَيَقْتُلُهُ ، وَيَكُونُ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ ؟ ! وقد تَقَرَّرُ أَنَّ الْهِنْدِيَّةَ وَالشُّعْبَانَ يَقْتُلَانِ ، إِمَّا بِمَخَالَطَةِ ^(٢) الرِّيقِ وَالْدَّمِ ، وَإِمَّا بِمَخَالَطَةِ اللَّسَنِ وَالْدَّمِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ أَسْنَانَهُمَا مَجْوَّفَةٌ ^(٣) . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التَّجَارِبِ أَنَّ الْحَيَّةَ تَضْرِبُ بِقَصَبَةٍ ^(٤) فَتَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِنَ الْعَصَا . وقد يَضْرِبُ الرَّجُلُ عَلَى جَسَدِهِ بِقَضِيْبَانِ اللَّوْزِ وَقَضِيْبَانِ الرُّمَّانِ ، وَقَضِيْبَانِ اللَّوْزِ أَعْلَكَ ^(٥) وَالْدَّنَ ، وَلِسَكْنَهَا أَسْلَمُ ^(٦) ، وَقَضِيْبَانِ الرُّمَّانِ أَخْفُ وَأَخَفُّ وَلِسَكْنَهَا أَعْطَبُ .

وقد يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظْمٍ حَيَّةٍ أَوْ إِبْرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهُمَا مَيِّتَتَانِ ، فَيَلْقَى الْجَهْدَ . وقد يُخْرِجُ السَّكِّينَ مِنَ السَّكْرِ وهو مُخْمَى ، فَيُغْمَسُ فِي اللَّبَنِ

(١) كَذَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « عَلِمْتُ » .

(٢) ط ، هـ : « مَخَالَطَةُ » .

(٣) س : « جَوْفٌ » : جَمْعُ جَوْفَاءِ .

(٤) س : « بِعَصِيَّةٍ » : تَصْغِيرُ عَصَا ، صَوَابُهُ فِي ط ، هـ .

(٥) أَعْلَكَ بِمَعْنَى أَشَدَّ وَأَمْتَنَ . وَيُقَالُ : طَعَامُ عَالِكَ وَعَلَكٌ — كَكَتَفَ : مَتْنِ الْمَضْغَةِ .

وَالْدَّنَ . مِنَ اللَّوْنَةِ ، وَهِيَ اللَّيْنُ . وَالْدَّنَ : اللَّيْنُ .

(٦) ط ، س : « اسْمٌ » صَوَابُهُمَا فِي هـ .

فتى خالط الدم مقام مقام السم ، من غير أن يكون مَجَّ في الدم رطوبة غليظة أو رقيقة .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها - وهو رِخْوٌ - الأورامُ حتى يفرِّقها ويُحْمِصُهَا ^(١) من غير أن يكونَ نَفَذَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وليس إلا الملاقاة . قلت : ^(٢) ولعلَّ قَوَى قد انفصلت من أنياب الأفاعى إلى دماء النَّاسِ . وقد رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لَجَالِينُوسَ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرِقَى الْعُقَارِبَ فَمُوتُ ، أو ٤٤ تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرة جماعة وهو على الرِّيقِ ، ودعا بقدائه فتغذى معه ، ثمَّ دَعَى لَهُ بِالْعُقَارِبِ فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ، فلم يَجِدْ لَهَا بِهِ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الطَّبِّ ، وَأَنْتَ طَبِيبٌ . فلم أَرَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْحَزَرِّ وَالْحَدَسِ ، وَالْبَلَاغَاتِ .

(السَّمُومُ)

وسُمُومُ الْحَيَّاتِ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ ، وَالْعُقَارِبِ ذَوَاتِ الْإِبْرِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الدَّمِ بِالْإِلْجَادِ وَالْإِذَابَةِ . وَكَذَا سُمُومُ ذَوَاتِ الشَّعْرِ وَالْقُرُونِ وَالْجُلْمِ ، إِنَّمَا تَعْمَلُ فِي الْعَصَبِ ، وَمِنْهَا مَا يَعْمَلُ فِي الدَّمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في ه . ويحمصها : يحملها تنحصر أى تنقبض وتتفاضل وتسكن . ه : « يحمصها » بالهاء المجمة ، وهي صحيحة بمعنى الأول .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمّا برماي^(١) وإمّا بباري^(٢) وهما بلاد حياتٍ وأفاعٍ^(٣) ، ونحن في عُرْس ، إذ أدخلوا الحيدرَ العروسَ^(٤) فأبطنوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفضها وحجّمتُ على ذراعه — وقد يقال ذلك إذا كانت العضبة في صورةٍ شرطي الحجام — فصَرَخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوها ، وسقوه في تلك الليلة لبَنَ أربعينَ عزراً ، كُلِّمًا استقرَّ في جِفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَنِ قاءَ فيخْرُجُ مِنْهُ كَأَمثالِ طَلْعِ^(٧) الفُحْمالِ الأبيضِ^(٨) ، فيه طرائق من دَسَمٍ تَعْلوه خضرة ، حتى استوفى ذلك اللَّبَنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم أنفسَهُ معه ! قال : فغبراً أليماً بأسولٍ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجبُ من سُرعة استحالة اللَّبَنِ وُجُوده .

(١) هـ : « برماي » .

(٢) س : « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في السكفور ، أى الغلاف .

(٨) الفُحْمال ، كرمال : الذكر من النخل . والأبيض صفة لقطع لا للفُحْمال .

(١) كنفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّةُ إذا هَرِمَتِ تَنَسَّمَتِ النَّسِيمَ فَانْتَفَتَتْ بِهِ ^(١) ،
وكذلك الضُّبابُ إذا هَرِمَتِ .

قال : ولا يكون ذلك للسَّائِيَّةِ من حيَّاتِ الغياضِ ^(٢) وشُطوطِ
الأنهار ، ومناقعِ ^(٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّاتُ المائيَّةُ ، إمَّا أن تكونَ برِّيَّةً أو جبليَّةً ، فاكْتَسَحَتْهَا
السُّيُولُ واحْتَمَلَتْهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصْنَافِ الْحَشَرَاتِ وَالذُّوَابِ وَالسَّبَاعِ ،
فَتَوَالَدَتْ تِلْكَ الْحَيَّاتُ وَتَلَاقَحَتْ هُنَاكَ . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ كَانَتْ أَمْهَاتُهَا
وَأَبَاؤُهَا فِي حَيَّاتِ الْمَاءِ . وَكَيْفَ دَارَتْ الْأُمُورُ فَإِنَّ الْحَيَّاتِ فِي أَصْلِ الطَّبَعِ
مَائِيَّةٌ . وَهِيَ تَعِيشُ فِي النَّدَى ، وَفِي الْمَاءِ ، وَفِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ ، وَفِي الصَّخْرِ
وَالرَّمْلِ . وَمَنْ طَبَعَهَا أَنْ تَرَقَّ وَتَلَطَّفَ عَلَى شَكْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا لَطُولُ الْعُمُرِ ،
وَالْآخَرُ لِلْبُعْدِ مِنَ الرَّيْفِ . وَعَلَى حَسَبِ ذَلِكَ تَعْظُمُ فِي الْمِيَاهِ وَالْغِيَاضِ :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهي مجتمع الصخر في مغيض ماء . هـ : « الغيات »
محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« مناقع » ، صوابه في س ، هـ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء في الماء بما يعيش السمك ، مما أشبه الحيات كالمارماهي^(١) والأنكليس^(٢) فإنها^(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقحت^(٤) ؛ إذ^(٥) كان [طَبَاعُ^(٦)] السمك قريباً من ٤٥ طباع تلك الحيات . والحيات في الأصل مائية ، وكلّها كانت حيات .

(١) المارماهي : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي وضبطت راؤه بالسكس في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهي » صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقه وجدت الديميري يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمي (الأنكليس ، والجري) فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهي هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني محرف كما في معجم المملوك ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديميري ، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما ، ويقال فيه أيضاً « أنقليس » باللقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(قراءة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أنَّ مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣) البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أنَّ نخل النارجيل^(٤) هو نخل المُقل^(٥) ، واسكنه انقلب لطباع البلدة . وأشباه ذلك كثير .

ويزعمون أنَّ الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « مشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراثان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلتقط أبدا حتى لا يبق عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، هـ : « مسان » وفي س : « قربنا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارجيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيل » ، صوابه في س ، هـ .

(٥) اللقل ، بالضم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم ^(١) مما لا يجترى بالنسيم ^(٢) ، فإنه من الحيوان الذى يفتح فاه للنسيم ؛ ليرد جوفه من اللهب ^(٣) الذى يعترى السباع ؛ ولأن ذلك يمد قوته ، ويقطع عنه برودته ^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا شعر ^(٥) [إذا عدا ^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد النهم ، رغب حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر ^(٧) منزلاً ، وأقل خصباً ، وأكثر كذاً ^(٨) وإخفاقاً ، فلا بد له من شيء يلقيه في جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه في ه .

(٢) في الأصل : « الهرم منها لا يجترى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهب » .

(٤) س : « يبرده » .

(٥) السحر ، بالضم : الجوع والحر . وفي الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب في ط ، ه ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفي س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكيد : الشدة في العمل ، والإخفاق في محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

وَالنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعَامُ . فَإِنْ اسْتَقْلَوْا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ ^(١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنشَدَ ^(٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضْلَ جِرَاءَهُ ^(٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ ^(٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْخَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ :
وَقَالَ الرَّاجِزُ ^(٥) :

يَسْتَحْزِرُ ^(٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ ^(٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشد وطأتك على مضر . . . » الخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « » وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنت الذئاب . العادي : بالذال : الذي يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراء : بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذاك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمس ريح أولاده . يلحَب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بيني العكل ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستحزر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نحر ، قرع) « يستحزر » وقال : « استحزرها : قابلهما بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقرع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديد : حدها .

(شَمّ الظّليم)

والظّليم يكون على بيضه فيشمّ ريح القانص من أكثر من غلوة ،
 ويبعد عن رئالِهِ (١) فيشمّ ريحها من مكان بعيد .
 وأنشدني يحيى بن نُجيم (٢) بن زَمعة قال :
 أشمّ من هَيّيق وأهدى من جَمَل (٣)
 وأنشدني عمرو بن كِرْكرة (٤) :
 مَا زَالَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الْهَيِّيقِ
 قال وإنّما جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الحَمَر (٥) أخبث .
 ويقولون : شَيْطان الحماطة (٦) . يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيات)

وكلّ حيّة خفيفة الجسم فهي شَيْطان (٧) . والثَّقَالُ لا تَنَشِطُ من
 أرض إلى أرض ، وتثقل عما تبلّغه المستطيلات الخِفاف . وقال طرفة :
 تَلَاعِبُ مَنْشَى حَضْرَمِيِّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بَذَى خِرُوعٍ قَفَرٍ (٨)

-
- (١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .
 (٢) في الأصل : « الحِم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نُجيم
 في (٢ : ٣٥١) .
 (٣) الهَيِّيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .
 (٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، ه .
 (٥) الحَمَر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .
 (٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبل ، والحيات تألفه .
 (٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطاناً » .
 (٨) ط : « خضرمى » ، صوابه في س ، ه . تعمج : تلو . ط ، ه : « تقمع »
 صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيماد في (٦ : ١٩٢) .

الكرمانى عن أنس - ولا أدري من أنس هذا - فى صفة ناقة :

شَاحِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَانَهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّؤْمِ مِنْ أَسْطَعٍ حَشِيرٍ ^(١)

والحَبَابُ : الحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الحمر ، يقولون : أرنب الخلة ^(٢) ، وتيس الربيل ^(٣)

٤٦ وضب السحا ^(٤) . والسحا ^(٥) بقلة تحسن حاله ^(٦) مَنْ أَكَلَهَا .

وكذلك يقولون : « ماهو إلا قنفذ برقة ^(٧) » لأنه يكون أخبث له :

وذلك كله على قدر طبائع البلدان والأغذية العاملة فى طبائع الحيوان .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأور : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكاة ، وفى ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلة » بالخاء المهملة وهى بالكسر : شجرة شاكاة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربيل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتطرت يورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه فى (٦ : ١٢٣) ، وجاء فى شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الربيل ينفض رأسه أذا به من صوائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكاة . س : « السحاء » وهى بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تبت^(١) لم يزل ضاحكاً مسروراً ، من غير عجب^(٢) حتى يخرج منها .

ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد قوته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقد عقله^(٣) ذو فِرَاسَة وجد النقصان فيه بيتنا . كما يقال في حُمَى خيبر^(٤) ، وطِحال البحرين^(٥) ، ودمايل الجزيرة^(٦) ، [وجرب الزنج^(٧)] . وقال الشَّماخ^(٨) .

- (١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصيني .
- (٢) العجب : ما يتعجب منه . وتجده مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت في نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر في وجوههم » ! .
- (٣) ط ، هـ : « قوته » ، صوابه في س و عيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .
- (٤) خيبر ، هي الولاية التي كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد في الأمثال : « به الأورى . وحى خيبرى » . أمثال الميداني (١ : ٩٥) وفي العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاماً صحياً كفل لهم قلة التعرض لحماها : « مثل يهود خيبر : هم صحتهم على وباء خيبر » قالوا : يأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه .
- (٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :
ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويفيط بما في بطنه وهو جائع
- (٦) هذه الجزيرة هي المسماة « جزيرة أفور » ، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشتمل على ديار بكر وديار مصر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والركة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميفارقين والموصل . انظر معجم البلدان .
- (٧) هذه الزيادة من هـ . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث في ذلك حديثاً طويلاً . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتي في ١٣٩ في الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جرباً ما أقام بها » .
- (٨) س : « شماخ » .

كَأَنَّ نَطَاقَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رَيْثَةَ الْقُلُوعِ ^(١)
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتَهُ ^(٢) خَيْبَرِيَّةٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَرَدُّهَا وَقَلَّحًا ^(٣)
وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَّى خَيْبَرَ تَمْلُهُ ^(٤)

وكذلك القول في وادي جَحْفَة ^(٥) ، وفي مَهْيَعَة ^(٦) ، وفي أصول النخل
حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلُولِيُّ في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : حين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة »
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشايع ٥٧ . زودته : أعطته
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطينة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريثه » ، صوابه في المعجم
والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قللها » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « مللها » . والملال ، بالنم :
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه في الملة ، وهى بالنم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم
أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصحبها ،
وبارك لنا في صاعها وملعها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهية : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرِ لَحْمُهُ مُتَكَوِّسٌ^(١)
تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي بِحُكِّ كَاتَمًا بِهِ مِنْ دَمَامِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
فَحَدَّثَنِي أَبُو زُفَرٍ الضَّرَّارِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرِو وَهُوَ ابْنُ تَسْعِينَ
سَنَةً بِالْأَمَامِيلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَا احْتَمَلَهَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي طَوَاعِينَ الشَّامِ . قَالَ أَحَدُ بَنِي الْمَغِيرَةِ^(٤) ، فِيمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ بِطَوَاعِينَ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَغْنِ الرَّمَاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي وَ
مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيَعْرِسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِدِ كَاذِبٌ
أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانَهُمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
وَمَنْ بَنِي أَعْمَالِهِمْ مِثْلَهُمْ لِثَلْ هَذَا عَجَبٌ الْعَاجِبُ^(٧)
طَغْنٌ وَطَاعُونٌ مِنْهَايَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطُّ لَنَا الْكَاتِبُ

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل :
« سوطه » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصير
بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القصير » س :
« القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصير » .
متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متكافوس » س . « متكافوس »
تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبها . ورواية
المعجم : « أبدأ إذا يمشي يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط :
« كأنما » صوابه في س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارري » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : « أبو زرعة » فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرج : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بني ربيعة . لم يقصص لهم شارب : أي إنهم في
مقبتل الشباب . وريطة هي زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س :
« عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ،
وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حرز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ،
وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسَمْتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ ^(١) ، فَالْحَقُّ
بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْقِطُ إِلَيْهِمْ ^(٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ
أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ ^(٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ ^(٤) . فَلَمَّا
أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرَفَةَ عَيْنٍ .
قَالَ : اذْكُرْ حَوَائِجَكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَنْذِرُكَ
حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ
الْقُلُوبَ أَرْقُ مَا تَسْكُونُ إِذَا تَلَاَقَتِ الْعَيُونُ عَنْ بُعْدِ عَهْدٍ . وَلَيْسَ ذَلِكَ أَرَادَ ^(٥) .

(١) فِي تِمَارِ الْقُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبَقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ
فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) تِمَارِ الْقُلُوبِ : « فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْقِطُ إِلَيْهِمْ » ، وَفِي الْحَيَوَانِ (٣ : ٤٧٢) :
« فَإِنَّ حَوَائِجَهُمْ سَتَسْقِطُ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لَتَلَا يَظُنُّ بِهَ الْعَدَاءُ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَ مِنْ سِوَا أَوْجِهٍ .

(٥) انْظُرْ لَتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

سَنْ يَسْكُنَ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيُغْبَطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر دُكين الرَّاجِزُ ، إلى أبي العباس^(٢) مُحَمَّدُ بْنُ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الْعُمَانِيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النِّسْبَةُ .

(جرب الزنج)

وحدثني يوسفُ الزُّنْجِيُّ أَنَّهُ لَا بَدَّ لِكُلِّ مَنْ قَدِمَ مِنْ شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزُّنْجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِباً ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَبِيذِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارِجِيلِ ، طَمَسَ الْخُمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتَوَةِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذئب مقبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في (٢ : ١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيستان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيستان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها عِزْ يستقر عليها .

(٥) العُمَانِيُّ نسبة إلى عمان ، يضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصري ، كما في الأغاني . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيبة)

وخبرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصوم بالمصيبة ^(١) في أيام الصيف ، حاج به المرار . وأن كثيراً منهم قد جئوا عن ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأما قصبة ^(٢) الأهواز ، فإنها قلبت كل من نزها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم ^(٣) ، ولابد للهاشمي ، قبيح الوجه كان أو حسناً ، أو ^(٤) دميماً كان أو بارعاً رائعا ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها من جميع قريش وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله ^(٥) ، ولقد تخيفته ^(٦) وأدخلت الضيم عليه ، ويئنت أثرها فيه ، فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس ^(٧) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيبة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيبة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهي بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » ، صوابه في س . وقصبة الأهواز ، أي أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أي طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفي معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما في ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه في س ، هـ .

(٨) في ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضَّبَاعِ الفَاشِيَةِ ، يَحْثُونَ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ مَا يَحِبُّهُ أَوْسَاطُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى الْثَّرْوَةِ وَالنِّسَارِ ، وَإِنْ طَالَ ذَلِكَ . وَالْمَالُ مَنْبَهَةٌ كَمَا تَعْلَمُونَ .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المُوَيْلُ^(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّينَ^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس في الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لم في شيءٍ منه نصيبٌ وإنْ خَسَ^(٤) . ولم أَرِهَا وَجَنَةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيَّةً ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قَتَالَةُ الْغُرَبَاءِ .

وعلى أَنَّ حُمَاهَا خاصَّةٌ ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ٤٨
ووبأوها^(٥) وحُمَاهَا ، في وقت انكشافِ الْوَبَاءِ وَتُزْوَعِ الْحُمَى عن جميعِ الْبُلْدَانِ .
وكلُّ محمومٍ في الأرض فإنَّ حُمَاهُ لا تنزع عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءةَ ، إلى أنْ يعودَ إلى الخلطِ ، وأنْ يجمعَ في جوفه الفسادَ^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدِّبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال في رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذي كان يرضاه قبل ذلك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أي هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . ويعدها في المعجم « أودق أوجل » ، ويقاوت بدون ريب ينقل كلام الجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووبأها » ،

(٦) بدله في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاود من نَزَعَتْ عنه من غير حَدَث ، كما تعاود أصحابُ الحَدَث ؛
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل التَّهَمِ^(١) ، ومن قِبَلِ الخَلْطِ والإِكْثَارِ ،
ولأنما يُؤْتَوْنَ من عَيْنِ البلدة .

وكذلك جَمَعَتْ سوقُ الأهوازِ الأفاعىَ في جِبَلِها الطَّاعِنِ في منازلها ،
المَطْلُ عليها ؛ والجَرَّاراتِ^(٢) في بيوتِها ومقابرِها ومنابرِها . ولو كان في
العالمُ شَيْءٌ هو شرٌّ من الأفعى والجَرَّارة ، لما قَصَّرَتْ قَصْبَةُ الأهوازِ عن
توليدِهِ وتلقِيحِهِ . وِبَلَيْتُهَا^(٣) أنها من ورائِها سِبَاخٌ^(٤) ومناقِعُ مِياهٍ غليظةٍ
وفِها أنهارٌ تُشَقُّها مَسَائِلُ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومِياهُ أمطارِهِمْ ومُتَوَضَّاتِهِمْ^(٦)
فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مَقَابِلَتُهَا لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرارَات : ضرب من المقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » .
وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سِبَاخ ، بالكسر : جمع سِبخة بالتحريك ، وهى الأرض تملؤها ملحوة ولا تسكاد
تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها
مسائل كنْفِهِمْ » و هـ : « تسبقها مسائل كنْفِهِمْ » ، والكلمة الأولى في ط لها
وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهى خطأ ، لأن ياء
مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »
وهذه لا يعترف بها الأصمى ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف :
« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :
« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة
فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جملة بعضهم لنا » . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضَّعهم » بالإفراد . في ثمار القلوب

« ميضآتهم » .

بالصَّخْرِيَّةِ الَّتِي فِيهِه^(١) تِلْكَ الْجَرَّارَاتِ . فَإِذَا امْتَلَأَتْ يُبَسِّأُ وَحَرَارَةً ،
وَعَادَتْ جَمْرَةً وَاحِدَةً ، قَذَفَتْ مَا قَبِلَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ تُحَدِّثُ [تِلْكَ] السَّبَاحُ^(٢) وَتِلْكَ الْأَنْهَارُ^(٣) بُحَارًا فَاسِدًا ، فَإِذَا
التَّقَى عَلَيْهِمْ مَا تُحَدِّثُ السَّبَاحُ وَمَا قَذَفَهُ ذَلِكَ الْجَبَلُ ، فَسَدَ الْهَوَاءُ . وَبِفَسَادِ
الْهَوَاءِ يَفْسُدُ^(٤) كُلُّ شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْهَوَاءُ .

وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مَشِيخَةٍ^(٥) مِنْ
أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، عَنْ الْقَوَابِلِ ، أَنَّهُمْ رُبَّمَا قِيلَ^(٦) الطِّفْلُ الْمَوْلُودُ ، فَيَجِدُنَهُ
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَحْمُومًا . يَعْرِفُنَ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثُنَ بِهِ .

(عِيُونُ الْحَيَاتِ وَالْخَطَاطِيفِ)

[قَالَ^(٧)] : وَبِعَرَضٍ لِفِرَاحِ الْحَيَّاتِ مِثْلُ الَّذِي يَعْرِضُ لِفِرَاحِ
الْخَطَاطِيفِ ؛ فَإِنَّ نَازِعًا لَوْ نَزَعَ عِيُونَ فِرَاحِ الْخَطَاطِيفِ ، وَفِرَاحِ الْحَيَّاتِ ،
لَعَادَتْ بِصِيرَةٍ^(٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخ » وهي صهيحة أيضا ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أن السلحفاة والرق ، والضفدع ، بما لا بد له من التنفس ، ولا بد لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء ؛ وذلك للنسب الذى بينها وبين الضب^(٣) ، وإن كان هذا بريئاً وهذا بحرياً .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمون أن ما^(٤) كان فى البر من الضب والورل والحرياء ، والحلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذى فى البحر من السلحفاة والرق ، والتمساح ، والضفدع ؛ وأن تلك الأجناس البرية وإن اختلفت فى أمورها ، فإنها قد تتشابه فى أمور ؛ وأن هذه الأجناس البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

(١) نرى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجه » ، تحريف ما فى س ، ه .

(٣) س : « وذلك للنسب » الخ . ط ، ه : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « إنما » صوابه فى س ، ه .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الحلكاء » ، وهي صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللفظة ، وإنما هو تحريف من للناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة ، وهي دويبة كدام أبرص . س : « والنقطة » ه : « والنقطة » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحَيَّةَ وسامٌ أبرص^(١) من العَظَاءِ ،
والتَّمساح ، تسكنُ في أعشَبِها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البرد^(٣) ، لا تطعم
شَيْئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحَيَّاتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ ٤٩
في صُدُوعِ الصَّخَرِ .

وليس لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعاً مائةَ سنةٍ . والوجه الآخر : أنَّ الفيلةَ مائِيَّةٌ [وهذه الأجناسِ مائِيَّةٌ^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكنُ الماءَ .

(داهية الغَبرِ)

قال : وسَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ^(٥) يقولُ : « داهية الغَبرِ^(٦) » . قال وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، هـ . ط ، هـ :
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للظائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في هـ لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من هـ .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك ويغبر معجمة في أولها : الماء يغبر حيناً في المستنقع ، كما يفهم من
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء
يعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلى بجانب جبل طيس » ،
وبه نخل ، ومياه تجري أبداً » . ط : « الغبر » صوابه في س ، هـ .

ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء ، إما غدير وإما عين ، فتَحْمِي^(١)
ذلك الموضع . وربما غبر ذلك الماء في المنقَع حيناً وقد حُمِّتْهُ .
وقال الكذابُ الحرمازي^(٢) :

يا ابنَ المعلَى نزلتُ إحدىَ الكبَرِ^(٣) دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وَصَمَاءُ الْغَبَرِ^(٤)
قال : وسأل^(٥) الحكم بنُ مروانَ بنِ زُبَاعٍ ، عن نبي عبد الله
ابنِ غطفان ، قال : [أفعى^(٦)] إِنْ أَيْقَظْتَهَا لَسَعَتْكَ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا
لَمْ تَضُرَّكَ .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر^(٧) قال : نُهِشَ رجلٌ من أهل البادية كثيرُ
المال ، فأشنى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أَرْقِيهِ ، فَمَا تُعْطُونِي^(٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحمس » وفي هـ : « فتحمي »
عمرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يأمُنْذِر . وفي اللسان أنه
يُمْدَح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :
« تعطوني » وهو جائز . وفي المغنى : « ونحو تأمرؤني يجوز فيه الفلك والإدغام
والتلحق بنون واحدة » .

فشارطوه على ثلاثين درهما^(١) ، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط ، فلما أفاق قال : الرأى والمداوى : حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالى ثلاثين درهما فى نفقات نفثها ، وحمض سقاه^(٢) ! لا تعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدثنى بعض أصحابنا عن سكر الشطرنجى ، وكان أحمق القاصين^(٣) ، وأحذقهم بلعب الشطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خرمة أنفه^(٤) فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنه خرج إلى جبل^(٥) يتكسب بالشطرنج ، فقدم البلدة وليس معه إلا درهم واحد ، وليس يدرى أينجح أم يخفق ، ويجد صاحبه الذى اعتمده أم لا يجده^(٦) ؟ فورد على حواء وبين يديه جون عظام^(٧) فيها حيات جليلة .

والحية إذا عضت لم تكن غايشتها النهش أو العض^(٨) ، وأن ترضى بالنهش ،

(١) ط : « فارقه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، ه .

(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالخ أو حامض ، وجعله هنا لدواء الذى فيه حوضة .

ه : « وحرس سق » والكلمة الأولى فى ه محرفة .

(٣) جمع قاص للقصاص . س ، ه : « الثملين » .

(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كسكتاية : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .

(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل :

« الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .

(٦) ط : « ويجود صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجبه » الخ صوابهما فى ه .

(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .

(٨) ط : « والعض » .

ولكنها لا تعض إلا للأكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظاماً جداً ولا سموم لها ، ولا تعقر^(١) بالعض ؛ كحيات الجولان^(٢) .

وفي البادية حية يقال لها الحفّات^(٣) والحفّات من الحيات تأكل الفأر وأشباه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصولة ؛ وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربما مات من الفزع منها . وربما جمعت الحية السمّ وشدة الجرح ، والعض والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّر على الحواء وقد أخرج من جُونه أعظمَ حيّاتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذَ الرقية وجودة الترياق ، فقال له سُكّر^(٦) : خذ مني هذا الدرهم وارقي رقيةً لاتضرني معها حية أبداً ! قال : فلئن أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيةً ، حتى ترقبني بعد أن تعضني ؛ فإن أفقتُ علمتُ أن رُقيتك صحيحة . قال : فلئن أفعل ، فاخترتُ أيتها شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضُّ للأكل دون السمّ ، فقال : دغ هذه ؛ فإن هذه إن قبضتُ على لحملك لم تفارقك حتى تقطعك^(٧) ! قال : فلئن لا أريد غيرها . وظنّ أنه إنما زواها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أما إذ أبيت إلا هذه فاخترتُ موضعاً من جسدي حتى أرسلها عليه . فاخترتُ أنفه ، فناشده وخوفه ، فأبى إلا ذلك

(١) تعقر : تجرح . وفي ط : « تنفر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّات ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّات » س ، ه : « الحفّات » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيبا » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارق » فقط .

أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ دِرْهَمَهُ . فَأَخَذَهَا الْحَوَاءُ وَطَوَّاهَا عَلَى يَدِهِ ، كَيْ لَا يَدْعَهَا تَنْكُرُ^(١) .
فَتَقَطَعَ أَنْفَهُ مِنْ أَصْلِهِ . ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَنْشَبَتْ أَحَدَ نَابَيْيْهَا فِي شِقِّ
أَنْفِهِ صَرَخَ عَلَيْهِ صَرَخَةً جَمَعَتْ عَلَيْهِ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ، ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ،
فَأَخَذَ الْحَوَاءُ فَوَضَعَ فِي السَّجْنِ ، وَقَتَلُوا تِلْكَ الْحَيَّاتَ ، وَتَرَكُوهُ حَتَّى أَفَاقَ
كَأَنَّهُ أَجْنُ الْخَلْقِ ، فَتَطَوَّعُوا بِحَمْلِهِ فَحَمَلُوهُ مَعَ الْمُكَارِيِّ^(٢) ، وَرَدُّوهُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، وَبَقِيَ أَثَرُنَا رِيبًا فِي أَنْفِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(مَا يَغْتَصِبُ بَيْتَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ)

قال : وَأَشْيَاءُ مِنَ الْحَشَرَاتِ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا وَلَا لِبَيْضِهَا وَلَا أَوْلَادِهَا^(٣)
بَيْتًا ، بَلْ تَظْلِمُ كُلَّ ذِي جُحْرٍ جُحْرَهُ ، فَتَخْرِجُهُ مِنْهُ ، أَوْ تَأْكُلُهُ إِنْ^(٤)
ثَبَّتَ لَهَا .

وَالْعَرَبُ يَقُولُ لِلْمُسَيءِ : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لِأَنَّ الْحَيَّةَ لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا
بَيْتًا . وَكُلُّ بَيْتٍ قَصِدَتْ نَحْوَهُ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ ، وَأَخْلَوَهُ لَهَا .

(عداوة الورل للحيات)

وَالْوَرَلُ يَقْوَى^(٥) عَلَى الْحَيَّاتِ وَيَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا . وَكُلُّ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا

(١) تَنْكُرُ ، آخِرُهُ زَائٍ ، كَمَا فِي س . وَفِي ط ، هـ : « تَنْكُرُ » بِحَقِّهِ . وَانْظُرْ ٢ : ١٣٨ .

(٢) الْمُكَارِيُّ : مَنْ يَمْكُرُ النَّاسَ دَابَّةً . وَالْمُكَارَةُ : الْأَجْرَةُ . س : « مُكَارِي »
صَوَابُهُ : « مُكَارٍ » بِحَقِّهِ الْيَاءِ .

(٣) س : « وَلِبَيْضِهَا وَلِأَوْلَادِهَا » .

(٤) ط : « إِذْ » .

(٥) ط : « يَقُولُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

ذو جُحْرٍ منها فهي تَلْقَى مِثْلَ ذلك من الورل . والورلُ الطَّفُّ جِزْماً من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذَنْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذَّنْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضَّبُّ)

وبرائن الورل أقوى من براين الضَّبِّ . والضَّبَابُ تحفر جِحْرَها في السَّكْدَى ^(٢) . والورل لا يحفرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبَّ من بيته . فتزعج الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائته . ويمنع الحَيَّةَ أَنْ تحفر بيتها] أَنْ ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي تحفر بالأفواه والأيدي ، كالنمل والذَّرَّ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى أَنْ تعافى ذلك ، وَحَفَرُ غيرها ومعاناته يكفيها .

(١) استرعاه : جعله راعياً . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذَّنْبَ حيث كلفه ما ليس في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة : كمنية : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياساً ولا مسموعاً . والصواب ما أثبت . والسكدي : جمع كدية ، بالضم : وهي الأرض الصلبة . وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فهي » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية ، يقول مضر بن لقيط ^(١) :
لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أُخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ ^(٢)
إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخَرٍ يَقْبِسُ ^(٣)
فَا لَكُمْ طُلَسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ
ذُئَابُ الْغَضَى وَالذُّئَبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ ^(٤)
وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتد ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون
حينئذٍ أخبث له وأضرى .

وقال حريز بن نَشْبَةَ الْعَدَوَى ^(٥) ، لبني جعفر بن كلاب ، وضربَ جَوْرٍ
الحية والذئب في الحكم مثلاً ، فقال :

- (١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر في حماسه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .
(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمتنا الذئاب والحيات
وهي يضربون المثل في الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقّس ، هو ابن طريف ،
أبو حنيفة من قبيلة أسد .
(٣) الحاطب : الذي يجمع الخطب . في البيان : « أنى حاطب » .
(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذي في لونه غيرة إلى سواد . ط : « طلسي »
صوابه في س ، ه والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتاً بعد هذا
في حماسه .

- (٥) هو حريز ، بجاه مهتلة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بني زيد بن نَشْبَةَ بن عدي بن أسيمة
ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما في المؤلف ٧٢ . وفي الأوسل : « جرير »
مصنف . ونَشْبَةَ ، بضم النون بعلها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س :
« نسة » محرفة .

كَأَنِّي حِينَ أَحْبُو جَعَفَرًا مِدْحَى أَسْقِيهِمْ طَرَقَ مَاءٌ غَيْرَ مَشْرُوبٍ ^(١)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ أَفْعَى نَابَهَا لَثِقُ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِبِ ^(٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِلْبَاءً ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ ^(٣)
 وَلَوْ أَخَاصِمُ ذُبَابًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّبِّبِ ^(٤)

(فم الأفعى)

قال : والحياة واسعة الشحو والضم ، لها خطم ^(٥) ، ولذلك ينفذ نابها .
 وكذلك كل [ذى ^(٦)] فم واسع الشحو ، كضم الأسد . فإذا اجتمع له سعة
 الشحو وطول الأبحين ، وكان ذا خطم وخرطوم فهو أشد له كالخنزير ،
 والذئب والكلب . ولو كان لرأس الحياة عظم كان أشد لعضتها ^(٧) ،
 ولكنّه جلد قد أطبق ^(٨) على عظمين رقيقين مستطيلين بفسكها الأعلى
 والأسفل . ولذلك ^(٩) إذا أهوى الرجل بحجر أو عصا ، رأيتها تلوى رأسها

(١) ماء طروق ، بالفتح : يالت فيه الإبل ويعرت ، وقد طرقت . غير مشروب : غير
 صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من الدم .

(٣) هم أب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، ه :
 « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي
 بالنون في س . وفي ط ، ه : « باب » ، ولغته وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المزارع عظم شديد . ه ، ط : « عظم » ولا تعج . وانظر

ما سبق قريبا .

(٨) كذا في س ، ه . وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، ه : « وكذلك » .

وتَحْتَالُ فِي ذَلِكَ ، وَتَمْنَعُهُ بِكُلِّ حِيلَةٍ ؛ لِأَنَّهَا تَعْلَمُ وَتَحْسُبُ بِضَعْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنْهَا ، وَهُوَ مَقْتُلٌ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ فِي أَعْنَاقِهَا تَخْصِيرٌ^(١) وَلِصُدُورِهَا أَغْبَابٌ^(٢) ، وَذَلِكَ فِي الْأَفَاعَى أَعْمٌ . وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ الْمُسْتَدَقُّ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ الْحَرِيطَةِ ، وَكَهَيْئَةِ فَمِ الْجِرَابِ ، مُنْضَمُّ الْأَنْثَاءِ^(٣) ، مُشْتَقِي^(٤) الْغَضَبُونَ . فَإِذَا شَتَّتَ أَنْ تَفْتَحَ انْفَتَحَ لَكَ فَمٌ وَاسِعٌ .

وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِيٍّ : كَانَ فَتْحُ فَمِ الْجِرَابِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيْدٍ^(٥) ، وَلَوْلَا أَنَّ الْحَالِينَ قَدْ جَعَلُوا أَفْوَاهَهُمْ بَدَلَ الْيَدِ الثَّلَاثَةِ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مُمْتَنِعًا حَتَّى يَسْتَعِينُوا^(٦) بِبَيْدِ إِنْسَانٍ .

وَهَذَا مِمَّا يَعُدُّ فِي مُجَوِّنِ ابْنِ هَانِيٍّ .

وَكَذَلِكَ حُلُوقُ الْحَيَّاتِ وَأَعْنَاقُهَا وَصُدُورُهَا ، قَدْ تَرَاهَا فَتَرَاهَا فِي الْعَيْنِ دَقِيقَةً ، وَلَا سَبِيًّا إِذَا أَفْرَطَتْ فِي الطُّولِ .

(شَرَاهَةُ الْحَيَّةِ وَالْأَسَدِ)

وَهِيَ تَبْتَلِعُ فَرَاحَ الْحَمَامِ . وَالْحَيَّةُ أَنْهَمُ وَأَشْرَهُ مِنَ الْأَسَدِ . وَالْأَسَدُ يَبْلَعُ الْبَضْعَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ ؛ وَذَلِكَ لِمَافِيهِ مِنْ فَضْلِ الشَّرِّهِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ . وَهِيَ وَاثِقَانِ بِسَهُولَةٍ وَسَعَةٍ الْخُرُوجِ .

(١) تَخْصِيرٌ : أَيْ دَقَّةٌ فِي وَسْطِهَا .

(٢) جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ اللَّحْمُ الْمَتَلِّ تَحْتَ الْحَنَكِ .

(٣) الْأَنْثَاءُ : التَّفَضُّنَاتُ . ط : « نَم » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ . وَفِي ط : « الْأَنْثَاءُ » وَفِي س ، هـ : « الْأَنْثَاءُ » صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ .

(٤) س ، هـ : « مُشْتَقِي » .

(٥) س ، هـ : « أَيْدَى » صَوَابُهُ فِي ط .

(٦) ط : « يَسْتَعِينُ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(تَنْبِيْهُ أَنْطَاكِيَّة)

[و] مِمَّا عَظَّمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرْوِيهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةَ ^(١) ؛ وَذَلِكَ أَنَّنِي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةَ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بَالُ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدُّ وَأَطْرَى ^(٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَنْبِيْنا ^(٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لِرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضْرِبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَذَفَتْ ^(٤) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ^(٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِيَّةَ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَلَيْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ :

عُلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْخَوَاشِي لَوْهَا لَوْنٌ عَنَدِمَ

وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

عُلُونُ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِلنِّسْبَةِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَصْغَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحَدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْوَى »

صِرَافِهِ فِي س . وَالسُّكْلَامُ بَعْدَ هَذِهِ السُّكْلَمَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقَطَ

مِنْ س .

(٣) التَّنْبِيْ ، كَسَجِيلٍ : حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَنْبِيْنا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التنين)

ولم يزل أهل البقاع^(١) يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون في مجلس وفيه عشرون رجلاً ، فيجرب ذكر التنين فينكره بعضهم . وأصحاب التثبت^(٢) يدعون العيان . والموضع قريب ، ومن يعاينه كثير . وهذا اختلاف شديد .

(قول الأعراب في الأصل)

والأعراب تقول في الأصل^(٣) قولاً عجيباً : زعم أن الحية التي يقال لها الأصل لا تمر بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وزعم الفرّس أن الأجدهاني^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناماً فتبتلع من كل جهة فم ورأس إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبت » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصل : حبة كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والقويون يختلفون في تحليلها ، أي نعمها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو المجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظَهَرَتْ حَيَّةٌ لها رأسان . فسألتُ^(١) أعرابياً عن ذلك فزعمَ أَنَّ ذلك حقٌّ . فقلت له : فمن أىِّ جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيَّهما تأكلُ وتعضُّ ؟ فقال : فأما السَّعْيُ فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصَّبيان على الرَّمْل . وأما الأكل فإنها تتعشى بضمٍّ وتتغذى بضمٍّ . وأما العضُّ فإنها تعضُّ برأسها معاً !! فإذا به أكذبُ البرِّيَّة .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فُرَانِقِ الْأَسَدِ)

ومِثْلُ شَأْنِ الثَّنِينِ مِثْلُ أَمْرِ فُرَانِقِ الْأَسَدِ^(٣) ؛ فَإِنَّ ذَكَرَهُ يَجْرَى فِي الْمَجْلِسِ ، فيقول بعضهم : أَنَا رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ !

(١) ط ، هـ : « فسئت » صوابه في س .

(٢) س : « والاسمالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى

« لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفُرَانِق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرائق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب

من « پَرَوَانَك » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استيعباس . وهو ضرب

من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المُحدثين : إنَّ من أعظم ما خلق الله الحية والسّرطانَ والسّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحيةَ أطولُ عمراً من النّسر ، وإنّ الناس لم يحدّثوا حيةً قطُّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها ^(١) . وذلك لأمر : منها قولهم إنّ فيها شياطينَ ، وإنّ فيها من مِسَخ ، وإنّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حواءَ من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لي الفضلُ بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [مُنْخَان ^(٢)] ، وأنَّ طولَ كُلِّ نَخٍّ تسعةَ عشرَ ذراعاً ^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذي يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة يياض في الأصل . وقد أثبتّها اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسيّ معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليهما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتّهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجرد والزعر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذوات شعر ، ومنها ذوات قرون . [وأرسطو يَشْكُرُ ذلك ^(٢)]
ولمَّا يتخلق لها في كلِّ عام قشرٌ وغلاف ، فأما ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِرُ من جلده
وينسلخُ في كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوجد فيه ملء جراب
أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

وَأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونُبِّه على ما فيها من الآيَةِ العجيبةِ
والبرهانِ النسيِّرِ ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَّا ^(٤)] في قلب العصا حيةٌ ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الديميري . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض لها في ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوّل به القوم وسحروا من أعين الناس ، وجاءوا به من الإفك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ^(١)] فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ إلى قوله : ﴿ فَأَلْقُوا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ ^(٢) 》 .

فإن قلت : إنه إنما حوّل العصا ثُعْبَاناً لأنهم جاءوا بحبال وعصى فحوّلوها في أعين الناس كلها ^(٣) حيّات ، فلذلك قلب الله العصا حية ^(٤) على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحروا أعين الناس جعلوا حبالهم وعصيهم ذئباً في أعين الناس ونموراً ، لجعل الله عصا موسى ذئباً أو نمراً ، فلم يكن ذلك لخاصّة في بدن الحية .

قلنا : الدليل على باطل ماقلتم ، قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿ وقال الله عزّ وجلّ ^(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(٦) 》

(١) هذه التكلّة ليست في س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبذلك في ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، هـ .

(٥) هذه التكلّة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سأتبعكم منها بغير أو أتبعكم بشهاب قيس لعلكم تعطلون » .

إلى قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾^(١) ﴿فَقَلْبُتْ﴾^(٢) العصا جانًا ، وليس هناك جبالٌ ولا عِصَى . وقال الله^(٣) : ﴿قَالَ لَنْ أَخَذْتُ لَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٤) ﴿فَقَلْبُتْ﴾^(٥) العصا حَيَّةٌ كان في حالات شَيْءٍ^(٦) . فكان هذا مما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يمته الله لديفا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديفا^(٧) وأن تكون ميمته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ » ، كأنه كان في المعلوم^(٨) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يهتأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلبت » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مثبتتان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديفا » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفى س ، هـ : « المعلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أَشْرَارِ^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذى اتَّفَقَ من قتل
أبى بن خلفٍ بيلده^(٢) ، والنَّضْر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبى مُعيط^(٤) ،
ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أَشْرَار : جمع شرير ، كشرير ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زنه
وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيها في مادة
(شرر) ورأيتها في شعر صخر أخى الخنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) :
« والله لا أمنحها شرارها »

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج ، كان أدرك الرسول في الشعب
يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله
أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنأته تناول رسول الله الحرية
من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مراراً - أى
تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلفة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب
الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من
غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع أبيات
البيان العربى ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ :
٤٠١) والبهترى في حماسه ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل
إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمأنت عليه ! » . فيقال
إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط - بهيئة التصغير - كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل
في أثناء فقول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأفلح الأنصارى . وكان
عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر
ابن الخطاب : « حن قلدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف
(٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك
ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة
حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثان بن عفان ، فاستأمن له الرسول
فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول
زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكاستجدانه بموضع كذا وكذا .
فوجداه فقتله . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » ، صوابه في
س ، هـ كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغي =

وحدثت^(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صفي بن
أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصاري^(٢) يقول : « كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك
من الهدم^(٣) وأعوذ بك من التردى^(٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق^(٥) ،
وأعوذ بك من الحرق والحرم^(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند
الموت^(٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مذبراً ، وأعوذ بك من
أن أموت لديغاً » .

وطلمحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسد^(٨) [والأسود ، وأعوذ بك
من الهدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب الدجانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل
بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
- (٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل
اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد
الخلق . وقيل مات سنة أربعين .
- (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو
أن يهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه المروى في الغريبين . اللسان
(هدم) .

- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو حوة .
- (٥) كذا في هـ والشافع (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائي
والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
- (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والحرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ،
س : « الهدم » صوابه في هـ .
- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .
- (٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صغيراً ، والرجل يَصْفِرُ بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وبيعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَةُ [يَصْفِرُ بِهَا ^(١)] للحمام والطير في المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :
وَإِذَا جَاءَ لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ تَأَوُّهاً وَصَفِيرًا
(لسان الحية)

والحية مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندى غلط ، وأظنُّ أَنَّهُ لما رأى افتراق طرف اللسان ^(٢) قضى بأنَّ له لسانين .

(عجبية الضب)

ويقال : إن ^(٣) للضَّبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضَّبِّ نَزْكَاً ^(٤) .
قال الشاعر ^(٥) :

= والتساقى والحاكم وصحبه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » .
الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود صالح ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ه : « ترك » س : « نرك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحران ذى النصة » وكان قد أهدى =

كَضَبَ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
 قَالَ أَبُو خَلْفٍ الْقَمَرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا حَيَّةَ الْقَمَرِيَّ عَنْ أَيْرَ الضَّبِّ ،
 فزعم أن أَيْرَ الضَّبِّ كلسان الحَيَّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعم أن الله عاقب الحية حين أدخلت لإبليس
 في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشر خصال :
 منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحية إذا ضُرِبَتْ للقتل كيف
 تخرج لسانها لِتُرَى الضَّارِبَ عقوبةَ الله ، كأنها تَسْتَرْحِمُ . وصاحب هذا
 التفسير لم يقل ذلك إِلَّا لِالحَيَّةِ كانت عنده تَتَكَلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر
 آدَمُ كلامها ، وإن كان إبليس لا يَحْتَالُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الحَيَّةِ ، ولا يَحْتَالُ
 بشيءٍ غير مَوِّهِ ولا مَشْبِهِ .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القمري . انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات
 الشاهد . وقال ابن السدي في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولده بعض البوادي
 فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
 حمران قفصاً مملوئاً ضباباً وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
 في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبجل له نركان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نرك) ،
 سبجل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب
 ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
 وفي ط « طركان » و هـ : « نركان » صوابه في سـ والمراجع . والناعل :
 من إبليس تعالا . سـ : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاةٌ مِنَ الْحَيَاتِ ^(١) كما يقال أرضٌ مَضْبَّةٌ وَضَبَّةٌ مِنَ الضَّبَابِ ^(٢) ، وَفَثرةٌ مِنَ الْفَأَرِ ^(٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ^(٤) :
 إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرَشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قال : وذلك
 أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرَشَ تحريكٌ ^(٥) الْيَدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ لِيَخْرُجَ إِذَا
 ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قال : وَسَمِعَ ابْنَهُ صَوْتَ الْحَفْرِ فَقَالَ : يَا أَبَاهُ هَذَا الْحَرَشُ ؟ قال :
 يَا بَنِيَّ ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ ! فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوةٌ ، والخنازير تأكلها أكلاً ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً الْحَيَاتِ .

(٢) أرضٌ مَضْبَةٌ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالضَّادِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ . وَفِي ط ، س : « مَضْبَةٌ »
 وَ ه : « مَضْبَتُهُ » صَوَاهِمَا مَا أَثْبَتَ . وَضْبِيَّةٌ ، كَفَرَحَةٍ ، وَهُوَ مِنْ شَوَّاذِ
 الْمُضْعَفِ . ط ، هـ : « ضْبِيَّةٌ » صَوَابُهُ فِي س . وَالضَّبَابُ ، بِالْكَسْرِ :
 جَمْعُ ضَبٍّ .

(٣) قِيَ الْأَصْلُ : « فَائِرَةٌ » تَحْرِيفٌ . وَانْظُرْ (٦ : ١٣٤) ، وَاللَّسَانُ (فَأَر) .

(٤) انْظُرْ هَذَا الْمَثَلَ وَمَا قِيلَ فِيهِ ، عِنْدَ الْمَرْقُضِيِّ فِي أَمَالِيهِ (١ : ١٧٠) وَالْمِيدَانِيِّ

(١ : ١٧٠) وَالْبَغْدَادِيِّ فِي الْخَزَانَةِ (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بُولَاق) .

(٥) هـ : « تَحْرِيْدٌ » بِالْدَالِ . وَالتَّحْرِيدُ : التَّعْوِيْجُ .

وسموم ذوات الأنياب من الحيات ، وذوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ،
وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ، فلذلك لا ترضى بقتلها حتى تأكلها .
وتأكل الحيات العقبان ، والأيايل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير
والشاهمرك^(٣) ، والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ،
وإنما يظهر بالليل : قال الراجز :

• قنفذ ليل دائم التجآب^(٤) .
وهذا الراجز هو أبو محمد الفقهسى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ، لخروجه
بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطيب :
أعصوا الذى يلقى القنافذ بينكم متنصحا وهو السام الأنقع^(٦)
يزجى عقاربهُ ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخلدع^(٧)

(١) أى وسوم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجآب : تفعال من جآب يحوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جآب : أى يحوب الهلاد

ويكسب المال » . ط : « التجآب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس : يسنين بينهما ياء : من قدسه لياتيك بالأخبار . ط : « الدسيس »

صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرعى » س ، هـ : « ترعى » صوابهما =

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فَوَادِهِ عَسَلٌ بَمَاءَ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشُعٌ^(١)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشَبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُذْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول^(٣)] مجنون بن عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تَقْبَلُ^(٥) » الطباع ما كانت
لَيْثَةً .

ثم قال عبدة بن الطبيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
والنميمة :

لِنْ الَّذِينَ تُرَوِّهُمُ خُلَانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَدَعُوا قَنَافِدَ بَالْنَمِيمَةِ تَمْرَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاشية البحري ٢٤٠ : « يهلى » . والأخذع : واحد
الأخذعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه في
ط والحجاسة .

(١) شمشع العسل بالماء : مزجه به وغخلطه .

(٢) القوائيل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ :
« القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كانه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشر بها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل :
« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت خالجه . الحجاسة : « فهم إذا دمس » . وجذعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودي^(١) :

كقنفذ القرن لا تخفى مذارجهُ خبُّ إذا نامَ عنه الناس لم ينم^(٢)

(عهد آل سبجستان على العرب)

وفى عهد آل سبجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تقتلوا قنفذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما في قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والناقة : شد عليهما الحنج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والخففة . والمعنى أعدوا تلك القنفاذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمزع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودي : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العثيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ - ٤٢) . والبيت فى ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القرن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سبجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيرًا من بلادهم .

ولا وَرَلًا وَلَا تَصِيدُوا^(١) ، لآنها بلادُ أفاعٍ^(٢) . وأكثرُ ما يجتلب أصحاب صنعة الترياق والحوامون الأفاعى من سِجِسْتان . وذلك كَسَبُّ لهم وحِرْفَةُ ومَتَجَرٌ . ولولا كثرةُ قنَافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذ لا يبالي أى موضع قبض من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولة على أسهل الوجوه ، وإن قبض على وسطها أو على ذنبها ، جذب ما قبض عليه ، فاستدار وتجمع ، ومنعه سائر بدنه ، فتي فتحت فاهها لتقبض على شىء منه ، لم تصل إلى جلده مع شوكه الثابت ٥٦ فيه . والأفعى تهرب منه ، وطلبه لها وجراءته عليها ، على حسب هربها منه وضغطها عنه .

(أمثال في الحية والورل والضب)

وأما قولهم : « أَضَلُّ مِنْ حَيَّةٍ » ، و « أَضَلُّ مِنْ وَرَلٍ » ، و « أَضَلُّ مِنْ ضَبٍّ » - فأما الحية فإنها لاتتخذ لنفسها بيتاً ، والدَّكْرُ لا يقيم في الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على الكسب والتمس الطعم ، ثم تصير الأنثى سيارَةً ، فتي وجدت جُجراً دخلت واثقة بأن

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورا ولا تصيدونه » س : « ولا ورا » تصيدوه . وصوابه ما أثبت من هـ . وعند ياقوت : « ألا يقتل في بلدكم قنفذ ولا يسطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّائِكِينَ فِيهِ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْفَامُ فَصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فَصَارَ
الْبَيْتُ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بَيْضَ الْحَيَّاتِ^(١) وكسرتها لِتَعْرِفَ مَا فِيهَا ، فَإِذَا هُوَ بَيْضٌ
مُسْتَطِيلٌ أَكْثَرُ اللَّوْنِ أَخْضَرُ ، وَفِي بَعْضِهِ نَمَشٌ وَلَمَعٌ^(٢) . فَأَمَّا^(٣) دَاخِلُهُ
فَلَمْ أَرِ قَيْحًا قَطُّ ، وَلَا صَلِيدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فَاسِدٍ ، إِلَّا وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا
أَسْمَجٌ مِنْهُ وَأَقْذَرُ . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْبَيْضِ جِدًّا ، وَأَنَّ السَّلَامَةَ
فِي بَيْضِهَا [عَلَى^(٤)] دُونَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ بَيْضِهَا يَكُونُ مَنْصَدًّا فِي جَوْفِهَا طَوْلًا
عَلَى غِرَارٍ^(٥) وَاحِدٍ ، وَعَلَى خَيْطٍ وَاحِدٍ .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهر .
وكان ذلك بعضَ ما زاد في شِدَّةِ بدنِها^(٦) .

(١) ط : « الحياء » صوابه في س ، هـ .

(٢) الشمس ، بالتحريك : نقط بَيْضٍ وَسُود . وفي الأصل : « هَش » وليس بشيء .
وأثبت الصواب موافقا ما في الديري (١ : ٤١٠) . والجمع : جمع لَمَعَةٍ ، بِالضَّم ،
وهي كل لون غالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فَإِذَا » صوابه في س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غِرَارٍ : أى على قالب . ط ، هـ : « عَرَارٍ » س : « عَرَادٍ »
صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا في كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتنا هنا إثباتا
تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من
سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكي » .
وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرء^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخنزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرجُ من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرةُ العدد جداً .
وعامةُ العقاربِ إذا حِيلَتْ كان حَتْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقُها أكلتْ بطونَ الأمهاتِ حتى تنقبها^(٣) . وتكونُ الولادةُ
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميتةً .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسانَ لو زعمَ أنَّ بيضة^(٤)
واحدةً من بعضِ الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظمِ
ما تحمِلُ ، ولدقةِ حبِّه^(٦) وصغره . ولكن يعثرها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أنَّ الذكورةَ في أوانِ ولادةِ الإناثِ تنبُعُ أذنابها ، فكلما زحرتْ
بشيء التقمته والتهمته .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلاً عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقبها » و ه : « يتنفقها »
مخرفان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، ه « حشته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائنة وقتلها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر نخباً ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت مغطاة قوية المنة قل حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمان الرجال لا يكاد يعترهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنخل . إذا قويت النخلة
وكانت شابة ، وسمن جمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضب على خلاف ما ذكرتم :
قد تبيض الأثني سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً^(١) . ولولا أن الضب
يأكل ولده لانتفشيت الصحارى ضباباً . والضب لا يحفر إلا في كذبة^(٢)
وفي بلاد العراق^(٣) . وإذا هرمت تبلغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدل

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكذبة ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراق : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العراق » محرفة ، صوابه بالذال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخْن والعفن ^(١) .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك ^(٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاذ الحيات)

وليس للحيَّات سِفَادٌ معروف يَنْتَهِي إليه علمٌ ، ويقف عليه عيان ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يَرَوْنَ من ملاقاتِ الحيَّة [للحية ^(٣)] والتواء كلِّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيَزانٍ مفتولٌ ، أو خلخالٌ مفتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكُرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْمٌ ، فإنما يريدون الذَّكَرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودَةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر «السان» (عرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لايشهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو ضليانا يردا
* أو عكثنا ملتيدا *

(١) أى أن سكنى الضباب في السكوى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفي تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفي الأصل : « على بعض طبيعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا في ط . وفي س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفي هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفَّةِ البدن ، كما تذكر الشعراءُ في صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ^(١)
دُونَ الْأُنْثَى . فهم وإنْ لَحِقُوا الهَاءَ فإِنَّمَا يريدون الذَّكَرَ . قال بِشَرُّ
ابن أبي خازم :

جَرَادَةٌ هَبَّوْةٌ فِيهَا أَصْفَرَارُ^(٢)

لأنَّ الْأُنْثَى لَا تَكُونُ صَفْرَاءَ ، وَإِنَّمَا الْمَوْصُوفُ بِالصُّفْرَةِ الذَّكَرُ^(٣) ؛ لِأَنَّ
الْأُنْثَى تَكُونُ بَيْنَ حَالَتَيْنِ^(٤) : إِمَّا أَنْ تَكُونَ حُبْلَى بَيِّضُهَا^(٥) فَهِيَ مُثْقَلَةٌ
وإِمَّا أَنْ تَكُونَ [قَدْ^(٦)] سَرَأَتْ وَقَدْ ذُفَّتْ بَيِّضُهَا^(٧) ، فَهِيَ أَوْضَعُفُ
مَا تَكُونُ .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلَمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تَرَى وَفِي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ^(٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر
دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملی ٧٥ .

(٢) الهبوة : القبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :
« مearشة العنان كأن فيها » .

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأملی (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألأباب الفواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، ه : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظام في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثبانِ والرملِ ، بينَ مواضعٍ مَزَاحِفِها ،
وعُرفت آثارُها .

وقال آخر^(١) :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهَا قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيِّطِ^(٢)
وكذلك يعرفون آثار العظام . وأنشد ابن الأعرابي :

بِهَا ضَرْبُ أَذْنَابِ الْعِظَامِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبُ وَلَدَانٍ تَخْطُ وَتَمْصَعُ^(٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حَيَّات :

كَأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنْسَعُ جُرْزَنْ فَرَادَى وَمِشَاتِهَا^(٤)
وقال ثُمَامَةُ الْكَلْبِيُّ :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْهَزْلَى^(٥) صَبَاحًا خَدُودُ رَصَائِعِ جُدِلَتْ تَوَامَا^(٦)

٥٨

(١) هو المتنخل الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ و جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كَأَنَّ وَغَى الْخَمُوشِ أَمِيمٍ فِيهَا وَغَى رَكِبِ أَمِيمٍ أَوَّلَى زِيَاطِ

(٢) رواية المختصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كَانَ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهَا » ، ونهاية

الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وَهنا » مكان : « فِيهَا » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مَرَاخِفُهَا » . هـ : « مَرَاخِفُهَا » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع

بالكسر ، وهو سير يشفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت

في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالانزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا

السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخلود هنا بمعنى : آثار الجمر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلي من الحيات . قال جرير أو غيره :

ومن ذات أصفاءٍ مَسُوبٍ كَأَنَّمَا مَزَاحِفُ هَزْلٍ بَيْنَهَا مَتَبَاعِدٌ^(١)

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى

أَيُّ شَيْءٍ صَارَتْ :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الثَّرَى بِعِرَاصِهِمْ

قُلْتَ : الشَّجَاعُ ثَوَى بَهَا وَالْأَرْقَمُ^(٢)

وقال البيهقي :

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ يَبْتَنُ لِلضَّيَافَةِ أَرْشَمًا^(٣)

مُدَامِينَ جُوعَاتٍ كَانَ عَرِيقُهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُنَ سَمِيمًا^(٤)

« وهي سير مفسور في أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
« ضائع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط :
« خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما :
جمع تؤام . والمراد : أزواجاً . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أي أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
جمع صفاة . ط ، ه : « إصفاء » صوابه في س . وفي اللسان (صوى) : « أصواء »
مع تفصيل في الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والبتن : البعد ، إن جعل « بينها »
مبتداً مرفوعاً . ويصح أن تكون ظرفاً منصوباً ، أي مزاحف متباعد بينها . ط ، ه :
« بينها » صوابه في س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهي أخيش الحيات
وأطلقها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) التي ، بالفتح : التي لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « قتي »
س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاختصاص ٣٤٦
واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقي) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محباً للضيافات . وكفى عن زنى
أمه . والبتن : الذي يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشامون
به ، تخرج مقلوبا . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
« أرشما » ، س ، ه : « أرشما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أي هو يلسن الجوع . وفي الأصل : « مدافع جرعات »

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جناحَ ، ولا سترَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وقشرُ الحيةِ
أحسنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وأنعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قبيصَ ملكٍ ، فشبهه بسلخِ الحيةِ ، حيث يقول :
إذ ما أفادَ المالَ أودى بِفَضْلِهِ حقوقُ ، فكرهَ العاذلاتِ يوافقه
يجرُّ سربالاً عليه كأنه سبيُّ هزلي لم تقطعُ شرانقه^(٢)
والسبيء : السلخُ والجلد . قال الشاعر :

• وقد نصلَ الأظفارُ وانسباً الجلدُ^(٣) •

= كأن عروقهها « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ والسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها في الرمال ، وهي
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسميته : مشين
فيه . وفي الأصل : « يسرين » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشرين سسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم فذقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٤١١ : ٥) .

(٢) السبيء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد هزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ
الحية إذا ألقته . ط : « سراقه » س ، هـ : « سرائفه » ، صوابه من
اللسان (سبي) وما فى (٤٨٦ : ٣) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسباً الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ والأَفْعَى صُمُّ لا تَسْمَعُ ، وكذلك هما من بين جميع الخلق . وسنذكرُ من ذلك في هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النَّعَام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة^(١) ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب^(٢) أن يجعل سَمْعَهُ هدفاً لتوليد^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً لغرائب الزُّور : ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطُّرف ، لا يقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث في السمين ، والممكن في الممتنع ، ويتعلَّقُ بأدنى سببٍ ثم يدفع عنه كلَّ الدَّفْعِ .
والصَّنْفُ الآخر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم إلا من خاف التَّقَرُّزَ^(٤) من الكذب .

(قول في صمم الأفعى وعمار)

فزعم ناسٌ أنَّ الدَّلِيلَ على أنَّ الأَفْعَى صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، ه : « وعدهما كثير » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقزير » صوابهما ما أثبت . وفي العبارة قبله اضطراب .

أَنْتَعْتُ نَضَاضاً مِنْ الْحَيَّاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ لِلرُّقَاةِ^(١)
 وقد ذكروا بالصَّمَمِ أجناساً من خبيثات الحيات ، وذهبوا إلى امتناعها
 من الخروج عند رُقِيَةِ الرَّاقِ عند رأس الجحر ، فقال بعضهم :
 ٥٩ وذاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفَاعِي صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ كُلَّ نَضَضٍ أَفْمَى . وقال آخر :
 وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُحْمَةٍ كَالرُّشَا^(٢)
 أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي النَّسَا^(٣)
 فزعم أنه أصمٌ سميعٌ ، فجاز له أن يجعله أصمٌ بقوله : « وَمِنْ حَنْشٍ
 لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ » . وقال الآخر :
 أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَقْتَرُ عَنْ عُصْلِ حَدِيدَاتِ^(٤)
 والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإن قَلَعَتْ عَيْنُهُ عَادَتْ .
 وهو قائمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجَرَادَةِ ، كأنها مِسْمَارٌ مضروب . ولها بالليل شُعَاعٌ
 خَفِيٌّ . قال الرَّاعِي يصفُ الأفعى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالياء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ، وهي مبالغة ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسمه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عصل » صوابه في ط .
 وقوله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للفسر في أغنى الثنيات

وَيُذْنِي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسٍ صِلٌ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ ^(١)
وهذه صفةٌ سليمٍ الأفعى ^(٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصمم ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطراق .
قال الشاعرُ :

أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ عَارِي الْقَرَا ^(٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِاللُّجُنَاتِ ^(٤)
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ ^(٥)
يُسَيِّتُهُ الصُّبْحُ وَطُورًا لَهُ نَفْحٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ ^(٦)
وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أفعى بقوله :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصَلٍ حَلِيدَاتِ ^(٧)
مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى «لِخ»
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قُدُّمَنْ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسفع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : المملوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطُمُور : الثوب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسيته الصبح : ينيه . ط : « يسيته » صوابه في س ، هـ . والنفث : التنفخ

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . س : « المغارات »

ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهزت الأشداق ، ثم وصفها بالسبات وطول الإطراق ، وبسرعة النشطة^(٢) ، وخفة الحركة ، إذا همت بذلك وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صفة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهلية بجميع هذه الصفة^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشعر صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صفة الأفاعي مثلها .
وقد رأيت عند داود بن محمد الهاشمي كتاباً في الحيات ، أكثر من عشرة أجلاد ، ما يصح منها مقدار جلد ونصف .
ولقد ولدوا على لسان خلف الأحمر ، والأصمعي ، أرجازاً كثيرة . فها ظنك بتوليدهم على السنة القدماء !
ولقد ولدوا على لسان جحشويه في الخلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط . فلو تقدروا من شيء تقدروا من هذا الباب .
والشعر الذي في الأفعى^(٥) :

قَدْ كَادَ يَقْتَلَنِي أَصَمٌّ مَرَّقَشٌ مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خُلِقَتْ لَهَا زِمَةٌ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقَرَصِ فُلُطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أخرج . هـ : « أعصل » مصحف .

(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بناها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثلث في س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤلف والأصمعيات : « من حب كلم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفلح » س : « فسلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح

البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفْيِصِرِ بَرِيرٍ^(١)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنْوَفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورٍ^(٢)
وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزَ مَضْمَضَتٍ لِيُطْهَرِ^(٣)

فقد زعمت^(٤) كما ترى أنها تدير عينا^(٥) ، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
إلا أن تزعم أنها لم ترد بالادارة أن مقلتها تزول عن موضعها ، ولكنها
أرادت أنها جولة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والمتياسرة .
والمتياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمية^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثراث
وجودة الشم ، لا جودة السمع ، فإن الذين زعموا أن النعمة صماء زعموا
أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من^(٨)]
قبل السمع لو كانت سمية . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون
الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض النسيعة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤلف
ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
والتحوي ، وهما ما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسي .
ورواية صدر البيت في المؤلف :

« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

- (٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والبطور ، بالضم : التطهر .
(٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .
(٥) عن الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .
(٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .
(٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك
وكفرحة ، وشريفة وشريف .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) هو الزبدي كما سيأتي في ص ٢٨١ .

هَنَوَى إِلَى الصَّوْتِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلَ لَاقَى الْحَيْدَ فَاطْلَعَا^(١)

هذا بعد أن قال :

إِنِّي وَمَا تَبَتَّغِي مَنِّي كَلْتَمَسَ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشُّبْعَا
أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرٍ فِي مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعَا^(٢)
الْلُونُ أَرِيدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عَصَلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرَى بَيْنَهَا قِطْعَا^(٣)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءَ أَيْدِسَهَا أَوْ شَمَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا^(٤)
فَقَدْ جَعَلَ^(٥) لَهَا أَنْيَابًا عُصْلًا ، وَوَصَفَهَا بِغَايَةِ الْحُبِّ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .
فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ الْمَوْلَدَ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْخَطَأَ إِذْ كَانَ دَخِيلًا فِي ذَلِكَ
الْأَمْرِ ، وَلَيْسَ كَالْأَعْرَابِيِّ الَّذِي إِنَّمَا يَحْكِي الْمَوْجُودَ الظَّاهِرَ لَهُ ، الَّذِي عَلَيْهِ ٦١

(١) التقور : الثنى . وفي الأصل : « تعود » ، ولم أجِدْ له وجهًا ، وصوابه في
اللسان (قور) : والحيد يفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل :
« الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية
في مخرجها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد ثنى وأُغْرِفَ على طريق آخر .

(٢) في مقدمه : في مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه نخوص .
(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت فن هـ . وشابكة : مشتبكة .
وعسل : معوجات . هـ : « عسل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ - ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع
« ثم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جعلوا » .

نَشَأَ ، وَيَمَعْرِفَتِهِ غَذَى . فالعلماء الَّذِينَ اتَّسَعُوا فِي عِلْمِ الْعَرَبِ ، حَتَّى صَارُوا إِذَا أَخْبَرُوا عَنْهُمْ بَخِيرَ كَانُوا الثَّقَاتِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا . وَسَوَاءٌ عَلَيْنَا جَعَلُوهُ كَلَاماً وَحَدِيثاً مَنْثُوراً^(١) ، أَوْ جَعَلُوهُ رَجْزاً وَقَصِيداً مَوْزُوناً^(٢) .

وَمَتَى أَخْبَرَنِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ بَخِيرٌ لَمْ أَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِمَسْأَلَةٍ^(٣) الْأَعْرَابِ . وَلَكِنَّهُ إِنْ تَكَلَّمَ وَتَحَدَّثَ ، فَأَنْكَرْتُ فِي كَلَامِهِ بَعْضَ الْإِعْرَابِ ، لَمْ أَجْعَلْ ذَلِكَ قُدُوةً حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَمُنُّ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ النَّحْنُ الْخَفِيُّ قَبْلَ التَّفَكُّرِ . فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ حَكَمُهُ خِلَافُ الْأَوَّلِ .

(الرَّقِيَّةُ)

وَالرَّقِيَّةُ تَكُونُ عَلَى ضَرْوبٍ : فَهِيَ الَّتِي يَدْعِيهِ الْخَوَاءُ وَالرَّقَاءُ ، وَذَلِكَ يُشَبِّهُ بِالَّذِي يَدْعَى^(٤) نَاسٌ [مِنْ^(٥)] الْعَزَائِمِ عَلَى الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ فِي تِلْكَ الرَّقِيَّةِ عَزِيمَةٌ لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ ، فَكَيْفَ الْعَامِرُ^(٦) ؟ ! وَأَنَّ الْعَامِرَ إِذَا سَتَلَ بِهَا أَجَابَ ، فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى إِخْرَاجَ الْحَيَاتِ مِنَ الصَّخْرِ . فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا فَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ خُرُوجِ الْأَفَاعِي الصَّمِّ وَغَيْرِهَا فَرْقٌ ، إِذَا كَانَتِ الْعَزَائِمُ وَالرَّقِيَّةُ

(١) ط : « أَوْ حَدِيثاً مَنْثُوراً » .

(٢) ط : « أَوْ قَصِيداً مَوْزُوناً » . وَانْظُرِ الْإِسْتِدْرَاكَاتِ .

(٣) كَذَا فِي ط ، هـ . وَالْمَسْأَلَةُ : مَصْدَرٌ مِمَّنْ مِنْ سَأَلَ . وَفِي س : « بِمَسْأَلَةٍ » .

(٤) ط فَقَطْ : « يَدْعِيهِ » .

(٥) زِيَادَةٌ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ .

(٦) الْعَامِرُ : مَا يَسْكُنُ بِيُوتِ النَّاسِ مِنَ الْجِنِّ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ .

والتَّفَثُ ليس شيئاً^(١) يعمل في نفس الحيَّة ، وإنما هو شيءٌ يَعْمَلُ في الذِّى يُخْرِجُ الحيَّةَ . وإذا كان ذلك [كذلك]^(٢) [فالسَّمِيعُ والأَصَمُّ فيه سواءٌ .
وكذلك يقولون في التَّحْيِيْبِ والتَّبْغِيْضِ ، وفي النُّشْرَةِ^(٣) وحلِّ العُقْدَةِ
وفي التَّعْقِيْدِ والتحْلِيلِ .

(العزِيْمَةُ)

ويزعمون أنَّ الجنَّ لا تجيبُ صاحبَ العزِيْمَةِ حتَّى يَتَوَحَّشَ ويَأْتِيَ
الخراباتِ والبراريَّ ، ولا يَأْنَسَ بالنَّاسِ ، وَيَتَشَبَّهَ^(٤) بالجنِّ ، ويغسل
بالماءِ القَرَّاحَ^(٥) ، ويتَّبَعِرُ باللبَّانِ الذَّكْرَ ، ويراعى المشتريَّ^(٦) . فإذا دَقَّ
ولطَفَ ، وتَوَحَّشَ وعزَمَ ، أجابته الجنُّ ، وذلك بَعْدَ أَنْ يكونَ بدنه يصلحُ
هيكلاً لها ، [و^(٧)] حتَّى يَلِدَّ دُخُولَهُ وَاْدِيَّ^(٨) منازلها ، والأَيَكْرَةَ
ملايسته والكُوْنَ فيه . فإنَّ هو أَلَحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأخذْ لذلك أهْبَتَهُ
خبيلته ، وربَّما قتلته ؛ لأنها تَظُنُّ أَنَّهُ متى تَوَحَّشَ لها ، واحتمى ، وتَنَظَّفَ^(٩)

(١) هـ ، س : « شيء » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها الجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماء المتنجسون المعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة

وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، هـ . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تجيب بذلك فقط^(١) ، حتى يكون المعزم مشاكلاً لها
فى الطباع .

فيعزمون أن الحيات إنما تُخرج لإخراجاً ، وأن الذى يخرجها هو الذى
يخرج سمومها من أجساد الناس ، إذا عزم عليها^(٢) .

(التعويذ)

والرُفِيَّةُ الأخرى بما يُعرف من التعويذ^(٣) . قال أبو عبيدة :
سمعت أعرابياً يقول^(٤) : قد جاءكم أحدكم يسترقىكم فارقوه . قال :
فعوذوه ببعض العوائد^(٥) .

والوجه الآخر مشتق من هذا ومحمول عليه ، كالرجل يقول : مازال
فلان يرقى فلاناً حتى لان وأجاب .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهلية والإسلام فى رقى الحيات ، وكانوا
٦٤ يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويل المتكلمين فى ذلك ،
وبالله التوفيق .

(١) أى أن الجن لا تجيب بالزمية فقط ، بل لا بد لها من ذلك من أن يشاركها المعزم
فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » هـ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول »
وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويز »
جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح :
جمع معاذة .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنَّ إخراجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِها إِلَى الرَّاقِ ، إِنما كانَ للزَّيْمَةِ والإِقْسامِ عَلَيْها ، وَلأنَّها إِذا فهِمَتْ ذلكَ أَجابَتْ ولم تَمْتنع .
وكانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ العُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجِيبُونَ
العَزائمَ بِإِخراجِ الحَيَّاتِ مِنْ بُيوتِها ، وَفي ذلكَ يَقولُ :

وَالْحَيَّةُ الذِّكْرُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذا دُعِيَ بِاسْمِها الْإِنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ذاتُ الْإِلَهِ بَدَأَ فِي مِشْيائِها رَزَمٌ ^(٣)
مَنْ خَلَفَها حُمَّةٌ لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كانَ ثَبَّتَها فِي جُحْرِها الْحَمَمُ ^(٤)
نابٌ حَدِيدٌ وَكَفٌّ غَيْرُ وَادِعَةٍ وَالْخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشِّمُّ ^(٥)
إِذا دُعِيَ بِأَسْماءٍ أَجَبْنَ لَها لَنافِثٌ يَعْتَدِيهِ اللَّهُ وَالْكَلِمُ
لَوْلَا خُفَاةُ رَبٍّ كانَ عَذِّبَها عَرِجاءُ تَظَلَّعُ ، فِي أَنْياها عَسَمٌ ^(٦)

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) في اللسان : « ووصفت أُمَيَّةُ الحَيَّةَ بِالْحَتْفَةِ فَقالَ :

وَالْحَيَّةُ الْحَتْفَةُ الرَّقْشاءُ أَخْرَجَها مِنْ بَيْتِها أَمَنَاتُ اللَّهِ وَالْكَلِمُ .

وهي رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أَنتُوا الْمَصْدَرُ لما جَرى وَصفاً عَلَى الْمُؤنَّثِ » ،
يَعْنِي الْحَتْفَةُ .

(٣) في اللسان : « رَزَمَ الْبَعِيرَ وَالرَّجُلَ وَغَيْرَها يَرْزِمُ رَزوماً وَرِزَما : إِذا كانَ لا يَقْدِرُ
عَلَى التَّهَوُّسِ رِزَماً وَهَزالاً » . وَرواية الديوان ٥٧ : « يَرى فِي سَمِيا رَزَمٌ » .

(٤) كَذَا فِي ط ، هـ وَالدِّيوان ، وَقَدْ اسْتَمْعَلَ الْمُجازَ فِي « خَلَفَها » كما يَقولُ
الْقائِلُ : « مَنْ خَلَفَ الشَّرَّ وَالْأذى » ، أَي هُوَ صاحِبُ شَرٍّ وَأذى . وَالْحَمَّةُ ، بضم
الْحاءِ وَتَشديدِ الميمِ الْمُفتوحَةِ : السَّمُ ، وَتَجْمَعُ عَلَى جَم ، انْظُرِ الْلسانَ . وَفي س :
« مَنْ خَلَفَها حَيَّةٌ » وَلَا توافِقُ ما سَأَلْتُ مِنْ تَعْقِيبِ الْجائِظِ فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ س ٤ .

(٥) نابٌ حَدِيدٌ : حادٌ . وَليسَ لِلْحَيَّةِ كَفٌّ ، وَإِنما أَرادَ كَثْرَةَ ما يَصِيبُ النَّاسَ
مِنْ شَرِّها .

(٦) تَظَلَّعُ : تَمَرَّجَ وَتَغَنَّى فِي سِرِّها . وَفي الْأَصْلِ : « تَظَلَّعَ » ، صوابه فِي الدِّيوانِ .
وَالْعَمَمُ ، بِالتَّحريكِ : أَصْلٌ مَعناه يَبْسُ فِي الْمَرْفَقِ تَمَوَّجٌ مِنْهُ الْيَدُ ، فَهُوَ أَرادَ بِهِ
هَنا الْأَعْواجَ وَالانْعِفافَ ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ نابِ الْحَيَّةِ . وَفي الْأَصْلِ وَالدِّيوانِ أَيضاً :
« غَشِمَ » ، وَأَرادَها تَحْرِيفاً .

وَقَدْ بَلَّتُهُ فَذَاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فَلَيْسَ فِي سَمْعِهَا ، مِنْ رَهْبَةٍ صَمٌ ^(١)
كَيْفَ يَأْمَنُهَا أَمْ كَيْفَ تَأْلَفُهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ !

يقول : لو أنها أخرجت ^(٢) حين استُخْلِفتَ بالله لما خرجت ، إذ
ليس بينهما قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ . ثم ذكر الحمة ^(٣) والنَّاب .

وقال آخرون : إنما الحية مثل الضَّبِّ والضَّبْع ، إذا سمع بالله والهدم
والصَّوت خرج ينظر . والحواء إذا دنا من الجحر رفع صوته وصفق بيديه ،
وأكثر من ذلك ، حتى يخرج الحية ، كما يُخرج الضبُّ والضَّبْع .
وقال كثير :

وَسَوْدَاءٌ مِطْرَاقٌ إِلَى مِنْ الصَّفَا ^(٤) أُنَى ^(٥) إِذَا الْحَاوَى دَنَا فَصَدَّاهَا ^(٦)
والتَّصْدِيَةُ : التَّصْفِيق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمكاء : صوت بين التَّفَخُّ والصَّغِير .
والتَّصْدِيَةُ : تصفيق اليد باليد .

فكان الحواء يَحْتَالُ بذلك للحية ، ويُوْهِمُ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بِالرُّقِيَّةِ

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والتضمير عائد إلى
« ناث » في البيت الذي قبل السابق . س ، هـ : « قد أبْلته » ، وفي الديوان :
« وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ،
بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة المسماة الصلبة . ط ، س : « الصفا »
صوابه في هـ .

(٥) أُنَى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أُنَى » صوابه في س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحة من س ، هـ . ورسمت « فصداه » بالألف
وهي من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفي ط : « فصداه » ، مصححة .

أخرجها ، وهو في ذلك ينكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوت رفيع . وهو لورفع صوته بيت شعر أو بخرافة ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند الحية سواء . وإنما يشكر الصوت ، كما ينكره الضب وغير ذلك من الوحش .

ثم قال :

كففت يدا عنها وأرضيت سمعها من القول حتى صدقت ما وعى لها
وأشعرتها نفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعى النفث بالها^(١)
تسلتها من حيث أدركها الرقي إلى الكف لما سالت ، وانسلها ٦٣
فقال كما ترى :

• كففت يدا عنها وأرضيت سمعها • (البيت)

ثم قال :

• وأشعرتها نفثاً بليغاً فلو ترى •

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مسمع إني امرؤ من قبيلة بنى إلى عزاً موتها وحياتها
فلا تلمس الأفعى يدك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سفاتها^(٣)

(١) ه : « يا لها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي يخاطب مقتل بن غويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو الصواب في النسبة .

(٣) السقاة ، بالفتح ، سيفرها الجاحظ بعد . وفي ط ، ه ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية في الجميع ماعدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِنِ الْحَيَّةِ فِي أَقْطَارِهِ ^(١) فَإِنْ أَبَى شَمَّ سَفَاً وَجَارِهِ ^(٢)
وَالسَّفا : التراب اليابس بين الترين . يقال سَفَاً وسَفَاةً .

(تمويه الحواء والراقى)

والحواء [و ^(٣)] الرَّاقي يُرى ^(٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جَحراً ^(٥)
لم يخفَّ عليه : أبحر حية هو أم جُحر شيء غيره ، فإن كان جُحر حية
لم يخف عليه أهي فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَمَ فامتنعت من الخروج ،
وخاف أَنْ تكون ^(٦) أَفْعَى صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا ^(٧) لِيَاخُذَهَا فَأَخْطَأَ
لم يأمن من أَنْ تنقره نَقْرَةً ^(٨) لَا يُفْلِحُ بعدها أبداً ، فهو عند ذلك يستبرى ^(٩)
بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخفى عَلَيْهِ : أهي أَفْعَى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إِذَا ماغيبتها صفاتها
لكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إِذَا ماغيبتها صفاتها
(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التي
يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحواى .

(٢) أى إن أبى الحية أَنْ يخرج ، شم الحواى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلثم الكلام .

(٤) كذا على الصواب في ط . وفى س ، هـ : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما في هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى ما فى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت ما فى هـ .

(٧) أَرَاغَهَا : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انفرد صاحب فى تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . ومعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون
به من الأذى الصم والمؤذية .

• يدعو به الحية في أقطاره • (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بعضُ الحوائين أنَّ للحيات نثناً وسهكاً ، وأن ريح الأفعى معروفة . وليس شيء أعلق ، ولا أعنق^(١) ، ولا أسرع أخذاً لرأحة من طينٍ أو تراب ، وأنَّه^(٢) إذا شمَّ من طينة الجحر لم يخف عليه . وقال : اعتبر ذلك بهذا الطين السداني^(٣) والراهمي^(٤) إذا أُلقي في الزعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطيب ، فإنه متى وُضع إلى جنب رؤيته أو عذرة ، قيل ذلك الجسم .

والرقاء يوهم الناس إذا دخل دورهم لاستخراج الحيات أنه يعرف أماكنها برائحتها ، فإذ ذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها في سقف البيت والزوايا ، ثم يشمها ويقول مرة : فيها حيات ، ويقول مرة : بلى ، فيها حيات ، على قدر الطمع في القوم ، وفي عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأمر الصوت عجيب ، وتصرفه في الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل نحوايها ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السداني » نسبة إلى سيران . وقد ذكره صاحب

المعتمد في الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهمي : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يفرط عليها^(١)
 السُرورُ فتقلقُ حتى ترقص ، وحيَّ رُبمًا رمى الرَّجلُ بنفسه من حالق^(٢) .
 وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكمد . ومن ذلك ما يزيل
 العقل حتى يُغشى على صاحبه ، كنعو هذه الأصواتِ الشجية ، والقراءات
 الملحنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك من قبَلِ المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك
 لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ،
 فقليل له : كيف بكيتَ من كتاب الله ولا تصدَّق به ؟ قال : إنما
 أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .

(٢) الخالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه :
 « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ،
 والخداة والرهبانية . فثم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من
 كان يحجر بذلك حتى يسلخه . فمن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين
 يعملون في البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فأني سوف أنعها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من للسرانية إلى العربية
 وهو الذى نسر كنائس القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى في ط ، س : « بكأى » . وفي ه : « بكأ »

(أثر الأصوات في الحيوان)

والدَّوَابُّ تَصْرُ آذَانَهَا ^(١) إذا غَيَّ الْمَكَارِي . وَالْإِبِلُ تَصْرُ آذَانَهَا إذا حدا في آثارها الحادى ، وتزداد نشاطاً ، وتزيد في مشيها ^(٢) . وَيَجْمَعُ ^(٣) بها الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ في حظائرهم التى يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضُ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ ^(٤) ، فَتَقْبِلُ أَجْناسُ السَّمَكِ شَاحِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْغِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحَظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلْأُسْدِ وَقَدْ أَقْبَلْتُ ، فَتَرَوْعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ : الْآيَاتِلُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ وَالْغَنَاءِ . وَهِيَ لَا تَنَامُ مَا دَامَتْ تَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ حَادِقِ الصَّوْتِ . فَيَشْغَلُونَهَا بِذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِهَا فَإِنْ رَأَوْهَا مَسْتَرَحِيَةً الْآذَانِ وَثَبُّوا عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ قَائِمَةً الْأَذْنَيْنِ فَلَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ .

وَالصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبُذُورِ .
وَزَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إِذَا وَافَقَ سِيَّاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرَّت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكور كما هنا ، لا يجوز في فعله إلا التذكير ، خلافاً للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) الععلطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فِي أَعْلَى الْمَاءِ رَمَتْ بِيَضِهَا ^(١) قَبْلَ انْتِهَاءِ الْأَجْلِ . [وَرَبَّمَا تَمَّ الْأَجْلُ ^(٢)]
فَتَسْمَعُ ^(٣) الرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، فَيَتَعَصَّلُ ^(٤) عَلَيْهَا أَيَّامًا بَعْدَ الْوَقْتِ .

(قَوْلُ لِأَبِي الْوَجِيهِ الْعَمَلِيُّ)

وَقَالَ أَبُو الْوَجِيهِ الْعَمَلِيُّ : أَحَبُّ السَّحَابَةِ الْخَرَسَاءُ وَلَا أُجِبَهَا !
فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَا تَخْرُسُ حَتَّى تَمْتَلِئَ مَاءً وَتَصْبَّ صَبًّا
كَثِيرًا ، وَيَكُونُ غَيْثًا طَبَقًا ^(٥) . وَفِي ذَلِكَ الْحَيَا ^(٦) . إِلَّا أَنَّ السَّكَمَةَ لَا تَكُونُ
عَلَى قَدَرِ الْغَيْثِ . ذَهَبَ إِلَى أَنَّ لِلرَّعْدِ فِي السَّكَمَةِ عَمَلًا .

(دُعَابَةُ جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ)

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٧) : سَأَلَ كَسْرَى عَنْ السَّكَمَةِ فَقِيلَ لَهُ : لَا تَكُونُ
بِالْمَطَرِ دُونَ الرَّعْدِ ، وَلَا بِالرَّعْدِ دُونَ الْمَطَرِ . قَالَ : فَقَالَ كَسْرَى : رَشُّوا بِالْمَاءِ
وَاضْرِبُوا بِالطَّبُولِ ! وَكَانَ مِنْ جَعْفَرٍ عَلَى التَّمْلِيحِ ^(٨) . وَقَدْ عَلِمَ جَعْفَرٌ أَنَّ
كَسْرَى لَا يَجْهَلُ هَذَا الْمَقْدَارَ .

(أَثَرُ الصَّوْتِ فِي الْحَيَةِ)

فَالْحَيَّةُ وَاحِدَةٌ مِنْ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ الَّتِي لِلصَّوْتِ فِي طَبْعِهِ عَمَلٌ .

(١) ط . هـ : « بِيَضِهَا » صَوَابُهُ ، فِي س .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، هـ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَيَسْمَعُ » .

(٤) يَتَعَصَّلُ : يَسْرِعُ خُرُوجَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَيَتَعَصَّلُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) طَبَقًا : أَيَّ مَالَتَا الْأَرْضِ مَغْشَا لَهَا .

(٦) الْحَيَا ، بِالْقَصْرِ ، وَبَعْدَ أَيْضًا : الْخَصْبُ .

(٧) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التَّمْلِيحُ : أَنَّ يَأْتِي بِغَىءٍ مَلِيحٍ . وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الشَّاعِرِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هُنَا لِلْمُتَحَدِّثِ

ط : « التَّلَاح » وَهُوَ التَّزْوُدُ بِالْمَلْحِ ، أَوْ التَّجَارَةُ بِهِ ، وَلَيْسَ يَلِيْقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ،

وَصَوَابُهُ فِي س ، هـ .

فاذا دنا الحوَاء وصفق يديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزِيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيَّة خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعترم مُطاعٌ في العَمَّار . والعامَّة أسرعُ شيءٍ إلى التصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعْمى^(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعْمى ، كان من مُستَجِيبِي^(٤) بشارِ الأعْمى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدَّين . وهو الذي يقول :

٦٥ إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ مُقْتَدِسَةً

(١) يقال زيته ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيا صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعْمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدي في نسكت الحميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الفوفى ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً جيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسمعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعْمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى من قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س :

« مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها للشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الحميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْقُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ^(١)
لَا تَعْظُ إِلَّا اللَّيِّبَ فَمَا يُعَدِّلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتْهُ^(٢) كَفَّ مُغْبِرِيهِ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَأْمَعُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العرب تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك
والحجارة رطبة .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لَبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابُ^(٣)
بَايَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيْكَ الْغَرَابُ
وَأُرْسِلَتْ الْحَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَايِنَتْ بِهَا الْمَاءَ الْعِبابُ^(٤)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهَا الشَّاطُ وَالطِّينُ الْكُبَابُ^(٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونسكت الهيمان : « عرقه » صوابه في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونسكت الهيمان وعيون الأخبار : « عدته » . ورواية السكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أثبت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، هـ . وفي س : « وعائنة بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ^(١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّتْهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلْ فَلَيْسَ لَهُ انْتِصَابُ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم أخبر عن منادمة الديك الغراب ، واشترط الحماة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَفْعَى تَرْبِّيَهَا لَدَيْهِ وَذَى الْجَنَى أَرْسَلَهَا نَسَابُ^(٢)
فَلَا رَبُّ الْهَيْةِ يَأْمَنُهَا وَلَا الْجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً^(٣) ، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية^(٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإني سأشيدك لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً ديانياً^(٥) ، وترجماناً ، وصاحب كتب ، وكان من دهاة أهل ذلك الدهر .

قال عدي بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جمل فسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عدوه على وليه . فقال :

= (٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشايط » أي على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحماة .

(١) طوق الحماة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربيتها : ربها . والتربيب : التربية . وفي الأصل : « تربيتها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قَصَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ^(١) وكان آخرها أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدمَ صوتاً فاستجاب له ٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الْجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا^(٢)
ثُمَّتَ أَوْرَثَهُ الْفِرْدَوْسَ يَغْمُرُهَا وَزَوْجَهُ صَنَعَتْ مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرِ طَيْبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا^(٣)
فَكَانَتِ الْحَيَّةُ الرُّقْشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا رَى نَاقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدَا لِلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نُهِيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كِلَاهُمَا خَاطَ إِذْ بُرَا لِبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ التَّيْنِ ثَوْبًا لَمْ يَكُنْ غَزَلَا^(٤)
فَلَاطَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طَوَّلَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا^(٥)
تَمَشَى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَيَّرَتْ وَالتَّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزَنًا وَإِنْ سَهَلَا^(٦)
فَأَتْنَبِيَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا
وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا^(٧)

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه في ه .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، ه . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بُرَا لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، ه : « بُرَا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لآتموت إلا بهرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بى زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فأتنبأ أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفي س ، ه : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْنِي بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عِلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوُوا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوقِبَ
بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوقِبَتْ أَيْضًا بِعَشْرِ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْإِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الطَّلَقُ ، ثُمَّ
الزَّعْ^(٤) ثُمَّ بَقْنَاعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْيِ^(٦) وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَضْرُ فِي الْبُيُوتِ^(٧) ، وَالْحِيْضُ ، وَأَنَّ الرِّجَالَ هُمُ الْقَوَّامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

-
- (١) الأحلام ، العقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى :
علا فيها .
- (٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
الملك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره . أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .
- (٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر
التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .
- (٤) أى نزاع الولد .
- (٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصاصة أن تكون بعد تاليتها .
- (٦) وحيث المرأة : حبلى وأشتهت الطعام ، فهى وحى من وحيام ووحاى . ط ،
- س : « الوحم » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .
- (٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسما ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه ^(١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوام والسباع ، ونكد العيش ، ويتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعرى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالحاسبة بالطرف ^(٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشى على
بطنها ، وباعراء جلدها — حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها —
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريم العقوبة — وبما ألقي عليها
من عداوة الناس ، وبمخافة الناس ، ويجعله لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرمل
على الطريق وتدخل بعض جسدها فى الرمل ، فتظهر كأنها طبق خيزران ،
ومنها حيات بيض قصار تجمع بين أطرافها على طرق الناس ، وتستدير كأنها
طوق [أو ^(٣)] خلخال ، أو سوار ذهب أو فضة — ولما تلقى على نفسها من
السبات ^(٤) ، ولما تظهر من الحرب من الناس . وكل ذلك إنما تغرهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد الحاسبة على ما تجنيه العين من جنائيات النظر . وفى س :

« وبالحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقِبَتِ الْأَرْضُ حِينَ شَرَبَتْ دَمَ ابْنِ آدَمَ ^(١) بِعَشْرِ خِصَالٍ :
 أَنْبَتَ فِيهَا الشَّوْكَ ، وَصَيَّرَ فِيهَا الْفَيَافَى ، وَخَرَقَ فِيهَا الْبَحَارَ ، وَمَلَحَ أَكْثَرَ
 مَائِهَا ، وَخَلَقَ فِيهَا الْهُوَامَ وَالسَّيَّاعَ ، وَجَعَلَهَا قَرَارًا لِلْإِبْلِيسَ وَالْعَاصِينَ ،
 وَجَعَلَ جَهَنَّمَ فِيهَا ، وَجَعَلَهَا لَا تَرْبِي ثَمَرَهَا إِلَّا فِي الْحَرِّ ، وَهِيَ تَعَذِّبُ بِهِمْ إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلَهَا تَوَطُّأً بِالْأَخْفَافِ ، وَالْحَوَافِرِ ، وَالْأُظْلَافِ وَالْأَقْدَامِ ^(٢) ،
 وَجَعَلَهَا مَالِحَةً الطَّعْمِ .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
 قَالَ : وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَبِي مَرْيَمَ الْخَنْزِيِّ ^(٣) :
 « لَأَنَا أَشَدُّ لَكَ بُغْضًا مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ ! » .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لا تشرب الدَّم ، إِلَّا يَسِيرًا مِنْ دَمَاءِ
 الْإِبِلِ خَاصَّةً .

(اختبار العسل)

وَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْتَحِنُوا جَوْدَةَ الْعَسَلِ مِنْ رِذَائِهِ ، قَطَرُوا عَلَى الْأَرْضِ

(١) هو الذي تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته في سورة
 المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) في الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
 في عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال :
 أفتمتنعني لذلك حقًا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت ^(١) كأنها قطعة زَيْتِي ، ولم تَأْخُذْ مِنَ الْأَرْضِ ولم تُعْطِهَا ^(٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوشة ^(٣) نفشت القَطْرَةُ على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدروا على اللحم الغريص ^(٤) دَفَنُوهُ وَغَرَّقُوهُ فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُّوهُ غَضًّا طَرِيًّا ؛ لَأَنَّهُ ذَهَبٌ الطَّبَاع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شىء . فهو لا يعطايه شيئاً ولا يأخذ منه * وكذلك الذهب إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أَنَّهُمْ قد كانوا يقولون :
إِنَّ الصَّخُورَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيِّنَةً ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجاج ، أو رؤبه ^(٥) :
أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُحْكَى عن كعبٍ أَنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة
أَنَّهُ إِنَّمَا قال : « نَجِدُ فى الكُتُبِ » ، وهو إِنَّمَا يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه
من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل ^(٦)] كتب إشعياء ^(٧) [وغيره ^(٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريص : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبار^(١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلَّا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفي أنَّ الحيةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النَّابِغَةُ^(٢) في المثل الذى ضربَهُ^(٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سَراحنا فيعذرنا من مُرةِ المتناصِره^(٤)
ليهنِّكم^(٥) أنْ قد نفِيتُم^(٦) يئوتنا محلَّ عبيدَانِ المحلِّ باقره^(٧)

= في التنبيه السابق : فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزائن (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . وهم الديميرى في نسبة الشعر إلى النابغة الجعلى .

(٣) انظر قصة الشعر في المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والديميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميداني (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهي ما وضعه العرب على السنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا في هـ . وفي س : « لهنكو » وهما كتابتان جائزتان ، وفي ط : « لهنأكم » ، وفي خسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « لهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) في الأصل : « لقيم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) في البيت اقراء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلِّ باقره » بكسر اللام من المحلِّ ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » بحرف . وانظر الاستدراكات .

وإني لللاق من ذوى الضغن نَكْبَةً بلا عثرةٍ والنفس لابدٌ عاثِرَه (١)
كما لَقِيتُ ذاتَ الصِّفَا مِنْ حَلِيفِهَا

وما انفكَّتِ الأمثالُ في الناسِ سائرَه (٢)
فقالَتْ له : أدعوك للعقلِ وافراً ولا تغشيني منك للظلمِ بادرَه (٣)
فواثَقَها باللهِ حتَّى تَرْضَيَا فكانتُ تديه الجزعِ خَفِيًّا وظاهرَه (٤)
فلما تَوَقَّى العقلَ إلَّا أَقلُّه وجارتُ بهِ نفسٌ عن الخيرِ جائرَه (٥)
تفكَّرَ أنى يَجْمَعُ اللهُ شِملَه (٦) فيصبحَ ذا مالٍ ويقتلَ واثِرَه
فَظَلَّ على فأسٍ يُجِدُّ غرابِها (٧) ليقْتلَها ، والنفسُ للقتلِ حاذِرَه (٨)
فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأسِه (٩) واللهِ عينٌ لا تغمضُ ساهرَه (١٠)
فقالَ : تعالى نجعلُ اللهُ بيننا على العقلِ حتَّى تُنجزى لى آخرَه (١١)

- (١) الخزانة : « إني لألقى من ذوى الضغن منهم » .
(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ،
وهى الحجارة الملس الصلاب .
(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الخليف .
(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز
فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » بحرف . ورواية الخزانة والديوان :
« وكانت تديه المال غيا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة
أصله من ظمهم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .
(٥) توى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .
(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .
ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .
(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميذاني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »
(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية المعجز في الخزانة والميذاني والديوان :
« مذكرة من الماويل بآثره » .
(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميذاني : « والشر عين لا تغمض ناظره » .
(١٠) قال الحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزها . س ، هـ =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ إِنِّي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينُكَ فَاجِرُهُ ^(١)
أَبَى لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضَرْبَةً فُأْسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرُهُ ^(٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَاتِ مَذْهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصنخور والأشجار في ماضى الزمان)

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ :
فَكَانَ رَطْبِيًّا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا ^(٣) طَلَحُهَا وَسَيَّأُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْثَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
كَانَتْ خَضِيدًا ^(٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .
وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابُ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشَّوْكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَّارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَعَلَّ يَجْعَلُ » صَوَابُهُ ، فِي طَوَائِفِ الدِّيَّانِ وَالْخَزَانَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
« عَلَى الْمَالِ » وَ « عَلَى مَالِنَا » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : تَقْسِمُ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ « أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحُذِفَ « لَا » بَعْدَ
الْقَسَمِ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي السِّكَاكِ : « تَالَهُ تَفْتَقِرُ تَذَكَّرَ يُوسُفُ » أَيْ لَا تَفْتَقِرُ .
وَانْظُرْ لِهَذَا الْبَحْثِ أَمَّا الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمُخَصَّصُ (١٣ : ١١٥)
وَالْأَضْدَادُ ١٤٨ . وَالْخَتَّارُ : الْفَدَارُ .

(٢) تَقُولُ : أَيْ لَكَ أَنْ تَكُونَ وَفِي مَا أَسْلَفْتُ إِلَى أَخَوِكَ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهٌ لَنَا
وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبًا بِفُأْسٍ ، فَانْتَقَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ قَتَلَتْهُ . وَرَوَايَةُ الدِّيَّانِ
وَالْخَزَانَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَيْ لِي » أَيْ لِي أَنْ أَخْدَعُ . أَوْ أَنْ أَضْمِنَ وَفَاكُ .
وَصَدَقَ الصَّاهِدُ وَالتَّوَاتُؤُ . وَالضَّرْبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْقَاطِعَةُ ، كَأَنَّهُمَا تَقْلَعُ الْفَقَارَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَضِيدًا » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ خَضَدَ الشَّوْكَ : أَيْ قَطَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ .
« خَضِيدَةٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَذَكَرَ مِنْهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه ^(١)] أبو عقيل السَّوَّاقُ ، وكان أحدَ روايتهِ والحاملين عنه - إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيِّنَةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرَتْ ^(٢) فِي تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرِ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ . ٦٩
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى حَمَلَهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاها ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحُجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَتَحْوِي مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلَقَاءَ ^(٣) يَابِسَةٍ فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيثِ ذَلِكَ بِالْحُجَّةِ ^(٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَلْكِ وَالتَّكْلِيفِ وَاتِّنَحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ هَلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ هَلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَإِنْ لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ هَلَكْتَ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَنْهَجَ كَلَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمِلَتْهُمْ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنْ قَدِمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرْنَا » ، وَيَكُونُ صَوَابٌ مَا فِي ط : « وَإِنْ قَدِمَى » لِلخ .

(٣) صخرة خلَقَاءَ : مِلْسَاءَ .

(٤) س : « الْحُجَّةُ » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعّم أن الناس يحتاجون بديلاً^(١) إلى طبيعة ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يتبدّى به صاحبُ الإنصافِ أمره ألاّ يعطى نفسه فوقَ حقّها ، وألاّ يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإنّ نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفّظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السّابقي إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطنابي في القول ، بيتُ ابنِ هرّمة ، حيث يقول :
إنّ الحديثَ تغرّ القومَ خلوتُهُ حتّى يلجّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مُجرٍ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بدنيا : أي بدءاً . وفي الأصل : « ندبا » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه للكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابي » .

(٣) خلوته : أي أن يحتل بعضهم بعضاً لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « خلوته » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وأمّال القائل (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلّة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍ في الخلاءِ مسرٌّ » ، بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أي أفرسه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أن أغرَّ من نفسي ، عند غيبة خصمي ، وتصفح العلماء
لكلامي ، فإني أعلم أن فِتنة اللسان والقلم ، أشد من فِتنة النساء ، والحرص
على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ مني حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ،
أولُّ ذلك العلةُ الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ،
والرابعة أني لو تكلفت كتاباً في طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثم كان من
كتب العَرَض والجوهر ، والطفرة ^(١) ، والتولد ^(٢) ، والمداخلة ^(٣) ، والغرائز ^(٤)

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المتيوت
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
في (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما في الفصل (٥ : ٦٤) ،
وهي قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم
يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ - ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س
٢ . وفي الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامي ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سبها فخرج به إنسانا ، أو
غيره ، وفي حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجادات ، فقالت
طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حي ، فهو فعل الإنسان والحي .
واختلفوا فيما تولد من غير حي ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام
فيه في كتابه (٥ : ٥٩ - ٦٠) . وانظر مذهب الجبائي والنظام في الفرق
١١٥ وبشر ، في الفرق ١٤٣ . وفي الأصل : « التوليد » وصوابه بما
سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والعلوم ، والروائح ، والأصوات
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام يزعمهم تتداخل في حيز واحد . الفصل
(٥ : ٦٠ - ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أي الطبايع الموجودة في الأشياء ، كالحرق للنار ، والبرد للفلج ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياً ما ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار^(٢) ، وتتبع الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب ، وتباعداً ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام^(٣) ، ومن وقوع الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تنسك ، بعد أن صوّرت عندك حالى التى ابتدأت عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عون الله على إتمامه ؛ إذ كنت لم أتمس به إلا إتمامك مواقع الحجج لله ، وتصارييف تدبيره ، وانذى أودع أصناف خلقه من أصناف حكمته - لمّا تعرّضت لهذا المسكروه .

فإن نظرت في هذا الكتاب فانظر فيه نظر من يلتبس لصاحبه المخارج ، ولا يذهب مذهب التعنت ، ومذهب من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليعلم من فعل ذلك أنه قد تعرّض لباب إن أخذ بمثله ، وتعرّض له

= للخمير . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (٥ : ١٤ - ١٥) . وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ مسمى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالبن ، والذيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكة في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط هـ : « التماس » س : « التماس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى الجأ . وفي الأصل : « أفرع » محرفة . والتلفظ : التلقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلقظ » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلامة .
فلينظر فيه على مثال ما أدب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
والاعتبار والتعليم ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
والجرجسة^(١) ، ألا تحقير تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما
عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و^(٣)] من ذلك التدبير ،
كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
وَطَّنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُلُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامر بن عبد قيس^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : اليموض الصغار . ط : « الخرجة » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جازز في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين .

(حث على الإخلاص والتذنب عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعينك بالله أن تسمع إلا له .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فأحذر من أن تكون منهم ، ومن
ينظر إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، ويمتنع^(١) يبصرها بفتح العين واستماع
الأذان ، ولكن بالتوقف من القلب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه
وتمكينه من اليقين ، والحجة الظاهرة . ولا يراها من يعرض عنها . وقد
قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صمًا بكمًا وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيرهم بذلك ، كما لم يعير من خلقه
معتوها كيف لم يعقل ، ومن خلقه أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يلم^(٢)
الدواب ، ولم يعاقب السباع . ولكن سمي البصير المتعالي أعمى ، والسميع
المتصائم^(٣) أصم ، والعاقل المتجاهل جاهلاً .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيضاء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، ه : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كَمَا أَمَرَكُ اللَّهُ ، وَاَنْظُرْ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي دَلَّكَ مِنْهَا ، وَخُذْ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ (١) .

(عود إلى الحيات)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى مَا فِي الْحَيَّاتِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَرَةِ ، وَالْفَائِدَةِ
وَالْحِكْمَةِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : « لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَمُرُّ بِنَا طَائِرٌ إِلَّا وَعِنْدَنَا مِنْ شَأْنِهِ عِلْمٌ » . وَهَذَا الْقَوْلُ مُصَحِّحٌ
عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَلَمْ يَخْصُ أَبُو ذَرٍّ خَشَاشَ الطَّيْرِ مِنْ بُغَائِهَا وَأَحْزَارِهَا ، وَلَا
مَا يَدْخُلُ فِي بَابِهِ (٢) الْهَمَجُ . وَقَدْ أَرَيْنَاكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِهِ طَرَفًا . وَلَعَلَّكَ
إِنْ جُمِعَتْ نَظَرُكَ إِلَى نَظَرِنَا ، أَنْ (٣) تَسْتَمَّ هَذَا الْبَابُ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ (٤) أَشِيرًا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرَيَانِ
وَقَالَ الْأَخْنَفُ : « مَا مِنْ نَاسٍ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى
مِنَ الْأَمَةِ الْوَرَهَاءِ وَالْعَبْدِ الْأَوْرَةِ (٥) » .

(أنواع الحيات)

وَالْحَيَّاتُ مُخْتَلِفَاتُ الْجِهَاتِ جَدًّا ، وَهِيَ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَكْثُرُ اخْتِلَافُ
أَجْنَاسِهَا فِي الضَّرَرِ وَالسَّمِّ ، وَفِي الصَّغَرِ وَالْعِظَمِ ، وَفِي التَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ

(١) مَا آتَيْنَاكُمْ : أَيْ الْكِتَابَ . وَأَصْلُ الْخُطَابِ لِبْنِ إِسْرَائِيلَ . بِقُوَّةٍ : بِجِدٍّ وَعَزِيمَةٍ .

اذْكُرُوا مَا فِيهِ : اذْكُرُوا وَلَا تَنْسُوهُ ، أَوْ تَفَكَّرُوا فِيهِ .

(٢) س ، هـ : « بَابٌ » ط : « بَابُهُ » ، وَأَثْبَتَ تَصْحِيحَ مَا فِي ط .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

(٤) رَوَايَةُ الرَّائِبِ فِي الْمَخَاضَاتِ (١ : ١٢) : « فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ » .

(٥) الْأَوْرَةُ : الْأَحَقُّ ، وَالْأَثْقَى وَرَهَاءُ .

وفي الحرب منهم . فنها مالا يؤذى إلا أن يكون الناس قد آذوها مرة .
وأما الأسود فإنه يحقد ويطلب ، ويكمن^(١) في المتاع حتى يدرك بطائلته .
وله زمان يقتل فيه كل شيء نهشه .

وأما الأفعى فليس ذلك عندها ، ولكنها تظهر في الصيف مع أول
الليل ، إذا سكن وهج الرمل وظاهر الأرض ؛ فتأتي قارعة الطريق حتى
تستدير وتطحن^(٢) كأنها رحي ، ثم تلصق بدنها^(٣) بالأرض وتُشخصُ
رأسها ، لئلا يدركها السبات ؛ معترضة ، لئلا يطأها إنسان أو دابة فنهشها .
كأنها تريد ألا تنهش إلا بأن يُتعرض^(٤) لها ، وهي قد تعرضت
لنَهشها باعتراضها في الطريق وتناوُمها عليه ! وهي من الحيات التي ترصد^(٥)
وتوصف بذلك . قال معقل بن خويلد^(٦) :

أبا معقل لا توطئنكم بغاضى

رؤوس الأفاعى في مراصيلها العرم^(٧)

-
- (١) كن يكن ، من باي نصر وسم : استخفى . س : « ويكن » محرفة .
(٢) في الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت
واستدارت ، فهي مطحان . قال الشاعر :
بخرشاه مطحان كأن فحيحها إذا فزعت ماء هريق على حجر
(٣) ط : « بدنها » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .
(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، ه .
(٥) ترصد : أى تكن . والمراد : المكائن .
(٦) معقل بن خويلد بن وائلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلي ، شاعر مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم الرزبانى
٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .
(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتبة ، كما في شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣٨٣ تحقيق
فراج . والبغضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم)
والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئنك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها^(١) . وكل^٢ منقطة^(٢) فهى عرّماء ؛
من شاة أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوّت من حنّشٍ وراصيدٍ للسّفَرِ فى أعلى البيات قاصيدٍ
والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمانٍ . والشُّجاع^(٣) يوائِبُ
٧٢ ويقوم على دَنَبِهِ ، وربّما بَلَغَ رأسُهُ رأسَ الفارسِ .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوّقت على الطّريق وفى المناهج ، أو اعترّضتها
لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر - شىءٌ كأقاطيع الشّياح إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان
همّها نفسها ، ولم يكن لها همهٌ إلّا التّخلّصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء .
فإن نَجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإن سلّمت من واحدة
لم تسلّم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن كجأ ، وهو يصف إبله :

• تعرّض الحياتِ فى خيرشائها^(٤) •

(١) ط : « بأفالاى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٧٤ إذ لا داعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمرّاصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرّماء
التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

• رهوس الأفاعى فى مرابضها العرم • »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابها « تفرش » . والتفرش : التّجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عاسها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام^(١) :

• تُعْجِلْهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَرِ^(٢) •

ومن ذلك أَنَّ العَرَبَ تَقَعُ في يدِ السَّنَوَرِ ، فيلعب بها ساعةً من الليل وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخْذِبةٌ لا تضربه . والسَّنَانِيرُ من الخلق الذي لا تسرع^(٣) السُّمُومُ فيه .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربما باتت الأفعى عند رأسِ الرَّجُلِ وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثرُ ما يُوجَدُ ذلك من القائِضِ^(٤) والراعى . قال الشاعر^(٥) :
تَبَيْتُ الحَيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الحَبِّ مَسْتَمِعَ السَّرَارِ^(٦)
قال : الحَبُّ : الحبيب^(٧) . والنضناض من الحيات : الذى يحرك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي . وهو كذلك لقب لتويفع ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائض . وانظر المؤلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكر بأنفه ولا يعض بفيه . في الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « ترح » ، وليست هناك .

(٤) القائِض : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه في س ، ه .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما في اللسان (حبيب ، نضض) وأمدى القائل (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيق .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرار » . انظر المصدرين المتقدمين والمختص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحَبُّ ، هنا : القوط . عن الأصمى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تَبَيْتُ الحَيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مَكَانَ الحَبِّ يَسْتَمِعُ السَّرَارِ
ما الحَبُّ ؟ فقال : القوط . فقال : خلوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحَبُّ والحباب : القوط من حبة » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرِّمَّة : ما التضنناض ؟
فأخرجَ لسانَه يحرِّكه ^(١) .

وإنما يصف القانصَ وأنه يبيت بالقفر . ومثله قولُ أبي النجم ^(٢) :

تحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فِي عِرْزِهَا جَرَى الرَّحَى تَجْرَى عَلَى ثِفَالِهَا ^(٣)
العِرْزَال ^(٤) : المكان .

وفي ذلك يقول أبو وَجْزة ^(٥) :

تبيت جارتَه الأقمى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنَّ كالجرب ^(٦)
وقوله : رُمْدٌ ^(٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر ^(٧) .

(قصة في مسالة الأقمى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمى ، فلما أصبح يحيى

(١) في المختص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية التضنناض ؟ فحرك لسانه في فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويرى للأعشى ، كما في اللسان .

(٣) الحية القرناء : التي لها لختان في رأسها كأنهما قرتان ، وأكثر ما يكون ذلك

في الأفاعى . هـ : « الفرما » س : « الفرما » ط : « الغروال » ، وهو

تصنيف ما أثبت من اللسان (عزل ، قرن) . و « لنا » هى في ط : « بها »

وفي اللسان : « له » . و « عزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى .

وفي الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » .

وثقال الرعى : الجلد ييسط تحتها ليق الطحين من التراب .

(٤) في الأصل : « الغروال » تحريف . وفي اللسان : « عزال الحية : جحرها » .

(٥) في الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاي المعجمة . وقد تقدمت

ترجمته في (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً للمعارف ٣١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) في الأصل : « ريد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما في اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحبى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحبى :
أعوذُ بربى أن تُرى لى صبيتى يُطيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم .
من الخرس لا ينجو صحيحاً سليمها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربّما باتت
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قيضه عامّةَ يومها ، فلا تلتسه .
فهى بالأفعى أشبه .

فأما سائرُ العقاربِ فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فرّت^{٧٣}
كما يصنعُ المسميُّ الخائفُ للعقاب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغشى عليه ، ولا النائم إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كلَّ أسودَ سارخ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدثَ أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السلمي

(١) السليم : القديح . وأراد معقوداً به حل التمام ، فقلب .

(٢) فى الأنس : « الصوت » .

(٣) ط : « للعقارب » ، ضوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لَسَعَتْ قَتَلَتْ ، فَدَبَّ ضَيْفٌ لَهُمْ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الدَّارِ فَضَرَبَتْهُ
عَقْرَبٌ عَلَى مَذَاكِيرِهِ ، فَقَالَ نَصْرٌ يَعْزُضُ بِهِ :
وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَانُهَا أَقَامَ الْخُلُودَ بِهَا الْعُقْرَبُ
إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنْ عَقَرَبَهَا تَضْرِبُ^(١)
قال : فَأَدْخَلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَأْنَ تِلْكَ الْعَقَارِبِ ،
فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْعَقَارِبَ تَسْتَقِي مِنْ أَسْوَدَ سَالِحٍ . وَنَظَرَ إِلَى مَوْضِعِهِ فِي الدَّارِ
فَقَالَ : احْفَرُوا هَاهُنَا . فَحَفَرُوا عَنْ أَسْوَدَيْنِ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلِلذَكَرِ خُصِيَّتَانِ
وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عَقَارِبَ كَثِيرَةً فَقَتَلُوهَا .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بنُ عباسٍ حينَ رآه عَقْرَبٌ بِالشَّعْرِ^(٢) ، وَقِيلَ
لِسُكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبُكَ . فَقَالَ الْفَضْلُ :
قَدْ تَجَرَّ الْعُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا^(٣) لَامَرَّحِبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) فِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ ١٧١ : « فَإِنْ عَقَارِبُنَا تَغْضَبُ » . وَالْقِصَّةُ فِيهِ وَفِي مَخَاضِرَاتِ
الرَّائِبِ (٢ : ١١٥) مُخَالَفَةً لِمَا هُنَا . وَنَقَلَ الدِّمِيرِيُّ مَا أَثْبَتَ الْجَاهِظُ هُنَا . وَزَادَ بَعْدَ
هَذَا الْبَيْتِ :

فَلَا تَأْمَنُ سَرَى عَقْرَبٍ بَلِيلٍ إِذَا أَذْنَبَ الْمَذْنِبُ
(٢) عَقْرَبٌ هَذَا ، كَانَ تَاجِرًا مِنْ تِجَارِ الْمَدِينَةِ ، ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْمَطْلِ وَالتَّسْوِيفِ ،
فَقَالُوا . « أَمَطَلُ مِنْ عَقْرَبٍ » وَ : « أَتَجَرَّ مِنْ عَقْرَبٍ » . وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ
ابْنَ عَجَبَةَ بْنِ أَبِي لُبٍّ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اقْتِضَاءً ، فَاتَّفَقَ أَنْ عَقَرَبَا عَامِلَ الْفَضْلِ ،
وَمَاطِلَهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَضْلُ مَقَالَتَهُ ، حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى هِجَاؤِهِ عَرْضَهُ بِالشَّعْرِ الْآتِي .
هُوَ : « رَاهَتُهُ عَقْرَبٌ » ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ كَمَا أَسْلَفْتُ . انْظُرِ الْإِسَانُ (عَقْرَبٌ)
وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِي (١ : ١٣٣) وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ (١ : ٢٥٦) وَالْمَحَاسِنِ
وَالْمَسَارِي (١ : ٢٢٨) . وَ« عَقْرَبٌ » إِذَا سَمِيَ بِهِ رَجُلٌ جَازَ صَرْفُهُ وَمَنَعُهُ .
وَانْظُرِ الْأَسْتَدْرَاكَاتِ .

(٣) فِي الْإِسَانِ وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِي وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الشَّافِيَةِ ٦٥ : « قَدْ تَجَرَّتْ فِي سَوْقِنَا عَقْرَبٌ » .

كل عدو يتقى مُقبلاً وعقربٌ تُخشى من الدَّابِره^(١)
كلُّ عدوٍّ كيدُه في استِه فغيرُ ذى أيدٍ ولا ضائرَه^(٢)
قد ضاقت العقربُ واستيقنت بأنَّ لادنيا ولا آخرَه
إنَّ عادت العقربُ عدنا لها وكانت النعلُ لها حاضِرَه

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر^(٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب الليثي الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في المقرب)

ورَوَوْا أَنَّ عَقْرَباً لَسَعَت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَلَيْسَ لَهَا لَتَبَالَى مَنْ ضَرَبَتْ ! » .

وقال الضبي : أنا عقربٌ ، أضرب ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجَرَّارَةُ^(٥) بعسكر مُكْرَم^(٦) ، أو بجند يسابور ،

(١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : مائضير ، أى
تفسر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولا نائرة » . والنائرة : الحقد
والداوة ، والكائنة تقع بين النوم .

(٣) سبق ترجمته في (٣ : ٧٧) .

(٤) في (٥ : ٣٥٣) : « التقي » .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تهرول بأذنانها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، ه .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأنتن ، حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو مُحَنَّمٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أن الوخزة التي وخزها كانت من جرارة .

٧٤ وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حجّاماً ، يحجمُ ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبل أن يتفشى فيه السمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجامُ لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرَ كثيرة . وإنما كانوا يجدون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحجام في ذلك من الضرر . وذلك أن وجهه ربما اسمارَ واربَدَ ، وربما عطلت مقادير أسنانه وتوجعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمُّ المخالط لذلك الدَّم . ثمَّ لأنهم بعد ذلك حشَوْا أذنان^(٢) المحجم بالقطن ، فصار القطن لا يمنع قوَّة المصِّ والجذب ، ولم يدعه يصل إلى فم الحجام . ثمَّ لأنهم بعد مدَّة سُنَيَاتٍ^(٣) أصابوا نَبْذَةً في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عاجلوا الملسوعَ بها حسنت حاله .

والجرارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع النارية . وسُمِّها نار .

(١) خر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، ه .

(٣) جمع سنية : تفسير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو الثين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهمل !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدنا . وفي الأصل : « الأتاتين » بتونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلين فتقتلُ أحدهما ويقتلُها الآخر^(١) ، وربما نجحت ولم تمت ، كما أنه ربما عقرت ولم تقت ، ونجدُها تضربُ رجلين في ساعة واحدة ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدرِ الأزمان ، وعلى قدرِ مواضعِ الجسد . ونجدُ واحدًا يتعالجُ بالمسوس^(٢) فيحمده ، ونجدُ آخرَ يدخلُ يده [في ^(٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماء فيحمده ، ونجدُ آخرَ يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجدُ آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ، ونجدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ماوافقته ، ثم إننا نجدُ يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ، وفي الزمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلف الذي وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنَّ قولَ القائل في العقرب : شرٌّ ماتكون حين تخرج من جحرها ، ليس يعنون من ليلها - إذ^(٥) كان لابدً من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس : كصبور : الترياق الذي يعالج به المسوع والملدوغ . ومنه قول كثير : فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشكون وبألها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأناعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالأسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « مالمقاء » صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة - ولكنهم إنما يَعتُون : في أوّل ماخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكثِّها في غير عالمِنَا وغذائِنَا وأنفاسِنَا ومعايشِنَا .

(زعم العامة في المقرب)

والعامّة يزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسان وقد خرج من الحمام ؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة الجارى ، وسخوة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأنه كان يرى^(٢) أن الهواء كلما كان أحرّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شرّاً .

ونحن نجدهم يصرون من لسعتها اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلة من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن .
وسمومها بالليل أشدّ ، إلّا أن يزعم أن أجواف الناس في برد الليل أسخن وفي حرّ النهار أقرّ .

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء^(٣) مَن قد روى الكتب ، وهو في إرثٍ منها ، أن الحية التي يقال لها : الدّساس^(٤) ، تلد ولا تبيض ، وأن أنثى النور لم تضع نمرأ قط إلّا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي التميمي : « الدساس بفتح الدال : حية صماء تنفس »

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أنَّ الكمأة تَبْقَى في الأرض فتُمْطر مَطَرَةً صَيْفِيَّةً ، فيستحيل بعضها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ مِنِّي بعضُ الرؤساءِ الطَّائِفِينَ ^(١) ، فزعم لي أَنَّهُ عَيْنَ كَمَاءٍ ضَخْمَةٍ فَنَامَلَهَا ، فإذا هِيَ تَتَحَرَّكُ ، فَنَهَضَ إِلَيْهَا فَقَلَعَهَا ، فإذا هِيَ أَفْعَى . هذا ما حَدَّثْتُهُ عَنِ الْأَعْرَابِ ، حَتَّى بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَيْبِ الْحَدِيثِ .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أَنَّ الْوَزَغَةَ وَالْحَيَّاتِ تَأْكُلُ الْأَحْمَ وَالْعُشْبَ . وَزَعَمَ أَنَّ الْحَيَّاتِ أَظْهَرُ كَلْبًا مِنْ جَمِيعِ الْحَيَّوانِ ، مَعَ قَلَّةِ شَرْبِ الْمَاءِ . وَأَنَّ الْأَسَدَ مَعَ نَهْمِهِ قَلِيلُ شَرْبِ الْمَاءِ . قَالَ : وَلَا تَضْبِطُ الْحَيَّاتُ أَنْفُسَهَا إِذَا شَمَّتْ رِيحَ السَّدَابِ ، وَرَبَّمَا أَصْطِيدَتْ بِهِ . وَإِذَا أَصَابُوهَا كَذَلِكَ وَجَدُوهَا وَقَدْ سَكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشب .

وزعم أَنَّ الْحَيَّاتِ تَسْلُخُ جُلُودَهَا فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ ، عِنْدَ خُرُوجِهَا مِنْ أَعْشِنِهَا ^(٢) فِي أَوَّلِ الْخَرِيفِ .

— تحت التراب اندساساً ، أَيْ تَنْدِفِنَ . « وَفِي اللِّسَانِ : « أَبُو عَمْرٍو : الدِّسَاسُ مِنْ الْحَيَّاتِ الَّذِي لَا يَدْرِي أَيْ طَرَفِهِ رَأْسُهُ ، وَهُوَ أَغْيَثُ الْحَيَّاتِ ، يَنْدَسُ فِي التَّرَابِ فَلَا يَظْهَرُ لِلشَّمْسِ . وَهُوَ عَلَى لَوْنِ الْقَلْبِ مِنَ الذَّهَبِ الْمُخْلِ . » وَانْظُرْ لَوْلَادَةِ الدِّسَاسِ ، مَا فِيهِ الْإِسْتِدْرَاكَاتِ . ط : « أَنَّ حَيَّةً يُقَالُ لَهَا الدِّسَاسُ » ، وَأَثْبِتَ مَا فِي س ، ه .

(١) جَمْعُ طَائِفٍ ، نِسْبَةً إِلَى قَبِيلَةِ طَيْيٍّ عَلَى الشُّلُوزِ . س : « الْكَيَّائِينَ » ه : « الْكَيَّائِينَ » . وَكُنْتُ حَسِبْتُهَا : « الْكَيَّائِينَ » لَكِنْ وَجَدْتُ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ لَا يَسَعُ هَذَا .

(٢) الْمَعْرُوفُ فِي جَمْعِ الْعُشْبِ : عُشَّاشٌ وَأَعْشَاشٌ وَعُشْشَةٌ — كَمْنِيَّةٌ — فَهَذَا جَمْعُ رَابِعٍ . =

وزعم أن السِّلْخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعَانِيهَا ^(١) أنها عمياء .

وهي تسَلْخُ من جلودها في يوم وليلة من الرأس إلى الذَّنْب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يُسَلْخُ الجَنِينُ من المِشِيْمَةِ ؛ وكذلك ^(٢) جميع الحيوان المخزَّز ^(٣) الجسد ، وكلُّ طائر لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبَر ^(٤) وكذلك السَّرطان ، يسَلْخُ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسَلْخُ جلودها مرارا .

(سَلْخُ الحيوان)

والسِّلْخُ يصيب عامة الحيوان : أمَّا الطير فتحسِّرها ^(٥) ، وأمَّا ذوات الخوافر فسَلْخُها عقائِتها ^(٦) ، [وسَلْخُ الإبل طرحُ أوبارها ، وسَلْخُ الجراد انسلاخ جلودها ^(٧)] ، وسَلْخُ الأيائل إلقاء قرونها ، وسَلْخُ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المجهود استعمال المش لجحر الحية ؛ إذ العن خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيمُ عشه ووكره ، ذا سبعة أجرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضا .

(١) بتقديم النون على الياء ، أي يقوم عليها ويهيم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون مالم : ما يقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المخزَّز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسِّرها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائِث : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .

(٧) هذه التكلة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبة تنسلخ فتصيرُ فَرَّاشَةً . وقال الطِّرِمَاحُ شعراً :
وتَجَرَّدَ الأسْرُوعُ واطَّرَدَ السَّقَا وَجرت بِجَالِيهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ^(١)
وانسابَ حَيَاتُ الكَثِيبِ وأَقْبَلَتْ وَرُقُ القَرَّاشِ لما يَشُبُّ المَوْقِدُ^(٢)
بصف الزَّمان .
والدُّعْمُوصُ ينسلخُ ، فيصيرُ إمَّا بعوضةً وإمَّا فَرَّاشَةً .

(انسلخ البرغوث)

وزعم ثُمَامَةُ عن يحيى بن برمك^(٣) أَنَّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وَأَنَّ البعوضةَ التي من سَلَخِ دَعْمُوصٍ رَجَمًا انسلخت^(٤) برغوثًا .
والمثلُ تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّرَ خَلْقُها ، وذلك هو سَلَخُها . وهُلْكُها
يحين عند طيرانها .

٧٦

(١) الجالان : الجانيان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حذب ، وهو ما أشرف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجديد

(٢) يقول : أقبل ذلك القرائش الذي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعو به يا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد للبرامكة قبض عليه وسجنه
بالرقعة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجِزُ^(١) :

• مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ^(٢) •

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّباعِ ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ^(٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقارب نصيبين^(٤) ، وثعابين مصر ، وهنديات^(٥) الخرابات .

وفى الشَّبان^(٦) ، والزَّنابير ، والرُّتِيَلَاتِ^(٧) ما يقتل . فأما الطَّبُوعُ^(٨) فإنه شديدُ الأذى . وللضَّمجِ^(٩) أذى لا يبلغُ ذلك :

(١) هو عوف بن ذروعة ، كافى نوادر أبي زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما ساقى في (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقيل البيت :
• من كل سفعاء القفا والخدين •

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كافى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت في (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها في ١٢١ . ط ، س : « هذرايات » وأثبت صوابه من هو .

(٦) الشَّبان : جمع شَبْتٍ بالتحريك ، وهو ضرب من الرُّتِيَلَاتِ .

(٧) الرُّتِيَلَاتِ : نوع من المناكب قتال .

(٨) الطَّبُوع ، كتور : دويبة ذات سم ، أو من جنس اللقردان ، لعننه ألم شديد .

(٩) الضَّمج : دويبة متنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex .

وفى الأصل : « للصخ » محرقة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تعالج بحجر ، يُخَرَّج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأيل إذا ألقى قرونه علم أنه قد ألقى سلاحه ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أنه يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قرنه يعرضه
للشمس ؛ ليصلب ويحفظ . وإن لدغت الأيل حيّة أكل السراطين ؛ فلذلك
تُظَنُّ أَنَّ السراطينَ صالحةٌ للددغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيل ولداً أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ^(١) أَنَّ
المشيمة شيء يتداوى به من علة النفاس .

[قال] : والدببة إذا هربت^(٢) دفعت جرائعها^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيبتها ، وإذا ملّحت^(٤) صعدت في الشجر وحملت
معهها جرائعها .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فتنظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فلانها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كأنه هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجراء : جمع جرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرى في القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهد إذا عراه الذئب الذي يقال له : « خانق الفهود » أكل
للعدرة فبرئ منه ^(١) .

قال ، والسباع تشهى رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فرّ
بعضها منه فيطعم في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي
طائر ^(٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغرةً جبلياً .
وقد فعلت ذلك مراراً ، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصغرة
مراراً كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأما ابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ،
لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً
فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبيل القمح .
قال : ونظن أن ابن عرس يحنأ للطيور بحيلة الذئب للغم ، فإنه
يذبحها ^(٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق بكر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ،

أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى ج .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل المشبة التى تسمى

خائقة الفهود ، يطلب زيل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح

فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وَزَعَمَ أَنَّ الْقَنَافِذَ لَا يَخْتَقِي عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ وَتَحُولُهَا وَهُبُوبُهَا ،
وَأَنَّهُ كَانَ بِقِسْطِ نَظْمِيَّةٍ رَجُلٌ يُقَدِّمُ وَيُعْظِمُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيحِ وَيُخْبِرُهُمْ ^(١) بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ الْحَالَ فِيهَا بِمَا يَرَى مِنْ
هَيْئَةِ الْقَنَافِذِ .

(العيون الحمر)

وَالْعُيُونُ الْحَمْرُ لِلْعَرَضِ الْمَقَارِقِ ، كَعَيْنِ الْغَضْبَانِ ، وَعَيْنِ السَّكْرَانِ ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمِيدِ .

(العيون الذهبية)

وَالْعُيُونُ الذَّهَبِيَّةُ : عُيُونُ ^(٢) أَصْنَافِ الْبَزَاةِ مِنْ بَيْنِ الْعُقَابِ ^(٣) إِلَى الزُّرْقِ .

(العيون التي تسرج بالليل)

وَالْعُيُونُ الَّتِي تُسْرِجُ بِاللَّيْلِ : عُيُونُ الْأَسَدِ ، وَعُيُونُ الْفُحُورِ ، وَعُيُونُ
السَّنَانِيرِ ، وَعُيُونُ الْأَفَاعِي ^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غَضَابٌ يُثِيرُونَ الدُّحُولَ ، عُيُونُهُمْ كَجَمَرِ الْغَضَى ذَكِيَّتُهُ فَتَوَقَّدَا ^(٥)

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .

(٢) ط ، هـ : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، هـ : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثَّارُ . س ، هـ : « الدحول » صوابه =

وقال آخر (١) :

وَمَدَجَّجَ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ محمرة عيناه كالكلب (٢)

رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحَّارِ العبدى : يا أحر ! قال : والذهب أحر ! قال :

يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَةٍ عيناها

كذلك عِناقُ الطيرِ شُكْلٌ عُيُونُهَا (٣)

وقال آخر :

وَشُكْلَةُ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا

لَكُنْتُ مَكَانَ الْعَيْنِ مَرَاى وَمَسْمَعَا (٤)

= فى ط . وذلك النار : أتى عليها ما تذكوه وتزيد اشتعالا . ط ، ه : « ذكيت » ، ووجه ما أثبت من س .

(١) انظر ما سبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الميم وفتحها ، كافى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به التفتد ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليسك :

ومدججا يسمى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عيناها » كافى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه . وسيماد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) ه : « لوخيت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كخلاء ، وهي أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضياهما)

وفي حمرة العينين وضياهما يقول محمد بن ذؤيب العباني ، في صفة
الأسد :

أجرأ من ذي لبدة هماس^(٦) عَصْنُفَرٍ مضبَّر رهاس^(٧)

(١) المغرب ، بفتح المراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « المذهب »
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : غزالة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسجر » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) أخيف ، بالتحريك : زرقعة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأخفت »
ط : « والأخف » س : « والأخست » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفي الأصل : « مضبر » محرف . والرهاس : الذي يطأ
الأرض وطئاً شديداً .

مَشَاعُ أَخْيَاسٍ إِلَى أَخْيَاسٍ ^(١) كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ ^(٢)
 . شَعَاعُ مِقْبَاسٍ إِلَى مِقْبَاسٍ ^(٣) .

وقال المرار :

• مِثْلُ مَا وَقَدَّ عَيْنَيْهِ النَّوْمُ ^(٤) .

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحية ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك
 يقال للضبّ والحية والورل : فَحَّ يَفِشُّ فحياً . وقال رؤبة :
 ٧٨ فِحْيًى فَلَا أَفْرَقَ أَنْ تَفِحْيًى ^(٥) وَأَنْ تَرَحِّيْ كَرَحْيِ المَرَحْيِ ^(٦)
 أَصْبَحَ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحَّ ^(٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الْأَبْحِ ^(٨)

(١) أخياس : جمع غيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى
 مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس »
 صوابهما في هـ .

(٢) أي في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقياس : شعلة النار تقبّس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأنما وقد » . وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدده :

• حتى قد وقدت عيناه لي •

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحي
 لا أفرق » ، أي ياحية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت ترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى
 بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا يثنى صوابه . والمرحى : الذي يسوى الرحى .
 وهذا البيت وما قبله سيعادان في (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يضح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هي في الأصل : « أصبح » تحريف .
 ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلاً بخيلاً إذا
 سئل تنحنح وسعل » .

(٨) التنشز ، محرّكة : الممن التوى . والأبج : السنى غلظ صوته من داء .
 ورواية اللسان :

• يحكى سعال النرق الأبج •

قال : الفحيح : صوتُ الحَيَّةِ منْ فيها . والكشيش والقشيش ^(١) : صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاجِزُ ^(٢) في صفة الشَّخْب والحلب :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْفَضٍ حمراء منها شَخْبَةٌ بالخض ^(٣)
لَيْسَتْ بذاتٍ وَبَرٍّ مَبْيُضٍّ كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِ المَرْفُضِ ^(٤)
كشيشٌ أَفْعَى أَجْمَعْتُ لَعَضَ ^(٥) .

ويقال للضَّبِّ والورل : كش يكش كشيشا . وأنشد أبو الجراح :
رَأَى الضَّبَّ إِن لم يرهَب الضَّبَّ غَيْرَه يكش له مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُه ^(٦)

باب

من ضرب المثل للرجُلِ الداهية وللحي الممتنع بالحَيَّةِ

قال ذو الإصبع العَدَوَانِيُّ :

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ ^(٧)

(١) في الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قُطَيْبَة ، كما في تاج العروس (كشش) .

(٣) حمراء : أى ناقة حمراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترشه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »

صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٧١) بولاق (وأدب الكتاب

١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .

(٥) أَجْمَعْتُ : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : « فاجمعوا أمركم » .

س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

« فهى تحك يعضها يعض »

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمالى التزجاجى ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى فى عشى أشخبا

(٦) في الأصل : « مستكبرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المتع الجاتب : حية الأرض » .

بَعَى بَعْضُهُمْ ظِلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضٍ^(١)
وفيهم كانت السادا ت والموفون بالقرض^(٢)
يقال: «فلان حية الوادي» ، و«ما هو إلا صيل أصلال»^(٣) . والصِّلُ:
للداهية والحية . قال النابغة :

مَاذَا رُزِّنَا بِهِ مِنْ حِيَةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاَصَةً بِالرَّزَايَا ، صِلْ أَصْلَالٍ^(٤)
وقال آخر :

صِلْ صَفَا تَنْظِفُ أَنْبَاهُ مِمَامَ ذَيْفَانٍ بِجِرَاتٍ^(٥)
وقال آخر^(٦) :

مُطَرَّقٌ يَرْشَحُ سَمًا ، كَمَا أَطَرَّقَ أَفْقَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلْ
ومن أمثالهم: «صَمَى صَمَامٍ»^(٧) ، و«صَمَى ابْنَةُ الْجَبَلِ»^(٨) وهى الحية.

(١) روايته في حاشية البحرى ١٦٩ : «بعى بعضهم بعضا» فلم يرعوا .
(٢) القرض : ما يتجاوز به الناس بينهم من إحسان ، أو إساءة . يقول :
هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بمثلها . وفى ذلك
المروءة ، والقدرة . س : «بالعرض» ، وأثبت ما فى ط ، ه .
والشعراء ٦٩٠ .

(٣) ويقال ضل أضلال ، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١ : ٢٢٣) .
(٤) رزئنا به : أصبنا . وفى ط ، ه : «رأينا» وس : «رأيت» ، وصوابه
من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميداني (١ : ٢٤) . من
حية : يقول : هو حية . والنضناصة : التى تحرك لسانها . أدبها ناظرا للفظ الموصوف .
(٥) تنظف أنباهه : يقطر منها السم . ط : «تنظف» ، صوابه فى س ، ه .
والسهم : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم الناتق .
(٦) هو تأبط شرا ، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحامسة (١ : ٣٤١) ، وشرحها
(٢ : ١٦٠ - ١٦١) .

(٧) صم يصم ، يفتح الصاد فيهما . وصمام كقطام : الداهية . والمثل يضرب للرجل
يأتى بالداهية . اللسان وأمثال الميداني (١ : ٣٦٢) .

(٨) ابنة الجبل : الحية . أى لاجبى الراقى ودوى على حاك . يضرب للفرقتين إذا أبيا
الصلح ولجا فى الخلاف . أمثال الميداني . وتكون ابنة الجبل أيضا الداهية العظيمة ،
والصدى ، أو الصخرة . اللسان (صمم) .

قال الكيت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونَادَى بها : صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ ، السَّفِيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأُم الرُّبِقِ على أَرِيق)

ومن أمثالهم : « جاء بأُم الرُّبِقِ على أَرِيق^(٢) » أُم الرُّبِقِ : إحدى

الحيات . وأَرِيق : أُم الطَّبَق^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩
من الحيات قال :

إذا وجدتَ بواد حِيَّةَ ذَكَرًا

فاذْهَبْ وَدَعْنِي أُمَارِسَ حِيَةَ الْوَادِي^(٤)

(١) يقول : إذا لَقِيَ السَّفِيرَ السَّفِيرَ ، فأعز الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا فشل السفيران المتندان - بكسر الدال - للصلح ونقض النزاع ، وتركوا الحرب في شتتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا أُنِيَ » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه المفراء : « لقيت منه أُم الرُّبِقِ على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأَرِيق الطَّبَق » وهو كلام ناقص . وأُم طبق من كفى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أُم طبق ففمروها ومة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وصيحت أُم طبق لترجيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تسلمه . و « أَرِيق » من الحيات ، كما في قول المعاجز :

وقد رأى دوفى من تهجسى أُم الرُّبِقِ والأَرِيق الأزمن

بدلالة قوله : « الأزمن » وهو الذي له زمنية من الحيات . اللسان (أَرِيق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميها فلا يقربه شيء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفي البيت . وروى في المختصر (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت ... الخ » .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة » ، يعنى ^(١) الصبي الذى يدرج ويتناول كل شئ وسنح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمة : أدركه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله ^(٢) فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لأمة ^(٣) » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاع وذو الرأى ^(٤) الذاهية حية — وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبتت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا ^(٥)

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميداني (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها — أى القامة — الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فربما أتى على بعض المواقم ، كالمقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى حيلة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعينكما بكلمات الله التامة » ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) الامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا رأى » ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . « أراد بكلب : الثقيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٩٨ : « أن تسافهنا » وربما » .

كَلَفْتُمُونَا رَجَالًا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْبَيْسَرُ ^(١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عَدَّتْ خَصَالَهُمْ خَصْلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا ^(٢)
 قَدْ أُنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالنَّذْرُ ^(٣)
 يَأْتُوا رُقُودًا عَلَى الْأُمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا ^(٤)
 كَمَتَ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءُ حَيَّتُهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٥)

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وَمَا أَكْثَرَ مَا يَذْكُرُونَ حَيَّةَ الْمَاءِ ، لِأَنَّ حَيَّاتِ الْمَاءِ ^(١) فِيهَا تَفَاوُتٌ .
 إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَا تَقْصُرُ كَبِيرَ ضَرْبٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَقْصَلَ مِنَ الْحَيَّاتِ
 وَالْأَفَاعِي .

(١) البَيْسَرُ ، بِالضَّرِكِ : صَاحِبُ الْقَدَحِ مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسَرِ . وَكَانُوا رَجُلًا جَاءَ الرَّجُلُ بِقَدَحِهِ
 بَعْدَ مَا فَازَ مِنْهُمُ الْوَاحِدُ وَالْآخَرُ ، فَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا قَدَاحَهُ فِي قَدَاحِهِمْ ، فَيَقْعَلُونَ
 ذَلِكَ ، وَيَسْمُونَهُ الْمُسْتَلْحَقَ . انْظُرِ الْمَيْسَرَ وَالْقَدَاحَ ١٥٣ . وَقَوْلُهُ : « قَاطِعِي
 قَرْنٍ » يَعْنِي قَيْسًا . وَذَلِكَ أَنَّ كَلْبًا لَامُوا تَغْلِبَ فَقَالُوا : « أَعَنْتُمْ قَيْسًا عَلَيْنَا ! » فَقَالَ
 الْأَخْطَلُ : « حَمَلْتُمُونَا ذَنْبَ هَؤُلَاءِ ، وَأَلْزَمْتُمُونَاهُ ، وَلَيْسُوا مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ ،
 كَمَا يَسْتَلْحَقُ الْأَيْسَارُ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ . ط ، س : « مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ
 السَّرْدُ » ، هـ : « مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ السَّرْدُ » ، صَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ مِنَ الدِّيَوَانِ
 وَالْمَيْسَرِ وَالْقَدَاحِ .

(٢) س ، هـ : « انْجَابٌ مَا قَرُّوا » ، صَوَابُهُ فِي طِ الدِّيَوَانِ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ .

لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ دِيَاتٌ يُؤْخَذُونَ بِهَا وَلَا يَكُونُ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَا قَرُّوا

(٣) س : « بِهَا الْأَنْبَاءُ » ، وَالدِّيَوَانُ : « بِهِ الْأَخْبَارُ » .

(٤) الْأُمْهَادُ : جَمْعُ مَهْدٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ النَّشْرُ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا فِي سَهْوَةٍ
 وَاسْتَوَاءٍ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « يَأْتُوا نِيَامًا عَلَى الْأَنْحَاظِ لَيْلَهُمْ » وَرَأَيْتُهُ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « حَتَّى كَالُوا أَنْامَ الْمَاءِ حَيَّتُهُ » .

(٦) هَذِهِ السَّكَلَةُ وَنَظِيرُهَا هِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْمَاءُ » مُحَرَفَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « حَيَّةٌ » .

(الهنديات)

ويقال إنَّ الهنديات^(١) إنما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ؛ لأنها تُحمَلُ في القُضْب^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجراد أكلاً شديداً ، فربما فَتَحَ رأس كُرْزِه^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد^(٤) ، وقد ضَرَبَه بِرُذُ السَّحَر ، وقد
تراكم بعضه على بعض ؛ لأنها موصوفة بالصَّرَدِ^(٥) .

والحياتُ توصَفُ بالصَّرَدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك
قال الشاعر^(٦) :

-
- (١) الهندية : ضرب من الأنعام ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديات » مصحف .
(٢) أى في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علق الحيات
ببعض ما يجتمع . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .
(٣) الكرز ، بالضم وقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الفرج الكبير يعمل
فيه الراعى زاده ومثاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كذده » وهما
تحريف ما أثبت .
(٤) كلمة « لذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما ساقى إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « وربما » الآتية .
(٥) من صرد ، كفرح : وجد للبرد سريعاً .
(٦) هو صخر بن الجند الحضري ، كما في نقد الشعر ٣ : والأغاني (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضري الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من ظفر يقال له جنان ، وبحضرتها أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكى ، وقال
الشعر الآتي .

بلبت كما يبلى الوكاء ولا أرى جَنَاناً ولا أكتاف ذروة تَخْلُقُ^(١)
 ألوى حَيَازِمِي بن صَبَابَةٍ كما تَلَوَّى الحَيَّةُ المنشَرَّقُ^(٢)
 وإنما تَشَرَّقُ إذا أدركها بَرْدُ السَّحَرِ ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠
 و [إذا^(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعام كما يفعل ذلك سائر السباع .
 فربما اجترَفَ صاحبُ الكَرَزِ الجِرَادَ^(٤) ، فأدخله كَرَزَهُ ، وفيه الأفعى وأسودَّ
 سَالِخٌ ، حتى يُنْقَلَ ذلك إلى الدُّورِ ، فربما لقي الناسُ منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمر ، في شعره المزوج :

يا عَجَباً والدَّهْرُ ذو عِجَابٍ مِنْ شَاهِدٍ وَقَلْبُهُ كَالْغَائِبِ
 وَحَاطِبٍ يَخْطُبُ فِي بَجَادِهِ^(٥) فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَفِي سَوَادِهِ
 يَخْطُبُ^(٦) فِي بَجَادِهِ الْأَيْمِ الذَّكَرِ وَالْأَسْوَدَ السَّالِخَ مَكْرُوهَ النَّظَرِ

(شعر في حية الماء)

فمن ذكر حَيَّةِ الماء ، عبد الله بن هَمَّامُ السُّلُوكِيُّ فقال :

كَحَيَّةِ الْمَاءِ لَانْتِحَاشٍ مِنْ أَحَدٍ صُلْبُ الْمَرَاثِ إِذَا مَا حُلَّتِ النَّطْقُ^(٧)

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ لئلاء .
 والرواية في المصادر المتقدمة : « كايبل للرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
 بنجد . وفي الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
 ويكسر : مكان حجازي .

(٢) ط : « يتلوى » . وفي نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق
 في العدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيفال » ، وهو المبالغة التي يكون
 موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « الجراد » وفي س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يخطب » صوابه في س . حطب الخطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت للنطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :
 جمع نطق ، وهو شبه إزار فيه تكة .

وقال الشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خُوصُ الْعَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا تَفَصَّدْنَ مِنْ حَرِّ الصَّيَاحِيدِ (١)
وَكُلَّهِنَّ تُبَارَى نِسَى مُطَرِّدٍ كَحِقَةِ الْمَاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرُودٍ (٢)
وقال الأَخْطَلُ :

ضِفَادَعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلْ عَلَيْهَا صَوْتَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ (٣)
وقال أيضاً :

هَلُمَّ ابْنَ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مُلَاوَدَةً الْعُدْرِ
فإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالِ مُذْبَذَبٍ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الشَّنَاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ (٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى (٥) وَلَا تَذْكُرْ حَيَاتٍ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَرَكْتَ حَيَاتِنَا لَكَ حَيَّةٌ تَحْرُكُ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ (٦)
وقال نُفَيْعٌ (٧) [يَعْزُّهُ (٨)] بِالْكُحَيْلِ (٩) :

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حرِّ الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تفصدن » بالقاف ، والتقصّد أصل معناه الهلاك ،
وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أي كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار الحارثي ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « نفيع » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، هيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها
تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلناكم بديلة غرقت فما أشبهت قتلى حنين ولا بشر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بديلة حالت حربنا دون قومنا وأوطاننا ما بين دجلة والفرات^(٢)
ولو كنتم حيات بحر لكنتم
غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في الغمر^(٤)

٨١

(ما يشبه بالآيم)

فالآيم الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية المجدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالآيم ؛ لأن الحية الذكر ليس له غبب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .
قال ليبيد :

فهل نيئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بأندام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » ، وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كذات الكحيل »
ص : « كذات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء معطبة .
هـ : « تقومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الأمدى : « يلون » من ألّب
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الغاصرة : مافوق الحضر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتيق . انظر الزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعْلاة تنفض مسحًا وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قَفَرٍ^(١)
 تيمم خيرَ الناسِ من آل حاصر وتحمل حاجاتٍ تضمَّنهما صدرى^(٢)
 (شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكِفَاتُ أوردني حَوْضَ المنية قتالٍ لِنِ عَلِقًا^(٣)
 أصمُّ منهرتُ الشَّدقين ملتبدٌ لم يُغذَّ إلا المنايا من لدُنْ خُلِقًا^(٤)
 كأنَّ عينيه مسمارانِ^(٥) مِنْ ذَهَبٍ جلاهما مدوسُ التَّلَاقِ فانتلقا^(٦)
 (شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابنُ ميادة :

- (١) السَّعْلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عني به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصقر » .
- (٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضرًا » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .
- (٣) الكِفَات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، هـ : « السَّفاة » ، صوابه في س .
- (٤) منهرتُ الشَّدقين : واسمها . ط ، هـ ، « منهرة » ، صوابه في س . في س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يغذ » هـ : « يغذ » صوابها ما أثبت .
- (٥) في الأصل : « مسباران » . ولا تصح ؛ فإن المسبار : عود الخيام . وقد ذكر اللديري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسبار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .
- (٦) المدوس ، بالكسر : خشية يشد عليها ممن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتَّلَاق : تقال من ألن ، بمعنى لم . وفي الأصل : « التلاق » ! وانتلقا : لما وبرقا . وفي الأصل : « فانتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأنَّ عيونَ القومِ في نبضة الجمر^(١)
وفي حمرة العين من جهة الخِلقة ، يقول أبو قردودة ، في ابن عمار^(٢)
حينَ قتلته النعمان :

إني نهيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : لا تَأْمَنَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ
يَاجِفْنَهُ كَلِإِذَا الْخَوْضُ قَدْ هُدِمَتْ وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الْخَبْرَةِ^(٣)

(معرفة في الحياة)

وأكثرُ ما يذكرون من^(٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لُحَا :
• يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الْأَرْقَمِ •

وقال آخر :

ورفعُ أولى القوم وقعُ خِرَادِلٍ^(٥) ووقعُ نبالٍ مثل وقعِ الأسودِ

(١) ط ، س : « القَرَارَى » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حين حديثه فحمله على منادته ، وكان النعمان أحر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة ، قتالا للنداء ، فهما أبو قردودة عن منادته ، فلما قتلته النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزباني ٢٣٦ ومخاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يفضها ويطلع الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الخوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أَنَّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى ^(١) » .

(أمثالٌ وشعرٌ فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ ^(٢) » وهى التى تحرى ^(٣) ، وكلما
كبرت فى السن صغُرَتْ فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شِدَّةِ اسوداد
أسود سالخ :

مُهِرَّتْ الأَشْدَاقُ عَوْدٍ قَدْ كَلَّ ^(٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعِلَ ^(٥)
وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ ^(٦) :

٨٢ وَأَعُورٌ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(٧)

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بمعنى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « حارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كثيرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه

للجارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النباهى ، واسمه على بن أوس ، أو صحبة بن نعيم ، وكان بينه وبين

جرير منافقة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية

هذا البيت :

رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ بِطَيْرٍ^(١)
 فَلَمَّا اسْتَوَى جَنبَاهُ لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالَتَيْنِ ضَرِيرٌ^(٢)
 قَالَ : وَيَقَالُ : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كَمَا يَقَالُ : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
 وَ : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

• أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) •

وَقَالَ آخَرُ^(٤) :

أَسْوَدُ شَرِّ لَاقَتِ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ^(٥)

= وَأَعُورُ مِنْ نَهَانٍ يَعُورِي وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظِلْمَةٍ وَسُتُورٍ
 كَمَا هُوَ عِنْدَ الْأَمْدِيِّ وَالْمَرْزُبَانِيِّ فِي الدِّيَّانِ ٢٦٥ . وَالَّذِي أَوْهَمَ الْجَاهِظَ ذَلِكَ
 أَنَّ فِي الْقَصِيدَةِ بَيْتًا آخَرَ ، يَرُوي هَذِهِ الرِّوَايَةَ الَّتِي أَثْبَتَهَا ، وَلَكِنْ مَوْضِعُهُ
 فِي نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ ، وَيَتَضَحَّى لِكَ ذَلِكَ مِنْ مِطَالَعَةِ الدِّيَّانِ ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .
 (١) مَشْبُوبَةٌ : أَيْ نَارًا . وَكَانُوا يَرْفَعُونَ النَّارَ لِتُرْشِدَ إِلَيْهِمُ الضَّيْفَانِ . يَلْتَوِي : كَذَا
 جَاءَتِ الرِّوَايَةُ هُنَا . وَهِيَ فِي الدِّيَّانِ وَالْمُؤْتَلَفِ : « يَهْتَدِي » .
 (٢) اسْتَوَى جَنبَاهُ : أَيْ بَرَزَا مِنْ امْتِلَآئِهِمَا . فِي الْأَصْلِ : « اسْتَوَتْ » مَحْرَقَةٌ . لَاعَبَ
 ظِلَّهُ : أَيْ جَعَلَ ذَلِكَ النَّهْيَانِي يَلْعَابُ ظِلَّهُ مِمَّا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ السَّرُورِ . وَضَمِيرُ « ظِلَّهُ »
 رَاجِعٌ إِلَى « عَرِيضٍ » . وَالْحَالَتَانِ : عَرْقَانِ أَخْضِرَانِ يَكْتَفِفَانِ السَّرَةَ إِلَى الْبَطْنِ .
 وَفِي الْأَصْلِ : « عَرُوضُ أَفَاعِي الْحَالَتَيْنِ » ، تَصْحِيحُهُ مِنَ النِّقَاطِضِ . وَانْظُرِ الرِّوَايَةَ
 فِي الدِّيَّانِ .

(٣) الْأَسْحَمُ : الْأَسْوَدُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَشْجَعُ » ، صَوَابُهُ فِي (٦ : ٤٣٩) . وَفِي الدِّمِيرِيِّ
 « فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهِيَ السُّودُ وَالْخَوْخِيَّةُ وَالسَّفْعُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَشْقَرُ » .

(٤) هُوَ الْأَشْهَبُ بْنُ رَمِيلَةَ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ (٤ : ٥٥) وَالْكَامِلِ ٣٣ ، ٤٣٨
 لَيْسَكُ وَالْمَقْدِ (١ : ٥٣) وَالْأَسَانِ (حَرْد) .

(٥) شَرِي : جَبَلٌ يَنْجَدُ ، أَوْ تِهَامَةٌ ، مَشْهُورٌ بِكَثْرَةِ السَّبَاعِ . وَخَفِيَّةٌ : أَجْمَةٌ فِي سَوَادِ
 الْكَوْفَةِ . هـ : « حَفِيَّةٌ » بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ صَوَابُهُ فِي ط ، سِ وَالْمَرَايِجِ الْمُنْتَقِمَةِ
 وَكَذَا الْأَضْدَادُ ١٩٨ وَالْمَقْصُورُ ٥٨ وَالْخُصَصُ (١١ : ٤٨) . وَالْحَرْدُ :
 الْغَضَبُ . وَرُوي فِي الْمَقْصُورِ : « لَوْحٌ » . وَالْوُجْهُ ، بِالضَّمِّ ، وَيَفْتَحُ : الْمَطَشُ .
 وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ضَرَبَ المَثَلَ بِجَنَسَيْنِ مِنَ الْأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَ (١) عِنْدَهُ الْغَايَةُ فِي الشَّدَّةِ
وَالهَوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سَمُومِ الْحَيَاتِ .

(مَا يَشْبَهُهُ بِالْأَسْوَدِ)

وَفِي هَوْلِ مَنْظَرِ الْأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ (٢) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ لَيْلٍ مُظْلِمٌ وَحَقِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ (٣)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ (٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الْغَايَةَ شَبَّهُوا بِالْأَسْوَدِ . قَالَ
جِرَانُ الْعَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنَّ أَمْرًا نَوَقْلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضُحٌ (٥)
وَلَا فَاحِجٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزَاهَا لَعِينُكَ أَبْطَحُ (٦)

= وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَازِمُ هُمُ الْقَوْمِ كُلِّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفِّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) هُوَ حَسِيلُ بْنُ عَرَفَةَ ، الَّذِي تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انْظُرْ نَوَادِرَ

أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيْوَانَ الْمَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالْحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .

(٣) النَّافِجَةُ ، بِالْجَمِّ بَعْدَ الْفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الْأَصْلِ وَكَذَا دِيْوَانُ الْمَعَانِي :

« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النُّوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الْأَصْلِ :

« قَلْبٌ » صَوَابُهُ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

(٤) مَكَانٌ : « أَحْبَهُمَا » يَبَاضُ فِي س .

(٥) التَّوَقُّلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْإِمْتِشَاطِ ، وَفَسَّرَهُ صَاحِبُ التَّهْذِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَخَذُهُ نِسَاءُ

الْأَعْرَابِ مِنْ صَوْفٍ يَكُونُ فِي غُلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْشَى وَيَعْطِفُ ، فَتَضُمُّهُ

الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَحْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرَوَايَةُ الدِّيْوَانِ وَاللَّسَانِ : « عَلَى الرَّأْسِ

بِعَدَى » . وَالتَّرَائِبُ : جَمْعُ تَرْيَبَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ . وَضَح : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ

بِمَعْنَى مُشْرِقَةٌ .

(٦) الْأَبْطَحُ : بَطْنٌ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ . الدِّيْوَانُ : « لَعِينُكَ » ، وَاللَّسَانُ :

« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحُ » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيا ،
وجامعُ الخراشي^(٢) ، غير مهموز . قال : وخرشاء الحية : سلعها حين تسْلَخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذا أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِيَذَاكُمْ كَمَا يَنْسَلُ عَنْ خِرْشَانِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخللاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ تعليقَ الحَلَى ، وخَشْخَشَةَ الخلاخيل على السَّليم ، ممَّا
لا يفيق ولا يَبْرَأُ إلَّا به ، وقال زَيْدُ الحليل :

أَيُّمَ يَكُونُ النَعْلُ مِنْهُ ضَجِيعَهُ كَمَا عُلِقَتْ فَوْقَ السَّالِمِ الْخَلَاخِيلُ^(٤)
وخَبَرَنِي خَالِدُ بْنُ عَقْبَةَ ، مِنْ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي
المَسِيعِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ حَزَنَ ، مِنْ بَنِي عَذْرَةَ ، يَسْمَى أَسْبَاطَ ، قَالَ فِي تَعْلِيْقِهِمْ
الحَلَى عَلَى السَّالِمِ :

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وقى ط ، هـ : « جماعة » س : « جماعة » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الخراشي » هى فى ط ، س : « الخراش » وقى هـ :
« الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .

(٣) س : « تسْلَخ » . وخرشاء ، هى مقصورة في الأصل ، والصواب مدها ، كما في المفضليات
٢٤٠ والمقصود والمملود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخلخال ، ذاك الخل . وكان العرب يلقون الجلابل
أيضاً على اللدغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أَرِقْتُ فَلَمْ تَطْعَمْ لِي الْعَيْنُ مَهْجَعًا وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُقَرَّعًا^(١)
كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالُهُ كُلُّ حَيَّةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مُرْصَعًا^(٢)
وقال اللّيباني :

٨٣

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبَّيْلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْبَاهِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
(استطرد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين تَرَجَّعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وهو قول النابغة :
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ^(٤)
وقال العبدى^(٥) - إن كان قاله - :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحل في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقياف بعدها راء : من التقرع ، وهو الإقلاق .
(٢) مرصعا : معقودا . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موصعا » وهي صحيحة
من وضع الباني الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .
(٣) في التاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأثير . ولسان طلق ذلق -
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم - وطلق ذلق ، رطلق ذلق بضمين ، وكسرد
وككتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرضوا لها . في الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه من الديوان ٥٢ والخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والنسكامل
٥٠٧ ليبك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين ويكمرها ، بمعنى
الشهرة . تطلعه : أى تطلق « السليم » المذكور في البيت السابق ، والمعنى
تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنوش إذا ألح
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يورأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت الساخر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكولا فكأن أنت آكل ولا فأدركني ولما أمزق =

تَبَيَّتْ اَلْهُمُومُ الطَّارِقَاتُ يَعْدُنَنِي كَمَا تَعْتَرِي الْاَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلَقِ (١)
وَأُنْشِد :

تُؤَلِّقُ مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)
والعِدَاد : الوقت . يقال : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتَعَادَهُ (٣) : إِذَا عَادَهُ الْوَجَعُ
فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

(حَدِيثُ الْحَمْلِ الْمَصْلِيِّ)

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمَلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،
الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَنَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ
لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدني » س : « تفدني » هـ : « تعلف » ، وصوابه ما أثبت من
الكامل ٥٠٧ ليسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية في المختصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاق من
تذكر » . وقد أنعم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من
تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل
داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعاده » ، صوابه في س ، هـ .

(٤) المصل : المشوى . صل اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ،
لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه
والإشراف ٢٢٣ . والذي أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة
سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف
(٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أي عضو من الشاة أحب إلي الرسول ؟ فقيل
لسا : الذراع ، فأكثر فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة
(غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف
الحديث ، والمختصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية
في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » .

(جلد الحية)

وفي الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ، وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقي^(١) البيض .

(ما يشبهه لسان الحية)

ويقال في مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كأنه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذي
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسل ضغني وتخرج من مكائنها ضبابي^(٤)
وترقيني لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول في مرضه الذي توفي فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الفرق ، كزبرج : القشرة المتزقة ببياض البيض .

(٢) في الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، ه : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظاهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب هذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما في الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد لمؤلف البيت .

(٥) ترقيني ، كذا في الأصل ، وهي صحيحة . وفي الكتاب : « إلا الذي آنت به »

(قصة امرأة لدغتها حية)

جوير بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حَجِجْتُ فَإِنَّا لَنِي وَقَعَةَ مَعَ قوم^(١) نزلوا منزلنا^(٢) ، ومعنا امرأة ، فنامت^(٣) فانتبهت وحيّة منطوية عليها ، قد جمعت رأسها مع ذنبها بين ثدييها^(٤) ، فها لها ذلك وأزعجنا ، فلم نزل منطوية عليها لا نضرّها بشيء ، حتّى دخلنا أنصاب الحرم^(٥) ، فانسابت فدخلت مكة ، فقضينا نسكنا وانصرفنا ، حتّى إذا كنّا بالمكان الذى انطوت عليها فيه الحية ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلت فنامت واستيقظت ، فإذا الحية منطوية عليها ، ثم صفرت الحية فإذا الوادى يسيل حياث عليها ، فنهشها حتّى نكّست^(٦) عظامها ، فقلت لجارية كانت لها : ويحك ! أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغت ثلاث مرّات ، كلّ مرّة تأتى بوليد ، فإذا وضعته سحرت التنّور^(٧) ، ثم ألقته فيه .

- = بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المراجع : « وريقى » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : « الحادون » . وه : « الحاذن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .
- (١) الوقعة ، بالفتح : التومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه فى ه .
- (٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ه : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .
- (٣) س : « فنامت » .
- (٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .
- (٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .
- (٦) نق العظم نقياً : استخرج نقيه . والنق بالكسر : مخ للعظام .
- (٧) سحرت التنّور : أحيمته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفى الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنّور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى عليّ ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يتلمّظ ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فن هذا الذى كأنه كُسير ثم جبر^(١) ؟ قيل لها : عليّ . قالت : فن هذا الذى كأن وجهه دينار هرقل^(٢) ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهشُ نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الذائبة بهيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً^(٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ؛ للأكل . ويقال نشطت العقد نشطاً : إذا عقدته بأرشوة^(٤) . ونشطت الإبل تنشط نشطاً : إذا ذهبت على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهى

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن ، أفلس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار المرقى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس ماري في حواشي النقود العربية ٢٥ : « وكان ذبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة في عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالأنشطة » ، صوابه في س . وفي اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأرشوة » .

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضَهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكُزُهُ نَكْزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا^(١) . فَالْتَّكُزُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . وَيُقَالُ : نَشِطَتْهُ شُعُوبٌ نَشْطًا^(٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة أسمية النهيش بالسَّيِّم)

ويسمون النهيش سَلِيمًا عَلَى الطَّيْرَةِ^(٣) . قال ابنُ مِيَادَةَ :
كَأَنِّي بِهَا لَمَّا عَرَفْتُ رُسُومَهَا قَتِيلٌ لَدَى أَيْدِي الرُّفَاةِ سَلِيمٌ

(شعر في الحية)

وَمِمَّا يَضُرُّونَ بِهِ الْمَثَلَ بِالْحَيَّاتِ فِي دَوَاهِي الْأَمْرِ ، كَقَوْلِ الْأَقْبِيلِ الْقَيْنِيِّ^(٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ^(٥) أَنْ انْطِلَاقِي إِلَى الْحِجَّاجِ تَغْرِيرُ

(١) في الأصل : « بقيها » . وهو تعريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أي تفرق .

ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والهارث .

(٣) الطَّيْرَةِ ، كمنية : ما يتشام به من الفأل الرديء . فالمنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نهان بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمخانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتس بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح السكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتبي » وصوابه من المؤلف ٢٤ . ومن نسخة كوبر إلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الأمدى :

« إلى لأعلم والأقدار غالبة » .

لَنْ ذَهَبْتُ ^(١) إِلَى الْحِجَاجِ يَقْتُلْنِي إِنْ لَأْمَحْتُ مَنْ تُحْدِي بِهِ الْعِيرُ
مُسْتَحَقًّا صُحُفًا تَدْعِي طَوَائِعَهَا ^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَاقِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ: يقال للحية الذكر أَيْم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْنٌ وَلِينٌ ، وَهَيْنٌ وَهَيْنٌ . قال الشاعر ^(٣) :
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ دَوُو يَسْرِ سُوَاسُ مَكْرُمَةِ ابْنَاءِ أَيْسَارِ
وأنشد في تخفيف الأيم وتشديده ^(٤) :
ولقد وَرَدَتْ الماء لم تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مُورِدَ أَيْمٍ مُتَغَضِّفٍ ^(٦)

(١) رواية الأملى :

* لَنْ حُدِي بِي *

(٢) استحقب الشيء : حلة في مؤخرة الرجل . ط : « مستحليا » س :
« مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤلف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طايح ، بفتح الطاء وكسرهما . وهو الخاتم الذى يختم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابها
من الجزء السابع .
(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) د وكذا شرح البيت ودروياته فى :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كافى ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأما القائل (٢ : ٨٩) .
(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاء من قومه . وقبل البيت ، كافى
تنبية البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة جلد القوى فى كل ساعة يحرف
فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهق

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعمل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ،
غضف) والأمالى .

الصَّيْفُ ، يعني مَطَرُ الصَّيْفِ ^(١) . والعواسر : يعني ذئاباً رافعة أذنانها : ٨٥
والمراط : السهام التي قد تمرط ريشها . ومُعَيْدَة : يعني معاودة للورد .
يقول هو مكانٌ لخَلَّالته ^(٢) يكون فيه الحَيَّاتُ ، وتردُّه الذَّنَابُ . ومتغصِّفٌ
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تنفى الحَيَّة .

وأُشْدَ لَابِنِ هَند ^(٣) :

أودى بأمِّ سُلَيْمَى لاطيُّ كَيْدٌ كحَيَّةٍ مُنْطَوٍ من بين أحجار ^(٤)
وقال محمد بن سعيد ^(٥) :

قريحة لم تَدْنِهَا السَّيَاطُ ولم توردَ عِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرٍ ^(٦)
كنطوى الحَيَّةِ الضَّنَاخِزِ مَكْمِنَا في الصَّدْرِ مالم يهيجها على زَوَرِ
الليثِ اللَّيْثِ منسوبٌ أَظْفَرُهُ ^(٧) . والحَيَّةُ الصَّلُّ نَجْلُ الحَيَّةِ الذَّكَرِ

- (١) في الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمال .
- (٢) في الأصل : « هو مكان الخلابة » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القائل : « هذا المكان لخَلَّالته » ، من موارد الحيات ، أي لكونه خاليا تردم الحيات .
- (٣) هو عبد الله بن هند ، كما في العقد (٦ : ١٢٧)
- (٤) الحية تذكر وتؤنث . وفي العقد : « يحب سليم » ، وهو الصواب .
- (٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما في س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وهو عربي بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :
سأشكر عمراً إن تراخت مني أبادى لم تمن وإن هى جلت
وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ سامى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حمدى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .
- (٦) التبريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله المراك وأوردها عراكا : أى أوردها المساء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد التحزين) :
فأوردها المراك ولم يذدها ولم يشفق على نفص الدخال
وفي الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .
- (٧) ط : « أظفره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرِّمَّة :

وَأَحْوَى كَأَيْمِ الضَّالِّ أَطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تَحْتَ فَيَنَانٍ مِنَ الظَّلِّ وَارْفِ^(١)

قال : ويقال انبَسَّت الحَيَّاتُ^(٢) : إذا تفرَّقت وكثرت . وذلك عند إقبال الصَّيْف . قال أبو النُّجُم :

• وانبَسَّ حَيَّاتِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ^(٣) •

وقال الطَّرْمَاح :

وَتَجَرَّدَ الأسْرُوعُ وَاطْرَدَ السَّفَا وَجَرَّتْ بِجَالِيهَا الحِدَابُ القَرْدُ^(٤)

وانسابَ حَيَّاتِ الكَثِيبِ وَأَقْبَلْتُ وَرُقَ الفَرَّاشُ لَمَّا يَشُبُّ المَوْقِدُ^(٥)

قال : ويقال جباً عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يَجِبُ جِبِيئاً وَجَبِيئاً .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وَمَا أَنَا مِنْ رَبِّبِ المَنُونِ بِجَبِيٍّ وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الإِلَهِ بِكَائِسِ^(٦)

(١) الأَحْوَى ، عني به زمام الناقة ، كما في المخصص (١٠ : ٩٥) . والأَحْوَى : الذي يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وجبا : دنا ، كما في اللسان (جبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبَسَّت ، بالسین ، كما في س واللسان . وفي ط ، هـ : « أنبَسَّت » مصحف . وكلمة « الحيات » هي في س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبَسَّ » صوابه في س . وفي س ، ط : « الكَثِيبِ » صوابه في هـ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذي لا يثبت .

(٤) في الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق في ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) في الأصل : « زرق الفرش » ، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الطيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني في تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجي من الأمر الذي انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى في المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فغَطَّ إِنْءَاكَ . كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْجَنَّ تَشْرَعُ فِيهِ^(٢) ، عَلَى تَصْدِيقِ الْحَدِيثِ فِي قَوْلِ الْمَفْقُودِ^(٣) لِعَمْرٍ ، حِينَ سَأَلَهُ وَقَدْ اسْتَهْوَتْهُ الْجَنُّ : مَا كَانَ طَعَامُهُمْ ؟ قَالَ : الرِّمَّةُ . يَرِيدُ الْعِظْمَ الْبَالِي . قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ ؟ قَالَ : الْجَدَفُ . قَالَ : وَهُوَ كُلُّ شَرَابٍ لَا يُخْمَرُ^(٤) .

وَتَقُولُ الْأَعْرَابُ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا فِي اللَّبَنِ . وَأَمَّا النَّاسُ فَيُزْهَوْنَ إِلَى أَنَّ الْحَيَّاتَ تَشْرَعُ^(٥) فِي اللَّبَنِ ، وَكَذَلِكَ سَامٌ أَبْرَصٌ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَّاتُ تَشْرَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرْقِ .

(حديث في المعصفر)

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « لَا تَبَيَّنُوا فِي الْمَعْصِفِرِ^(٦) ؛ فَإِنَّهَا مُحْتَضَرَةٌ » ، أَيْ يُحَضِّرُهَا الْجَنُّ وَالْعُمَّارُ .

-
- = (١٦ : ١٢) : « فَأَنَا مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ » . وَالسَّيْبُ ، بِالْفَتْحِ : الْعِطَاءُ . وَرَوَى فِي الْخُصَصِ (٣ : ٧٠) : « وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ بِأَيِّسَ » ، عَلَى الْقَلْبِ .
- (١) مُحْتَضَرٌ : يُحَضِّرُهُ الْجَنُّ . وَالذُّوَابُ وَغَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . س : « فَقَدْ أَنَاكَ » مُحَرَّفٌ .
- (٢) تَشْرَعُ فِيهِ : تَدْخُلُ فِيهِ لِتَشْرَبَ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَمْرَعُ فِيهِ » ، مَصْحُوفٌ .
- (٣) أَيْ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَهْوَتْهُ الْجَنُّ : فِيمَا يَرَوُونَ .
- (٤) لَا يُخْمَرُ : أَيْ لَا يُغْفَلُ .
- (٥) فِي الْأَصْلِ : « تَمْرَعُ » . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ قَرِيبًا .
- (٦) الْمَعْصِفِرُ : الْمَصْبُوغُ بِالْمَعْصِفِرِ ، وَهُوَ زَهْرُ الْقِرْطَمِ . ط : « الْمَعْصِفِرُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، هـ . وَقَدْ أَعَادَ إِلَيْهِ ضَمِيرَ الْمُؤَنَّثِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الثِّيَابِ .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْرٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)
أَجْبِنَا فِي الْكَرِيهَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخَلَاءِ !! ٨٦

فلولا الله ما أمسى رَفِيقِي ولولا البولُ عَوَجَلُ بِالْحِصَا

وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعَجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا^(٤)

فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَنْوُءُ بِخَصَرِهَا وَعِشًا رَوَادِفُهُ وَأَخْشَمَ نَاتِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجنون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجوف .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أنت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينتظرن إلى إلّا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فأبل بها نفسك ، واغد على بخيرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذي صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذي أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فأجعلها عوضاً عما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرر : التميمي . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أي ينوء خصرها بحمل كفله ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعشا روادفه : أصل الوعث : المسكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هي رواية ط والأغاني والمختار . وفي س ، هـ : « وعسا » بالسين ، وهي بمعنى الأول . والأخشم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أي بارزاً ، وأصله ناتا . ورواية الأغاني والمختار : « جاتيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجان مُقْبِضًا رِخسوا حائله وجِلْدًا باليا^(١)
أدنى له الرِّكَب الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عتارياً وأفاعياً^(٢)
وقال آخر (٣) :

مريضةً أثناء التَّهادى كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقْطَعاً^(٤)
تسبب انسباب الأيِّم أخصرَه النَّدى يرفعُ من أطرافه ما ترفعها^(٥)

(شعر في العقربان)

وقال إياسُ بن الأرت^(٦) :

كَأَنَّ مَرَعَى أُمَّكُمْ سَوْءَةً عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عَقْرُبَانٌ^(٧)

(١) في المختار : « متفخ العجان مقلصا » ، والأغاني : « رخسوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحني وطردت أم عيالها

(٢) الركب ، بالتحريك : الحن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطأ . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنتان في المختار .

(٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مثنى في تمایل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في سن ، ط والمحاضرات والحامسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحامسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينعها أو ينعن بلبن المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهي في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحامسة ومجموعة المعاني : « فرغ من أعطافه » .

(٦) لم أجده تربة إلا ما قال صاحب القاموس في (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أهم . يكومها : يخاطبها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلها زَوْلٌ وفي شَوْلها وَخَزْ حَدِيدٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنانُ^(١)
 كُلُّ امرئٍ قَدْ يُتَقَى مُقْبِلًا وَأَمُّكُمْ قَدْ تَتَقَى بِالْعِجانِ^(٢)
 وقال آخر^(٣) لَمْضِيفِهِ :

تَبَيْتُ تَدَهْنِيهِ الْقِيْذَانَ حَوْلِي كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرُبَانُ^(٤)
 فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ^(٥)

= ويسمى العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسمى علماء الإفرنج : Centipede .
 وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيبه .
 وقد أسلفت كلاماً على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرني العقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
 الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاي : طعن لا ينفذ .
 حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه في ط والحماسة .
 وفي س : « مثل وخذ » وهـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .
 (٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآق هو الهيردان بن العيين المنقرى . والهيران ، بفتح الهاء بعدها
 مشاة تحية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
 العيين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
 نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمرأ وأسقاء لينا وقام
 يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآق . وقبل البيت الأول :

تَلِيزْ يَا ثَبَيْتَ عَلَيْهِ لَحْمٌ أَحَبُّ لِي مِنْ صَوْتِ الْأَذَانِ

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القائل فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
 ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبيتاً هذا نزل به قوم ليلة فلم يمشهم وقام
 يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآق .

(٤) يدهله : يدرج أو يقلب بعضه على بعض . والقِيْذَانُ : البراغيث ، واحداً قَذَة ،
 كقوة . والرواية الجليدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر
 بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبية السابع من الصفحة السابقة . وقال القائل
 فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان » ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
 وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه . وانظر التنبية المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزبانى .
 ورواية القائل :

فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي خَبْزًا وَلَحْمًا حَمَلْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فيلو يستطيعون دبَّت لنا مَذَاكى الأفاعى وأطفالها^(١)

وقال رجلٌ من قریش :

ما زالَ أَمْرٌ وُلَاةِ السُّوءِ مُنْتَشِرًا حَتَّى أَظَلَّ^(٢) عَلَيْهِمُ حَيَّةٌ ذَكَرُ

ذُو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ عَفَّ الشَّمَائِلِ قَدْ شَدَّتْ لَهُ الْمِرْرُ^(٣)

لَمْ يَأْتِهِمْ خَبَرٌ عَنْهُ يَلِينُ لَهُ حَتَّى أَتَاهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ الْخَبَرُ

وقال بشار :

تَرَلُّ الْقَوَافِ عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتُ الْأَفَاعَى رِيقَهُنَّ قَضَاءُ^(٤)

[وقال^(٥)] :

فَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ كَانَ يَأْمُلُ نَفْعَكُمْ شَجَاعِرُ لَهُ نَابٌ حَلِيدٌ وَمُخْلَبٌ^(٦)

أَخٍ لَوْ شَكَرْتُمْ فَعَلَهُ لَوْ عَضَّصْتُمْ رُءُوسُ الْأَفَاعَى عَضَّ لَا يَتَهَيَّبُ^(٧)

٨٧

(١) المَذَاكى : جمع المَذَى ، بتشديد الكاف المسكورة ، وهو الممن من كل شئ .

(٢) كَذَا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكينة .

(٤) الحيات : جمع حية بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حامة »

محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكلنى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القاتل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعضتم » ، وبذا يضطرب نسج البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعي للوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات :

فإن أنت أقررت الغداة بنسبي عرفت وإلا كنت فقعا بقردد^(١)
ويشمت أعداء ويجذل كاشح عمرت لهم سماً على رأس أسود^(٢)
وقال آخر :

ومعشر منفع لي في صدورهم سم الأسود يغلي في المواعيد
وسمهم بالقوافي فوق أعينهم وسم المعيدى أعناق المقاحيد^(٣)
وقال أبو الأسود^(٤) :

ليتك آذنتني بواحدة جعلتها منك آخر الأبد^(٥)

- = جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أى لو شكرتم فعله لشاركنكم في جميع ما أنتم فيه ، حتى لو تقهقمت الصعبة لتقحمها معكم .
- (١) الفقع : كماء رخوة يضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه . أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميادي (٢ : ٥٩) .
والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطمئنة الآتية .
- (٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .
- (٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاذ ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعيد » بتشديد الياء الموحدة المسكورة ، وهو الذى يعيد الإبل ، أى يظليها بالقطران ليما لج جربها ؛ فإن المعيدى تصغير المعدي نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .
- (٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخيار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأدياب (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب القند (٣ : ٢٩٧) إلى أبي زيد . وصواب نسبه أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغاني (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

- وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعياً . انظر بقية نعت في بغية الوعاة ٢٧٤ . توفي سنة ٦٧ بطاعون الجارف .
- (٥) آذنه بالأم : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ أَلَّا تَبْرَنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كِبِدِي (١)
 إِنْ كَانَ دَرْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةٍ عَلَى رَصَدِ (٢)
 وَقَالَ أَبُو السَّفَّاحِ (٣) يَرَى أَخَاهُ يَحْيَى بْنُ عَمِيرَةَ (٤) وَيُسَمِّيهِ بِالشَّجَاعِ (٥) :
 يَعُدُّو فَلََّا تَكْذِبُ شِدَّائَهُ كَمَا عَدَا اللَّيْتُ بُوَادِي السَّبَّاحِ
 يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاةً مَعًا ثُمَّتَ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعُ الشَّجَاعِ (٦)
 وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

عَاطَرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَّمَ (٧)
 وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيطِ (٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ (٩) :
 شَمْسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

(١) يقول : ليتك تحلف ألا تبترني ؛ فقد سئمت برك وما تحلفني من المن .
 (٢) في معجم الأدباء : « في ماضفاحيه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضفي حية » .
 (٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموقوفات للزبير بن بكار
 طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق الليربوعي . والشعر
 منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي . نسبة إلى ثعلبة بن ربوع .
 (٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريع ، يرقى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب
 مصعب بن الزبير ، وكان وفي له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ،
 وكذا خزنة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .

(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
 (٦) ينباع : يشب ويضطو .
 (٧) روى : « وأطرق » في حاشية البحرى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١ :
 ٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لنابله » . وبه يستشهد التحويون على إلزام
 المتن الألف في أحوال الإعراب للثلاث عند بعض القائلين . انظر الخزنة (٣ :
 ٢٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم
 المرزبانى ٢١٣) :

فَاطَرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشَّجَاعُ لَقَدْ أَرَمَ
 (٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يمر » .
 (٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طأويا
ولأى أفض الضيم منى بصارم رهيف وشيخ ماجد قد بنى ليا^(١)
وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبدا نابتة مستوية ، فإن أنكرت شيئا
فدشطها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أراى بطوى الحس وذات قرنئ طحون الضرس^(٢)
نفضاضة مثل انشاء المرس^(٣) تدير عيناً كشهاب القبس
لما التقينا بمضييق شكس^(٤) حتى قنصت قرنها بحمس^(٥) ٨٨

وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فإياكم والرئف لا تقرئنه فإن لديه الموت والحتم قاضيا
هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم حلول تشتون الأفاعيا
وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شئت بالعشاء وأنور^(٦)

(١) أفض الضيم : أدفعه . وأصل أفض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الهميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل :
« الرس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بحمس أصابع . س : « حتى قنصت » وفى س : ط : « قبوتها »
وصوابها فى هـ .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٢٨٣ ليسك : « وقوله :
وأنور ، إن شئت هزوت ، وإن شئت لم تهزم » . ورويت : « أنور » عند
الدينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قَمِيرٌ كُنتَ أَرْجُو مَغِيْبَهُ وروَّحَ رُعيَانٌ وَهُوَ مُمْرٌ
ونَفَضْتُ عَنِّي اللَّيْلَ^(١) أَقْبَلْتُ مِشْيَةً إِلَّا حُبَابٍ ، وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و] ^(٣) ضَرَبَ كَلْثُومٌ بَنَ غَمْرُو المثلَ بِسَمِّ الأَسَاوِدِ ، فَقَالَ ^(٤) :

تَلُومٌ عَلَى تَرْكِ الْغَنَى ^(٥) بِأَهْلِيَّةٍ ^(٦) طَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرَفٍ وَتَالِدَ
رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكِسَا^(٧)

مَقْلَدَةً أَجْيَادُهَا بِالْقِلَاسِ

يَسْرُكُ أَتَى نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرٌ مِنْ الْمَلِكِ ، أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ^(٨)

(١) يروى : « ونفطت عنى العين » ، أى احترست منها وأمتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيّب وألطف . ورواية العيني : « وغفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور التمرى قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للتملق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحامدة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .
والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يحيى جعفر الميمى ، ويحيى بن خالد الترمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْصَىٰ فِي مَعْصَمَاهُمَا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَارِدِ^(١) !
 ذَرْنِي تَجَنَّبْنِي مِيتَتِي مُطْمَئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَؤُلَاءِ^(٢) تِلْكَ الْمَوَارِدِ
 فَإِنْ كَرِهْتَ الْمَعَالِي مَشُوبَةً بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٣)

(حيات الجبل)

وفي التشنيع لحيات الجبل ، يقول اللَّعِينُ الْمُنْقَرِيُّ^(٤) : لرؤبة
 ابن العجاج^(٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصه مؤسفة ، يروها المسعودي في مروج الذهب .
 وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
 (١) أحضه الشيء : جمعه يحضه . ومن غص السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
 والفهر وعيون الأخبار وحامسة ابن الشجري والأغانى : « أغصنى مفضهما » .
 والمرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت في الضريبة ، لا تنفض .
 وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينفخ عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قلى
 وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحامسة
 ابن الشجري والمروج والزهر . وفي العقد : « الخدائد » .

(٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
 ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيفات المعالي » ،
 والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحامسة : « فإن رفيفات الأمور » ، والعقد :
 « وجدت لذاذاً الحياة » ، والأغانى : « رأيت رفيفات الأمور » ، وديوان المعاني
 (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوعة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
 الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
 الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحتري في حسانته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المسكبر الضبى . والعين المنقرى
 سبق ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « غلت القوم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والعي ٢ :
 ٤٠٤ منسوباً إلى العين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُؤبُ ، والحية الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الأراجيز جلب اللوم والكسل^(٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدثنني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مرّ قوم حُجَّاجٌ من أهل
اليمن مع المساء ، برجلٍ من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسألوه القرى ،
فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مستقاة ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وقينا
حقّ قرانا ! فأخذ القربة فتقلدها يسقيهم ، فنهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القربة ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لشأناً ، وما في الشرب من فم قربة حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قربة ، فوكمته^(٥) حية فأت ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب^(٦) . فعلمت^(٧) أن كل شيء لا أعرف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته^(٨) .

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحرى : « إن كنت
تتكرني » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحرى : « أبا لأراجيز » . فى س ، ط :
« يوعدني » صوابه فى هـ وحجامة البحرى . وروى : « خلت اللوم والفشل » رفع اللوم
والفشل ، هل الإقواء . وعند البحرى : « إن الأراجيز رأس اللوم والفشل » .

(٣) الخبر فى الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختناث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اختناث »
بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منها . وانظر الجاهل الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكمته الحية : لثغته .

(٦) فى الأصل : « علمت » ووجه ما أثبت .

(٧) وعله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير وجهه ، ويأثّر
يحمل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر للنهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سلخِ الحية :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ^(١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَائِقٌ بَيْنَتَيْنِ : بِسَمِّ الرَّأْسِ وَنَهَشِ الرَّجْلَيْنِ^(٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهِزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عَلَيْهِ سِنَتَانِ .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحَيَّةِ مِثْلُ الْبُزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلْخَفِّ وَالْخَافِرِ .
قال : وَلَيْسَ يَنْسَلَخُ إِلَّا بَعْدَ سِنَيْنِ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنَ السِّنِينَ
عَلَى حَدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الْحَيَّةَ تَسْلَخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الْحَيَاتِ
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ
نَبَاتِ الرَّيْشِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ : أَخْبَرَنِي أَبُو رِفَاعَةَ^(٣) ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، قَالَ :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَخْطِي حَيَّاتٍ . فَطَرْتُ السَّمَاءَ ، فَجَعَلْتُ أَخْطِي سُيُولاً .

(١) الميسم بالكسر : أداة اللوم . ولقَيْن : الحداد .

(٢) في الأصل : « بِسَمِّ الرَّأْسِ » ، وَالسَّامَةُ بِمَعْنَى الْعَلَامَةِ ، وَهِيَ لَا تَلَامُ نِظَامَ الْكَلَامِ .

(٣) س ، هـ : « أَبُو رِفَاعَةَ » بِالْقَافِ .

وحكى الأصمعيُّ أنَّ رجلاً رأى في المنام في بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداء المسلمين . وكانت الخوارج تجتمع في بيته .

(شعر للعرجي والشمخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديبب السمِّ في المنهوش :
 واشربَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمْشَى حُمَيَّا السَّكَّاسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
 يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سَمُّ الْعَقَّارِبِ
 وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صُسدوع الصَّخْر ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلِ ذُو سَعَاةٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلَامًا^(٣)
 كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابِسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
 أَبْرًا عَلَى الْخَوَاءِ^(٤) حَتَّى تَنَادَرُوا حِمَاهُ^(٥) بِحَمَامَةِ مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاد » س : « سعاد » بدون إعرام . وصوابها في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والخواء ، بضم الخاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا بما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الموامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فإنه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . واقب بالعرجي لسكنائه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تنادروا حماء : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت للتأنيص ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتأ » .

يظلّ مُشيحاً سامعاً ، ثمّ إنها إذا بُعثت لم تَأُلْ إِلَّا تَقَدُّماً^(١)
 قال : ويقال : تطوّت^(٢) الحَيَّة . وأنشد العرجي :
 ذَكَرْتُني إِذْ حَيَّةٌ قَدْ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرَسِهِ فِي الشَّيَابِ^(٣)
 وقال الشَّماخ ، أو البَعِيثُ^(٤) :
 وَأَطْرَقَ لِأَطْرَاقِ الشَّجَاعِ وَقَدْ جَرَى عَلَى حَدٍّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمُسَمُّ^(٥)

(ما ينبج من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالتَّبَاح : الكلب ، والحَيَّة ، والظَّبْيُ إِذَا
 أَسَنَّ ، وَالْهُدُودُ . وقد كتبنا ذلك مرة ثمّ^(٦) .

قال أبو النّجم :

وَالْأَسَدُ قَدْ تَسَمَّعَ مِنْ زَيْبِهَا وَبَانَتْ^(٧) الْأَفْعَى عَلَى مَحْفُورِهَا
 تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُّ فِي تَأْسِيرِهَا^(٨) مَرَّ الرَّحَى تَجْرَى عَلَى شَعِيرِهَا

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنها أخرى . والحية بما يذكر ويؤث .

(٢) س : « انطوت » . والأوق ما أثبت من ط ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الشعر في ط ، ه . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصين
 محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .

(٤) ليس البيت في ديوان الشماخ .

(٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنجاح الطيبي ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنجاح الهدد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .
 وأما نجاح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستراكات .

(٧) ه : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشعار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التأسير ، وهى في أصل معناه السيور يؤسر بها الهرج ،
 وجعله هنا للجلدها . و « يحتك » هى في الأصل « يحتك » بالنون .
 وصوابه ما أثبت .

كَرَعْدَةِ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا ^(١) تَضَرُّمَ الْقَصْبَاءِ فِي تَنُورِهَا ^(٢)
تَوْقُرُ النَّفْسَ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا
• فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا •

(قَوْلُ فِي آيَةِ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَعُومُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِ
الْخَلْقِ ، ثُمَّ قَصَّرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ ^(٣) ، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَطِيرُ
وَمَا يَعُومُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَاحُ ، مِثْلَ الْخِيَائِ وَالذِّيدَانِ ، مِمَّا يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرَجْلٍ ، كَمَا أَنَّ الْعِصَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، وَالرَّمْحَ لَا يَكُونُ
إِلَّا بِخَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابٌّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجزء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباه بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة
الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب ريعبل بعضه بعضاً كعمعة الأباه المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضا » و : ه :

« النضا » و س : « القضا » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم
في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومَن تَفَقَّدَ قوائمَ
السَّـرْطَانِ وَبَنَاتِ وَرَدَّانَ ، وَأَصْنَافَ الْعَنَاكِبِ - عَرَفَ ذَلِكَ .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التَّأْوِيلِ وَحَدِّهِ . فإِذَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ
وَضَعَ كَلَامَهُ فِي اسْتِقْصَاءِ أَصْنَافِ الْقَوَائِمِ ؟ وَبِأَيِّ حُجَّةٍ جَزَمْتُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَوَّذَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشَّيَاطِينِ وَالنَّارِ لَهُمْ آكُلٌ ، وَعَذَابُهُمْ بِهَا أَشَدُّ . فَتَرَكَ ذِكْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ
نَسِيَانٍ ، وَعَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ﴾^(١) ، أَخْرَجَ
مِنْ هَذَا الْعَمُومِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَقَدْ قَصَدَ فِي خُرُوجِ هَذَا الْكَلَامِ [إِلَى^(٢)]
بِجَمِيعِ وَلَدِ آدَمَ . وَقَالَ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ أَذْخَلَ فِيهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى صِلَةِ الْكَلَامِ :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أَخْرَجَ مِنْهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ
وعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ . وَحَسُنَ ذَلِكَ إِذْ كَانَ الْكَلَامُ لَمْ يُوَضَّعْ عَلَى جَمِيعِ مَا نَعْرِفُهُ
النَّفُوسُ مِنْ جِهَةِ اسْتِقْصَاءِ اللَّفْظِ . فَقَوْلُهُ : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٣) كَانَ عَلَى
هَذَا الْمَثَالِ الَّذِي ذَكَرْنَا . وَعَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ فَهُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى
رِجْلَيْنِ ، وَالَّذِي يَمْشِي عَلَى ثَمَانٍ هُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَعَلَى رِجْلَيْنِ .

(١) مِنَ الْآيَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ فِي سُورَةِ فَاطِرَ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، هـ .

(٣) بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْكَلَامِ بِمَعْنَاهَا ، جُمْلَةٌ : « فَهُوَ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ » فِي ط ،
س . وَهِيَ عِبَارَةٌ مَقْحَمَةٌ لَيْسَ لَهَا وَجُودٌ فِي هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فنبغى أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ؛ لأن السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفى هذا الذى جهلتموه ضررب من الجواب : أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر : « ما هوَ إلا كأنه حية » ، و : « كأن مشيته مشية حية » يصفون ذلك ، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكر الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثر من أن نقف^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسياها وانسياحها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبه به فى حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنه أجره مجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه بقصد بعير ، وطعنه فى سنامه ، وقال : « هذا فصد^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مائين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصلون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يحملون ذلك الدم فى معى من الأماء ويشورونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميداني (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحرها إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعني تمرًا^(١) فكان تمرى كهرةً وزبرًا^(٢)

وذم بعضهم^(٣) الفأر وذكر سوء أثرها في بيته ، فقال :

يا صعلجَ الرّحمن بالعقابِ لعامرات البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرجل ، « مانرى من خيرك

ورفدك إلا ما يبلغنا من حطبك^(٤) علينا ، وفئتك في أعضادنا^(٥) ! »

وقال النّابغة في شيء بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائب

ووجه آخر : أن الأعراب تزعم - وكذلك قال ناسٌ من الحوّاثين

والرقّائين - إن للحية حزوزا^(٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت حزوزة^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عير » ، والحيوان (٥ : ٣٣) :

« قالت ألا فاطم عيرا » . وروى في المختص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني

عيم تمرًا » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عيم :

تصغير عم . أى ياصى .

(٢) الكهرة : الانتهاز . وللزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله فأر . انظر الحيوان (٥ :

٢٥٨) وديوان الماعنى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) فى القاموس : « حطب فى حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » : فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .

وفى الأصل وكذا فى بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « حطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا

بتكلف . وما يبلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) انت فى ضده : رام لإضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .

ط : « وفئتك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضامنا »

صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « حزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « حزوزة » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْسًا . ولم
تُوجدَ بعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلغها إلَّا كلُّ حَوَاءٍ دقيقٍ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجمَلِ العربىِّ ، فَإِنَّه يظهرُها كالدُّلُو ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجعتْ تلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمْسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروق الكُلَى (١) إلى المائة التى يجرى فيها
الحَصَى المتولِّدُ فى الكُلَيَّة إذا قَذَفَتْهُ (٢) تلك العروقُ (٣) إلى المائة ، فإذا
بالإنسانُ انضمتْ العروقُ واتَّصلتْ بأماكنها ، والنتحمتْ حتى كان
موضعُها كسائر ما جاوز تلك الأماكن .

ووجهُ آخر : وهو أنَّ هذا الكلامَ عربىٌّ فصيحٌ ؛ إذ كانَ الذى جاء به
عربياً فصيحاً ، ولولم يكنْ قرآنًا من عند الله تبارك وتعالى ، ثُمَّ كانَ كلامَ
الذى جاء به ، وكانَ مَن يجهلُ اللَّحْنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماءِ فى لغته ،
لكانَ هذا - خاصةً - مِمَّا لا يجهله .

فلو أنَّنا لم نجعلْ لِحْمَدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبوَّةٍ ، ولا مزيةً
فى البيانِ والفصاحةِ ، لكنَّا لا نجدُ بُدًّا من أن نعلمَ أنَّه كواحدٌ من الفصحاءِ .
فهل يجوزُ عندكم أن يخطئَ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ،
أو خطبةٍ أو رسالةٍ ، فيزعمُ (٤) أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك
الذى قال (٥) ليس من لغته ولا من لغة أهله ؟ ! فعلمومُ عندَ هذا الجوابِ ،
وعند ما قبله ، أن تأويلكم هذا خطأ .

(١) ط : « الكلا » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كسبت فى ط ، س بالألف . هـ
وفى هـ : « انحصا » صوابها ما أثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « يزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاعِيُونَ ﴾
وأصحاب الجنة لا يوصفون بالشغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأي شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ما شغلهم إلا في افتضاض الأبكار ، وأكل فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان
على مناجات الباقوت !

وهذا على مثال جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
من جهة الحلبة^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : لِمَا أسألك عن
الحليل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكْرَةٌ وعشيٌّ . وقد صدق القرآن ، وصدق
المفسر ، ولم يتناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسرُ
ذهبَ إلى الموجود ، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .
وعلى ذلك المعنى روى عن عمر أنه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْتَهَى عَنْهُمَا وَأَضْرَبُ عَلَيْهِمَا^(٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الحليل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوباً
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلاً في كتاب العباية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحاً
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَاِسْتَمْتِعْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتَّوَهَّنَ
أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصلاة ويَطَبِّقُونَ^(١) إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمام من الأئمَّة ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهر النَّسخ ، وعَرَّفَهُم أن ذلك من المنسوخ ، فَكَانَ قَائِلًا قَالَ : أُنْهَانَا عَنْ شَيْءٍ ، وقد كان على عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فيقول : نعم . وقد قَدَّمَ الاحتجاج ٩٣ في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ^(٢) .

ومن العَجَبِ أَنَّ نَاسًا جَعَلُوا هَذَا الْقَوْلَ عَلَى الْمَنْبَرِ مِنْ عِيوبِهِ . فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى فِيهِ عَلَى مَا وَصَفْنَا ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَجْهَلُ مِنْ عُمرَ حِينَ يُظْهِرُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَنبَرِ الْجَمَاعَةِ ، وَهُوَ إِنَّمَا عَلَاهُ بِالْإِسْلَامِ . ثُمَّ فِي شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ حُجَّةٌ فِيهِ وَلَا عِلَّةٌ . وَأَعْجَبُ مِنْهُ تِلْكَ الْأُمَّةُ ، وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ [الَّتِي^(٣)] لَمْ تَنْكِرْ تِلْكَ السَّكَلَمَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَلَا بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ جَمِيعُ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ ، حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِ دَهْرِنَا هَذَا . وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَلَى أَنْ سَيَّرَ رَجُلًا^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها هل سكان مكة ؛ إذ قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قوله عمر : « كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ وَحَرَمَتْهُمَا أَيْضًا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ . وكذلك قوله « أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا » ، فالمراد « أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا كَمَا نَهَى الرَّسُولُ » .

(١) في الأصل : « يَضْبَعُونَ » ، وهو تحريف صوابه ما في البيان (٢ : ٢٨٢) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثُمَّ أَمُرُوا بِالْقَامِ الْكَفِيِّينَ رَأْسَ الرِّكْبَتَيْنِ . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبو ذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عُثْمَانُ ، وسيره إلى الريدة ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهل أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسَرُ الْمُهَادُّ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنار خزان ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أن جهنم فتحت أبوابها ، ونُحِّي^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكل لصر في الأرض ، ولكل خائن في الأرض : دونك ، فقد أبيحت لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جعل لها خزائن وخزنة . وإنما هذا على مثال ما ذكرنا . وهذا كثير في كلام العرب .

والآي التي ذكرنا في صديق هذا الجواب ، كلها حُجَج على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قرية من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . واسم أبي ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فتركب الكبيرة إذا لم يبق فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجهود الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

شعر خلف الأحمر في الحيات

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونَ أَنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًّا لِنَابَيْهِ ذُبَابٌ^(١)
 مِنَ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفٍ طَوْدٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
 أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِى بَعْقُوته الذَّنَابُ^(٤)
 كَأَنَّ دَمًا أُمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطَرَانَا أُمِيرَ بِهِ كُيَابُ^(٥)
 إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتُ أَبْدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب الثاب : طرفه الخاد .

(٢) المتحرّمات ، من قوطم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحايته . يقول :
 هو من تلك الحيات التي تحرمت بذلك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاوطها
 أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » .
 يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ،
 وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ،
 وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر لدم بما شئت » . والمائرآت :
 الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرآت حول هوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : القتراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
 « استجرش » ولم أجده له وجها ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
 من قول عنزة :

رقدت صحيان كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذ وامله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
 الصهابي : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدي :

فجئنا إلى الموت الصهابي بعدما تجرد عريان من الشر أحذب .

إذا ما الليلُ ألبسه دُجَاهُ مَرَى أسمى تصيحُ له الشَّعَابُ^(١)

فقلت لحَيَّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لِمَ^(٤)] قال موسى بن جابر
الحنفي^(٥) :

طَرَدَ الأروى فما تقرُّبه وَنَفَى الحَيَّاتِ عَن بَيْضِ الحجلِ^(٦)

قال : لأنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتُ . [قلت^(٧)] : فلم قال خلفُ الأحمر :

• ولا تسرى بعقوته الذَّنَابُ • ؟

قال : لأنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتُ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأسمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س هـ . و « تصيح » هي في س : « تفصح » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه في س ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ٤٣)

من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،

فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي !

فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيهما السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن الفريفة ، وهي أمه ، كما أن حسان

ابن ثابت يقال له ابن الفريفة . المؤلف ١٦٥ . وقال المازني في معجمه ٣٧٦

إنه نصراني جاهل ، يلقب أزيق البلمة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعراً

في الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحماسة (١ :

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفي شرح الحماسة للبرزى

(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب

من سمي موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن

وسمى المسلمون أبنائهم بأسماء الأنبياء . على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، هـ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(منافضة شعرية لازيادي ويحيى بن أبي حفصة)

وقال الزبّادى فى يحيى بن أبى حفصة ^(١) :

إنى ويحيى وما يبغى كَلْتَمِسٍ صَيْدًا وما نال منه الرّىّ والشّبعا ٩٤
أهوى إلى باب جُحْرِ فى مقدّمه مِثْلُ العَسِيبِ تَرى فى رأسه قَزَعًا ^(٢)
اللّونُ أَرَبْدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عَصْلُ تَرى السَّمَّ يجرى بينها قِطْعًا ^(٣)
يَهْوِى إلى الصّوتِ والظلماء عاكفةُ تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطْلَعًا ^(٤)
لو نالَ كَفْكَ آبَتْ منه مخضبةُ بَيْضَاءَ قد جللت أنيابها قَزَعًا ^(٥)
بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقل بها من الهزالِ أبوها بعد ما ركعا
فردّ عليه يحيى فقال :

كم حِيَّةٌ ترهبُ الحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ ^(٦) قد غادرته قِطْعًا

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) :
« وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط بعضها .
والقزح ، بالتحريك : غفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سائلة » . وصوابه ما
أثبت . وانظر ما ساقى فى (٥ : ٣٣٤) . والمصل : الملتويات . وفى الأصل :
« عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخض من الجبل ومن كل شيء . والتقوّر : الثنى . وفى
الأصل : « تمود » . وانظر ما سبق فى ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه
كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
لجره وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قنعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتلى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناقى*
من الجبل . س : « لذيديه » .

- يَلْقَيْنَ حَيَّةَ قَفٍّ ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعًا (١)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ ، قَزَعًا (٢)
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءِ أَيْبَسَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا (٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

- وَكَمْ طَوَتْ مِنْ حَنْشِرٍ رَاصِدٍ لِلْسَفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ (٤)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ (٥)
مَنْهَرِ الشَّدَقِ رُقُودِ الضَّحَى سَارٍ طَمُورٍ فِي الدُّجْنَاتِ (٦)
ذِي هَامَةٍ رَقَطَاءٍ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ (٧)
صِلُّ صَفًّا ، تَنْظِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)

- (١) القف : بالضم : مرتفع جبرى . و « يلقى » هى فى الأصل : « تسق » .
والوجه ما أثبت .
(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزح : القُطْع من السحاب . ط ، س :
« قزعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى هـ .
(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .
(٤) الثنية : الطريق العال فى الجبل .
(٥) الأنياب العصل : الملتوية . هـ : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .
(٦) منهرت الشدق : واسمه . والطمور ، كصبور : الثوب . ط : « طمورا »
صوابه فى س ، هـ .
(٧) مقطوحه ، بالقاف : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .
(٨) تنظف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسام ، بالكسر : جمع سم .
والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجم ،
ولعلها « ميرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطْلِنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٤)
 قَدَّمَنَ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاحَيْنِ وَلَهَوَاتٍ^(٥)
 يُسَيِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ^(٦)
 وَتَارَةً تَحْبِسُهُ مِثْنًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ^(٧)
 وقال آخر ، وهو جاهلي :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
 غَابَعْتُ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمٌ^(٥)
 أَمَرَّ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ^(٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِلَدِّهِ ٩٥
 فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمٌ^(٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضْضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقَمْ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والفصير عائد إلى الضرسين .
 والصباح بكسر السين : لغة في الصباح بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . والقهوات
 جمع اللهاة ، وهي اللحمة المثرفة على الخلق . وقد سكنت الماء للشعر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لحاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسيت الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينث سما كما أطرق أفى ينث السم صل
 والإخبات : من أخبت بمعنى خضع . وأصله من الخبت ، وهو المظلم
 من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 ضمت الراء في (العرم) لضرورة للوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
 ووجه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أسابه . وفي الأصل :
 « أفضل » ووجه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أي تسم الهواء
 ليغتلى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمٍّ وَلَا خَوْفٍ رَاعَهُ وَلَا لِيَهُمْ
حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَفْثَانٍ أَصَمٍّ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ^(٢)
بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
• وَخَزَةُ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمَ^(٤) •

ومخالب الأسد وأشباه الأسد من السباع ، تكون في غُلْفٍ^(٥) ، إذا
وطئت على بطون أكفها رفعت المخالب ، ودخلت في أكام لها . وهو قول
أبي زبيد :

بُحْجِنُ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوحٍ يَتَّبِعُهَا قِصَّةُ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ^(٦)
وكذلك أنياب الأفاعى ، هي مالم تغضَّ فُصُونُهُ في أكام . ألا تراه
يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍّ^(٧)

(١) النفاث : الحية ينقض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
في س ، ه .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوفاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . ه . « المذوب » ، صوابه في س ، ه . والسك ،
بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإثنى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والمطوف ، بالفتح : المطوف . وذا أظهر
لأثر المخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، ه .

(٦) الحجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زيد بنعته . والحاجن : جمع
محجن ، وهو الصا المموجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالهاء المعجمة في آخره : هى
من الأسد مفاصل مخالبه ، كما في القاموس . وفى الأصل : « فتوح » بالهاء المهملة
مصحف . والقصة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى
الصغار . وفى الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « نخاضه » صوابه
في س ، ه . ه : « مذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أُنعتُ نضاضاً كَثِيرَ الصَّقَرِ ^(١) مولده كمولدِ ابنِ الدهرِ ^(٢)
كاناً جميعاً وَلِدَاً في شَهْرٍ يظلُّ في مرأى بَعِيدِ القَعْرِ
« بَيْنَ حَوَا فِي سَلِيلٍ وَصَخْرٍ » ^(٣) .

وقال :

وكيفَ وَقَدْ أَهْرَتْ عَيْنُكَ تَبْتَغِي عِنَادًا لِنَبَايَ حَيَّةٍ قَدْ تَرَبَّدَا ^(٤)
من الصَّمِّ يَكْنَى مَرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إِلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحَدَا ^(٥)
(شعر خلخلف في الأفعى)

وقال خلخلف الأحر - وهي مخلوطة فيها شيء ، وله شيء ، من الغبرة ^(٦)

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .

وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسر ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد

فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :

وما الدهر إلا كايته ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله

في الأصل : « ومولد ابن الظهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عني الراجز

أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذلك بما يزيد في شدة سمه .

(٣) الحواشي : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب .

والصدر ، ككتفت : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والتكر . وفي

الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أريد . والريدة : لون إلى الغبرة . وضمر « تربد » عائد إلى الحية ،

والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، ص : « مرة » . هـ : « مرة » ، صوابها ما أثبت . والشطر الثاني

فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو

كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصفَ عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبارٍ غيره -
وهو قوله :

أفعَى رَخَوفِ العينِ مِطْراقِ البُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من السكبر

صِلْ صَفَاً ما ينطوى من القِصَرِ^(٢) طويلة الإطراقِ^(٣) من غير حسر

كأنما قد ذهبت به الفِكرُ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً في شَتَرِ

مهرونة الشدقينِ حواءِ النظرِ جاءَ بها الطوفانُ أيامَ زَخَرِ^(٤)

كأنَّ صوتَ جلدِها إذا استدرَ^(٥) نَشِيشُ جمرٍ عندَ طاهٍ مقتدرِ

(أحاديث في الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
كانت تقتل الأوزاع .

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزُّهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رُخِفَ بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في س .
ومطراق البكر : أى يطرق إطراقاً في الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمه
انتباهها فيكون على أشده في الليل .

(٢) صلال الصفا من أعثت الحيات . وقد بالغ الراجز في جملة الصل لا ينطوى من
شدة قصره . في الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، و صوابه مما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون
مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عني أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبي أنيسة ، هيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة
ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويستق » .
قالت : « ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال ^(١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني ^(٢) هشام عن عروة عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفُويستق » .

أبو بكر الهذلي ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفي يدي عُكَّازُ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغ في بيتي . قال : إن فعلت فإن الدوابَّ كلها حين ألقى إبراهيم صلى الله عليه وسلم في النار ، كانت تُطْفئُ عنه ، وإن هذا كان ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وَبَرَّصَ » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الأشياءَ كلها كانت ناطقةً ، وأنها أمٌ مجراها مجرى الناس .

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ وقال (١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوْرِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ (٢) ﴾ وقال : ﴿ وَإِنْ مِنْ الْحَجَرَةِ لَمَاءٌ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَاءٌ يهبطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً ، وذهب ابن حائط (٣) ومن لف لفه من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناس من غير المتكلمين ، وأتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعوا (٤) أن الحجارة كانت تعقل وتنتطق ، وإنما سلبت المنتطق فقط . فأما الطير والسباع فعلى ما كانت عليه .

قال : والوطواط ، والصرد ، والضفدع ، مطيعات ومثابات (٥) . والعقرب ، والحية ، والحداة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصري وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . الساقطى .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة . وبما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم » ، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضاربا في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعوا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أقف^(١) على واحدٍ منهم فأقولَ له : إِنَّ الْوَزَغَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضَرِّمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أُمِّي هَذِهِ أُمُّ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَلَا تُخَوِّدُ
هِيَ بِذَنْبٍ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَزْعَمُ أَنَّهُ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونَ تِلْكَ الْوَزَغُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَبْدِئُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدَنِهَا ، وَيَذْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !

وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ يَمْنُ بِفَهْمٍ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مُرَدُّدًا ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مُتَأَوَّلًا ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَقَالُ ٩٧
إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ .

وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكْتَ الْعَوَامُّ ، وَاخْتِطَفَتْ
وَاسْتَرْقَتْ ، وَلَوْلَا الْمُعْتَزِّلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أَحَادِيثُ فِي قَتْلِ الْوَزَغِ)

شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنِ لَيْثٍ ، غُنْ نَافِعٌ ، أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقْتُلُ الْوَزَغَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَانُ !

هَشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنِ خَالِدِ الرَّبْعِيِّ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْلَقُ النَّارُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزَغُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفَخُ عَلَيْهِ :
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاعَ كَانَتْ يَوْمَ حُرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفُخُهُ وَالْوَطَاوِطُ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .

شَرِيكٌ عَنِ النَّخَعِيِّ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْوَزَغُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أقف » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٢) انظر ماسبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطواط ووطواط . كما هنا وكما في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ خَطِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعًا ^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .

هشامُ بن حسان ، عن واصل مولى أبي عيينة ^(٢) ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أَقْتُلَ مِائَةً مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ، لأنَّ يحيى بن يعمر لم يزعم أَنَّهُ يَقْتُلُهُ لِكُفْرِهِ أَوْ لِكُفْرِ أَبِيهِ ، وَلَكِنَّمَا دَابَّةٌ تُطَاعِمُ الْحَيَاتِ وَتَزَأُّهَا وَتَقَارِبُهَا ، وَرَبَّمَا قَتَلَتْ بَعْضُهَا ، وَتَكْرَعُ فِي الْمَرْقِ وَاللَّبَنِ ثُمَّ تَمُجُّهُ فِي الْإِنَاءِ فَيَنَالُ النَّاسَ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ كَبِيرٌ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَقَتْلُهُ فِي سَبِيلِ قَتْلِ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وَأَهْلُ السَّجَنِ ^(٣) يَعْمَلُونَ مِنْهَا سُمًّا أَنْفَذَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ^(٤) ، وَمَنْ رِيَقَ

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعا بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضا أن تكون سبعا بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بفتحانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلمهم كانوا يصنعون هذا السم ليخلصوا من يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر » ، والأوفى ما أثبت كذا في صيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق : وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعي ؛ وذلك أنهم يُدخِلون الوَرْغَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْتِ ما يغمُرُها ، ويضعونها في الشَّمْسِ أربعين يوماً ، حتَّى تختلط بِالزَّيْتِ وتَصِيرَ شيئاً واحداً . فَإِنَّ مَسِجَ السَّجِينِ منه على رَغِيفٍ مَسْحَةٌ يَسِيرَةٌ فَأَكَلَ مِنْهُ عَشْرَةَ أَنْفُسٍ ماتوا^(١) . ولا أدري لِمَ تَوَخَّوْا من مواضع الدَّفَنِ عَتَبَ الأبواب^(٢) .

(حديث فيه نصائح)

يُحْيِي بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُجِيفَ أَبْوَابَنَا ، وَأَنْ نَخْمُرَ آتِنَتَنَا ، وَأَنْ نُوكِيَ أَسْقِيَتَنَا ، وَأَنْ نُطْفِئَ سُرُجَنَا^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَجَدَ بَاباً مُجَافاً لَمْ يَفْتَحْهُ ، وَإِنَاءً نَخْمُرَ لَمْ يَكْشِفْهُ ، وَسَقَاءَ مُوكٍ^(٤) لَمْ يَحْلِهِ . وَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ^(٥) تَأْتِي الْمَصْبَاحَ فَنُضْرِمُهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ . وَنَهَانَا عَنْ أَرْبَعٍ : نَهَانَا عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ^(٦) ، وَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُنَا فِي النَّعْلِ

(١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س : ه .

(٢) أى دفنهم ما يقطون من الأوزاع تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمال الصماء : رد الكساء من قبل عينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً ، فن ذلك ما قيل الصماء . ولفقها تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماء » محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوبِ الْوَاحِدِ ^(١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يستلقى أحدنا على ظهره ويرفع إحدى رجليه على الأخرى ^(٢) .

وهذا الحديث ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّار ، وهو يقع [بعد ^(٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قيس ^(٤) ، وربيع بن خثيم ^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً ^(٦) تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمِيلِ ^(٧) ، فَإِنَّهَا جَانٌّ ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَبْصُرُهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يحتبى الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، هـ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي السكوني . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائد بن عبد الله الثوري السكوني . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد ثبت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكاله من س ، هـ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . فني ط ، س : « إلى مثل الميل » وفي هـ : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحداها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) هـ : « فانه جاني » .

إسماعيل المسكى^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيّةً قُتِلَ كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيّةً أو عقرباً قُتِلَ كافرًا .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حاتم^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) . عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله^(٦) : من قَتَلَ حيّةً أو عقرباً فكأنما قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا سَأَلْتَاهُنَّ مُذْ حَارَبْتَاهُنَّ »^(٨) .

(١) في الأصل : « المسكى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) في الأصل : « ابن حاتم » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى مذهب إليه ابن حاتم وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصلح ، والطلح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود البكوفي المسعودي ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعوي » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعني عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة الليثكري — مولاها — البصري . وكان من أثبت الناس في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، يفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاورناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ]^(٢) [قَتَلَ حَيَّةً خَافَهُ أَثَارَهَا]^(٣) فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ^(٤) عَنْ عَطَاةِ الْخُرَاسَانِيِّ^(٥) قَالَ : كَانَ فَيَأْخُذُ عَلَى الْحَيَّاتِ أَلَّا يَظْهَرْنَ . فَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُنَّ حَلَّ قَتْلَهُ . وَقَتْلُهُنَّ كَقَتْلِ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَتْرُكُ قَتْلَهُنَّ إِلَّا شَاكًا .
وهذا مما يتعلق به أصحاب ابن حبان .
محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سألناهم مذ حاربناهم » .
ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ما أثبت من س ، انظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « خافه آثارها » ، فالخوف من الثأر يقتضي عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل » ، فرمما قتلت قاتله ، وربما أصابته نجيل ، وربما قتل ولده . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ .
وأما الرواية فقد رَوَاهُ ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات خافه الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف آثارها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » ، س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهي جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهمله ، السعدي البصري ، صدوق سمي الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفي سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهيم ^(٢) ذا الغرتين ^(٣) » . قال : والغرة ^(٤) : حوّة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل التوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذي غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعم النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالفم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذي لا شيء فيه .

(٣) في الأصل : « الغرتين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت في (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والغرة » س : « والقرة » صوابها ما أثبت . وانظر ما كتبت في (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذي يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاؤه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « المعسل » ، صوابه في س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل المعسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذباب » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كالتلخد^(١) والفأر ، والتسل ،
 ٩٩ والنحل ، والضَّب . ومنه ما لا يتخذ شيئاً يرجعُ إليه [كالحَيَاتِ^(٢)] ؛ لأنَّ
 ذُكُورَ الحَيَاتِ سَيَّارَةٌ ، وإنَّاثُها^(٣) إنَّما تُقيمُ في المكانِ إلى تمامِ خُروجِ
 الفِرَّاخِ من البَيْضِ ، واستغناء الفِرَّاخِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى
 شُقُوقِ الصُّخُورِ والحِيطَانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقَةِ ، مثلِ سَامِ أْبْرَص .
 قال : والحَيَاتِ تألفُها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعظايا تألفُ
 المزابِلَ والخراباتِ . والوزُغُ قَريبةٌ من النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادُشتُ^(٥) أنَّ العظايا ليستُ من ذواتِ السُّمُومِ ، وأنَّ
 سَامَ أْبْرَصَ من ذواتِ السُّمُومِ ، وأنَّ أهرمن^(٦) لما قعدَ ليقسِمَ السُّمُومَ ،

- (١) التلخد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .
- (٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيه .
- (٣) في الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند اللميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كيششاسب من ملوك الفرس السكيانيين ، ودعا إلى دين الجوسية ، وهو صاحب الأبياتا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثة مئة سنة ، على ما في التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبد ، فتأول الأبياتا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » و ب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .
- (٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظللان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، هـ : « لانه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ؛ كَالْأَفَاعَى ، وَالنَّعَابِينَ
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزَغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمُلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ ^(١) ، فَتُمِيرُهُ ^(٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ ^(٣) الْوَزَغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمَنْ لُعَابُ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ ^(٤)
فَلَمَّا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدْ فَنِيَ ^(٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخِرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فَإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ لِنَمَاهِ لِمَا يَعْرُضُ لَهَا مِنَ التَّذَكُّرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدُّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزَغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْ لَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ ^(٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعِلَةٌ ، مِنْ زَقَّ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فَيَمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلُ
إِذَا دَبَرَ » ، فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ كَسَامُ أَبْرَصٍ . ط : « الْفِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ط ، ه : « فَنِيَ » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرَّ يَشْرُ وَيَشْرُ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — يَفْتَحُ الشَّيْنَ وَكَسَرَ الرَّاءَ —
وَشَرِيرٌ ، كَمَكَيْتَ .

ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباط الوزَغِ بنصيبه من السمِّ ، بقدرِ ما استَبَانَ من تُكَلِّ العظايةِ ، وتسَلُّها وإحضارها ^(٢) وبكائها وخزنها ، وأسْفِها على ما فاتها من السمِّ .

(زعم زرادشت في خَلْقِ الفأرةِ والسَّنَّورِ)

ويزعم زَرَادُشت ^(٣) ، وهو مذهبُ المَجُوسِ ^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خَلَقِ الله ، وَأَنَّ السَّنَّورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَهْرَمَن ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفْسِدةٌ ، تجذبُ فِتْلَةَ المِصْبَاحِ فتحْرِقُ بذلك البيتَ والقَبَائِلَ الكثيرةَ ، والمُدُنَ العِظَامَ ، والأرياضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرِضُ دِفَاتِرَ العِلْمِ ، وكتبَ الله ، دقائقَ الحِسابِ ، والصَّكَّاءَ ^(٦) ، والشُّرُوطَ ، وتقرِضُ الثَّيَّابَ ، وربما طلبتِ القُطُنَ لنا كُلَّ بَزَرَةٍ فتدَعُ اللَّحافَ غَرْبَالاً ، وتقرِضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأَوْكِيَةَ الأسْقِيَةِ والأَزْقَاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ، وتقعُ في الآنيةِ

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضي ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المَجُوسِ ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكاله من س ، هـ . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصكك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل : الصكك عري . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافرين .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخَوِّج النَّاسَ إِلَى مُؤْنٍ عِظَام ، وَرَبَّمَا عَضَّتْ
رِجْلَ النَّاسِ ، وَرَبَّمَا قَتَلَتِ الْإِنْسَانَ بَعْضَتَهَا . وَالْفَارُ ^(١) بِحُرَّاسَانَ رَبَّمَا قَطَعَتْ
أُذُنَ الرَّجُلِ . وَجِرْدَانُ أَنْطَاكِيَّةَ تَعْجِزُ ^(٢) عَنْهَا السَّنَانِيرُ ، وَقَدْ جَلَا عَنْهَا قَوْمٌ ١٠٠
وَكَرِهَهَا آخَرُونَ لِمَكَانِ جِرْدَانِهَا . وَهِيَ الَّتِي فَجَرَتْ الْمَسْنَاءَ ^(٣) ، حَتَّى كَانَ
ذَلِكَ سَبَبَ الْخُسْرِ ^(٤) بِأَرْضِ سَبَا ، وَهِيَ الْمَضْرُوبُ بِهَا الْمَثَلُ . وَسَبِيلُ الْعَرَمِ مِمَّا
تَوَرَّخُ بِزَمَانِهِ الْعَرَبُ . وَالْعَرَمُ : الْمَسْنَاءُ . وَإِنَّمَا كَانَ جِرْدَا :
وَتَقْتُلُ النَّحْلَ وَالْفَسِيلَ ^(٥) ، وَتُخَرَّبُ الضَّبَّعَةَ ، وَتَأْتِي عَلَى أَرْزَمَةِ الرِّكَابِ
وَالْحُطْمِ ^(٦) ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ .

وَالنَّاسُ رَبَّمَا اجْتَلَبُوا السَّنَانِيرَ لِيُدْفَعُوا بِهَا بَوَاقِي الْفَارِ ^(٧) — فَكَيْفَ
حَسَارَ خَلْقُ الضَّارِّ الْمَفْسِدِ مِنَ اللَّهِ ، وَخَلَقُ النَّافِعِ مِنَ الضَّرَرِ مِنْ
خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟ !

-
- (١) أَرَادَ بِالْفَارِ هُنَا الْجَمَاعَةَ . ط : « الْفَارُ » صَوَابُهُ فِي س ، ه .
(٢) ط : « تَفْجُرُ » ، تَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .
(٣) الْمَسْنَاءُ : السَّدُّ الَّذِي يَمْتَرِضُ بِهِ الْوَادِي لِنَتْنِظِيمِ تَدْفِقِ الْمِيَاهِ . وَفَجَرُ ، تَقَالُ بِالتَّخْفِيفِ
وَالْتَشْدِيدِ ، بِمَعْنَى جَعَلَهُ يَنْفَجِرُ وَيَسِيلُ .
(٤) الْخُسْرُ : مُصْدَرُ حَسَرِ الْمَاءِ عَنْ الْأَرْضِ : نَفَسٌ حَتَّى يَدَامَتِ مَحْتَهُ . وَجَاءَ فِي مَعْجَمِ
الْبُلْدَانِ (بِرِسْمِ مَأْرُبِ) : « وَجَاءَ السَّبِيلُ بِالرَّمْلِ فَطَمَهَا » . وَطَمَهَا : مِنْ قَوْمٍ :
جَاءَ السَّبِيلُ فَطَمَ الرِّكْبَةَ : أَيْ دَفَنَهَا وَسَوَاهَا . ط : « الْخُسْرُ » بِالْخَاءِ الْمَعْنِيَّةُ .
وَأُثْبِتَ مَا فِي س ، ه .
(٥) الْفَسِيلُ : جَمْعُ فَسِيلَةٍ ، وَهِيَ النَّحْلَةُ الصَّغِيرَةُ . س : « النَّحْلُ وَالْمَسِيلُ » ، صَوَابُهُ
فِي ط ، ه .
(٦) الرِّكَابُ ، بِالْكَسْرِ : الْإِبِلُ . وَالْأَرْزَمَةُ : جَمْعُ زَمَامٍ . وَهُوَ مَقُودُ الْبَعِيرِ . وَالْحُطْمُ :
جَمْعُ حُطَامٍ ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى مِخْطَمِ الْبَعِيرِ لِيُقَادَ بِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى أَقْرَعَةِ
الرِّكَابِ وَالْخُسْرِ » . وَهِيَ عِبَارَةٌ لَا تَجِبُ . وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .
(٧) بَوَاقِي : جَمْعُ بَاقِيَةٍ ، وَهِيَ الْهَادِيَةُ ، أَوْ الْبُشْرُ .

وَالسُّنُورُ يُعَدَّى بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) مِنَ الْحَيَّاتِ ،
وَالْعُقَارِبِ ، وَالْجِعْلَانِ ، وَبَنَاتِ وَرْدَانَ . وَالْفَأْرَةُ لَا نَفْعَ^(٢) لَهَا . وَمَوْنُهَا
عَظِيمَةٌ .

قال : لَأَنَّ السُّنُورَ لَوْ بَالَ فِي الْبَحْرِ لَقَتَلَتْ عَشْرَةَ آلَافٍ سَمَكَةً !
فَهَلْ مَمَعَتْ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أَوْ بِحِيلَةٍ ، أَوْ بِأُضْحُوكَةٍ ، أَوْ بِكَلَامٍ ظَهَرَ عَلَى
تَلْقِيحِ هَرَّةٍ^(٣) ، يَبْلُغُ مَوْنُ هَذَا الْاِعْتِلَالِ ؟ !
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ هَذَا مَقْدَارَ عَقُولِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ^(٤) .
وَأُنْشِدُ أَبُو زَيْد :

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ لِهَذَا خَالِصًا لَكُنْتُ عَبْدًا آكِلَ الْأَبْرَصِ^(٥)
يَعْنِي جَمَاعَ^(٦) سَامِّ الْأَبْرَصِ : أَبْرَص .

(١) هذا مجازاة من الجاحظ المجوسى الذى يمارسه .

(٢) فى الأصل : « لَا نَفْعَ » .

(٣) كَذَا . وَالْعِبَارَةُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ .

(٤) ظَنُّ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّرْكِيبِ فَاسِدٌ ؛ لِانْعِدَامِ الرِّابِطِ فِي الصَّلَةِ ، وَمِنْهُمْ
الْحَرِيرِيُّ فِي دُرَّةِ الْفُجُوصِ ١٠٠ . وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الْخَفَاجِيُّ فِي الشَّرْحِ ٢٠٩ بِأَنَّهُ
حُذِفَ الرِّابِطُ فِي مِثْلِ هَذَا جَائِزٌ ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ النُّحُو . فَالتَّحْقِيرُ هُنَا :
الَّذِي كَانَ هَذَا مِنْهُ . . . الخ .

(٥) يَصِحُّ أَنْ تَقْرَأَ : « آكَل » قِرَاءَةَ الْفَعْلِ ، فَتَكُونُ فِعْلًا مَرْفُوعًا . وَتَجُوزُ أَيْضًا
أَنْ تَقْرَأَ « آكَل » قِرَاءَةَ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمَنْصُوبِ ، مَعَ حُذْفِ التَّنْوِينِ كَمَا جَاءَ
حُذْفُهُ فِي قَوْلِهِ :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَائِلًا

يَنْصَبُ لَفْظَ الْجَلَالَةِ ، وَحُذِفَ التَّنْوِينُ مِمَّا قَبْلَهُ . انْظُرْ ابْنَ السَّيِّدِ فِي

الْاِتْتِصَابِ ٣٥٥ .

(٦) الْجَمَاعُ ، بِالْكَسْرِ ، يَعْنِي الْجَمْعُ .

(أثر أكل سام أبرص ونحوه)

وسام أبرص ربما قتل أكله^(١) ، وليس يؤكل إلا من الجوع الشديد .
وربما قتل السننير وبنات عرس ، والشاهمرك ، وجميع اللقاطات^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ تَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ^(٤)
وهو شيء يعرض عن أكل دسم الضأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه^(٥)
النعاس . وقد يفعل ذلك الحبث^(٦) ، والحشخاش .
[والحشخاش] يسمى بالفارسية « أنار كَبُو » ، وتأويله رمان الخس .
وإنما اشتق له ذلك إذ كان يورث النعاس ، كما يورثه الخس .

- (١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن ثقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طيبة الحلى ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالياء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ البيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع البطن . والطل ، بالنضم : الاعتاق ، جمع طلية بالنضم . وإنما مالت طلاه لما غلب عليهم من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

- (٦) الحبث ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومته (چلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السمائي)

وأكل الطعام الذي فيه سمائي يؤزث الدوار . وزعموا أن صبيًا من الأعراب فيها مضى من الدهر ، ضاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سمائي ، فأكلها فغثت نفسه ، فقال :

• نفسي تَمَقَّسُ مِنْ سُمَائِي الْأَقْبَرِ^(٢) •

(استطراد لغوى)

ويقال : غثت نفسه غثيانًا وغثيًا^(٣) ، وَلَقِستُ تَلَقَّسْتُ لَقَسًا ، وَتَمَقَّستُ^(٤) تَتَمَقَّسُ تَمَقَّسًا : إذا غثيت^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيتُ ناسًا حَوْلَ نَارٍ فسألْتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُّونها ويأكلونها ، إِذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجَها من الجمر ، فرأيتُه إِذا

= والثاني (كبو) . ومعناه الخس . وفي لغات : (كبيو ، كبيو ، كبيو ، كبيو) .
وهذه الكلمة بحركة في الأصل . فهي في ط ، هـ : «أباركو» وفي س :
«أياركو» . واعتدت في تصحيحها على معجني بالمرويتشاردن .

(١) الهامة : ضرب من اليوم .
(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .
(٣) س : « غثت نفسه غثيانًا وغثيًا » بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .
(٤) في الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .
(٥) س : « غثيت » محرف .

امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ يَمْدُهَا كَمَا يُمَدُّ عَصَبٌ لَمْ يَنْضَجْ . فَمَا صَرَفْتُ بَصْرِي عَنْهُ حَتَّى لَبِطَ
بِهِ ^(١) ، فَمَا لَيْثَ أَنْ مَاتَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَقِيلَ لِي : عَجَّلْ عَلَيْهَا قَبْلَ ١٠١
أَنْ تَنْضَجَ وَتَعْمَلَ النَّارَ فِي مَتْنِهَا .

(أَكَلَ الْحَوَائِينَ لِلْحَيَاتِ)

وَقَدْ كَانَ فِي بَغْدَادَ فِي الْبَصْرَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَوَائِينَ ، يَا كُلَّ أَحَدُهُمْ أَيْ
حَيَّةٌ أَشْرَتْ إِلَيْهَا فِي جُوتَتِهِ ، غَيْرَ مَشْوِيَّةٍ . وَرَبَّمَا أَخَذَ الْمَرَارَةَ ^(٢) وَسَطَ
رَاحَتِهِ ، فَلَطَعَهَا بِلِسَانِهِ ، وَيَأْكُلُ عِشْرِينَ عَقْرِيَانَةً ^(٣) نِيَّةً ^(٤) بِدَرَاهِمٍ . وَأَمَّا
الْمَشْوِيُّ فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عُرْسٌ ^(٥) .

(شَعَرَ فِي الْحَيَاتِ)

وَقَالَ كَثِيرٌ :

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي فَتُخْرِجُ مِنْ مَكَانِهَا ضِيبَانِي ^(٦)
وَتَرْقِيَنِي لَكَ الْحَاوُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الْحِجَابِ ^(٧)

(١) لبط به : صرع . وفي الأصل : « لبط به » ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أي مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة » هـ : « النواه » محرفة .

(٣) كذا في الأصل . ولعلها : « عقربا » .

(٤) التي بالكسر والهمز : اللحم الذي لم ينضج . وفي اللسان : « وقد يترك الهمز

ويقلب ياء ، فيقال : في ، مشددا » . فإهو هنا صواب . وانظر (٥ : ٢٥٦) .

(٥) العرس : بالضم وبشمتين : طعام الوليمة .

(٦) س : « وتخرج » . وفي الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

في ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجي ، حين [كان]

صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثمير :

حَسِبْتُ ثَمِيرًا يَا ابْنَ ثُرَوَانَ كَالْأُلَى لَقَيْتَهُم بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)
كَمَا ظَنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي

جَمِيعِ الْكُؤَى ، جَهْلًا ، فِرَاحًا وَأَطِيرًا^(٤)

فَأَذْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)
أَرَادَ قَوْلَ رُؤْيَةٍ :

كُنْتُ كَمَنْ أَذْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا فِي الْأَسْوَدَا

لَوْ مَسَّ حَرْفِي حَجَرٍ تَقْصِدًا^(٦) . بِالشَّمِّ لَا بِالسِّمِّ مِنْهُ قَصْدًا^(٧)

فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وَهَذَا لَا يَقُولُهُ مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارًا^(٨)

سُمُّ الْحَيَاتِ .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو صبنان » ، محرف .

(٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكؤى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهي الخرق في الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصده : أى كسره فتكسر . وفي الأصل : « تقصده » ، وتقصد بمعنى سال لا وجه له هنا .

(٧) كذا في ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفي س : « أقصدا » ، من أقصده الحية : بمعنى قتله مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى في الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعر ٥٧٩ .

وقال عنتره :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعًا نَزَائِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا ^(١)
عَوَالِي شَمْرِ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ هَرِيرِ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا ^(٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَر » .
شبهه الخيطين على ظهره بخوص المقل ^(٣) وأنشدت لأبي ذؤيب :
عَفَتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَا يَأْ أُبَيْتُهُ وَأَقْطَاعِ طُفْيٍ قَدَعَتْ فِي الْمَاعِلِ ^(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بحوافرها . نزائلكم ، أى لا نزائلكم .
فحذف الثاني . وهو جائز مع القسم . وفي الكتاب : « تالله تفتق تذكرو يوسف »
أى لا تفتقاً . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأى لديك وأوصالى
وانظر طهه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرت : أى نبهته .
انظر أساس البلاغة . وللعوالى ، رموس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبهونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئاً نبهه ، حتى
إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى في الديوان والكمال ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقاء »
فتكون زرقاء صفة للعوالى ، أى أسنة زرقاء . والسنان الأزرق هو الشديد السقاء ،
فسكانه امرأة ينطبع فيها لون السماء . واليهتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك للسنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخيلاء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
بمعنى المقطوع . والماعل : جمع معقل ، كجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل -

وَالطُّفَى^(١) : خَوْصُ الْمُقْل .

وَهُمْ يَصِفُونَ بَطْنَ الْمِرْأَةِ الْهِيَاءَ الْخَمِيصَةَ الْبَطْنَ ، بَطْنُ الْحَيَّةِ . وَهِيَ^(٢)

الْأَيْم . وَقَالَ الْعَجَّاج :

• وَيَبْطَنَ أَيْمٌ وَقَوَامًا عُسْجَجًا^(٣) •

(مناقضة شعرية)

وَقَالَ أَدْهَمُ بْنُ أَبِي الزَّعْرَاءِ^(٤) ، وَشَبَّهَ نَفْسَهُ بِحَيَّةٍ :

١٠٢ وَمَا أَسْوَدُ بِالْبَاسِ تَرْتَاخُ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْحِسِّ

بِهِ نَقْطُ حَمْرٍ وَسَوْدٌ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحًا بِالْكُحَيْلِ وَالْوَرَسِ^(٥)

= أَيْ تَشَدُّ ، وَفِي الْأَصْلِ : « الْمَالِف » وَهُوَ غَطٌّ ؛ إِذْ أَنَّ الْبَيْتَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَامِيَّةٍ ، مِثْلُهَا :

لَمِنْ طَلَلٍ بِالْمَتْنَضَى غَيْرِ حَائِلٍ عَفَا بَعْدَ عَهْدٍ مِنْ قَطَارٍ وَوَابِلٍ

انْظُرِ الْإِسَانَ (طَى) وَمَعْجَمُ الْبَلَدَانِ (الْمَتْنَضَى) . وَيُرْوَى أَيْضًا : « فِ الْمَنَاقِلِ » ، وَ : « فِ الْمَنَازِلِ » كَمَا فِي الْإِسَانِ .

(١) جَمْعُ طَفِيَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَتَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى طَى بِضَمِّ فَتْحٍ . قَالَ (انْظُرِ الْإِسَانَ) : وَهُمْ يَذْلُونَهَا مِنْ بَعْدِ عَزَّتِهَا كَمَا تَذَلُّ الطُّفَى مِنْ رِقِيَةِ الرَّاقِ أَيْ ذَوَاتِ الطُّفَى ، بِمَعْنَى الْحَيَاتِ .

(٢) س : « وَهُوَ » ، وَالْحَيَّةُ تَذْكُرُ وَتُؤَنَّثُ .

(٣) قَوَامٌ عُسْجَجٌ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَاللَّامِ ، أَيْ نَاعِمٌ يَنْثَنِي وَيَمِيلُ .

(٤) أَدْهَمُ بْنُ أَبِي الزَّعْرَاءِ الطَّائِي ، شَاعِرٌ بَحْسَنٌ ، لَهُ أَشْدَارٌ جَيَادٌ فِي أَوْصَافِ الْحَيَاتِ ،

كَأَنَّ ذِكْرَ ذَلِكَ الْآيِدَى فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ٣١ . وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْحَمَاسَةِ . وَهُوَ كَذَلِكَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ لَهُ شَعْرٌ فِي وَقْعَةِ الْمُنْتَهَبِ ، الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آخِرَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ . انْظُرْ شَرْحَ التَّبْرِيزِيِّ (٢ : ٨٢) . وَفِي ط : « أَدْهَمُ بْنُ أَبِي الزَّيْعَرِيِّ » وَ س : « أَدْهَمُ بْنُ أَبِي الزَّيْعَرِيِّ » . وَ ه : « ابْنُ أَبِي الزَّيْعَرِيِّ » ، وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مَا أَثْبَتَ .

(٥) الْكُحَيْلُ ، بِهَيْئَةِ التَّصْفِيرِ : الْقَطْرَانُ يَطْلُ بِهَ الْإِبِلُ ، وَهُوَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ . وَالْوَرَسُ ، بِالْفَتْحِ : نَبْتُ يَصْبُغُ بِهِ ، فَيُعْطَى صَفْرَةً إِلَى حُمْرَةٍ .

أَصْمُ قَطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبِيلُ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلَطَ الدَّمَسِ ^(١)
 له منزلٌ ، أنفُ ابنِ قِترَةَ يَغْتَذِي به السَّمُ ، لم يظهر نهاراً إلى الشَّمْسِ ^(٢)
 يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَرْلُ الْعُقَابُ عَنْ نَفَائِقِهَا الْمَلَسِ ^(٣)
 بِأَجْرًا مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا ^(٤) إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْ لَيْسَتْ لَهَا لَيْدِي ^(٥)
 فَأُجَابَهُ عَذْرَةُ الطَّائِي ^(٦) ، فَقَالَ :

عَسَاكَ تَمْنَى مِنْ أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمِ يُسْنِقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطَفٍ ^(٧)

(١) قطاري ، بالضم : يقطر منه من كثرت ، أو ضخم . مختلط الدمس : أي عند اختلاط
 الظلام . وروى هذا البيت في اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تأبط شرا برواية :

« بعيد غروب الشمس مختلف الرمس »

(٢) ابن قترَةَ ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوي ثم تنفخ
 ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قترَةَ » س : « ابن قترَةَ »
 صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود
 فتغتذى بأنفها السَّم . و : « به » بمعنى منه ، وفي الكتاب : « عيناً يشرب بها »
 عباد الله ، أي يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أي الظهر . والشواقي : الجبال العالية . والنفائف
 جمع نففت ، بفتح النون ، وهو صقع الجبل الذي كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أي إقداً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم
 وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة
 ونحوها . ط ، هـ : « لبس » صوابه في س .

(٦) هو عترة بن عكبرة الطائي ، وعكبرة أم أمه ، وهو عترة بن الأخرس بن ثعلبة .
 وساق نسبة الأمدى في المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت
 الآتي أبيات خمسة في الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفي الأصل : « عترة الصابي »
 وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزي للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر ذلك ، منى الله له الشيء : قدره . ولم أرَ تضعيف هذه النون
 إلا في هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات قراغب (٢ : ٣٠٥) .
 « لملك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السَّم ، أي يقطر . وروى :
 « أنطف » على وزن أنفل ، قال التبريزي (٤ : ١٥١) . « وأنفل يوضع موضع
 فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابي نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنتره :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مسهر وقد علقت رجلاك في ناب أسودا
أصم جبال^(١) إذا عض عضّة تزايل عنه جلده فنبدا^(٢)
يسلّع صفّا لم يبد للشمس قبلها إذا ما رآه صاحب اليمّ أرعدا^(٣)
له ربة في عنقه من قيصه وسائره عن متنيه قد تقددا^(٤)
رقود ضحيات ، كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرعدا^(٥)
يفيت النفوس قبل أن يقع الرقي وإن أ برق الحاووي عليه وأرعدا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « أينة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى »
بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزايل أعل جلده فتريدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلع) : « ركب »
بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابه الرعدة .

(٤) الربة ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمئن : الظاهر .

(٥) يقول : هو ينتم في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام .
والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس »
بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه
كالمكحال في دقته ، وفي سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛
لكثرة ما يستعمل .

ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا
البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية
في ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجأة . و « يقع الرق » كذا في الأصل . ولعلها : -

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ ^(١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَخْشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ سَرَّحْتَ بِالْتَّدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرُّفَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِرُوا ^(٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَكْزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٥)

= « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .
(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يبنى أنها تنبع العشب من أن ينبت ،
ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهى القبرة . شابكة : مشتبكة . س ، هـ : « شائكة »
وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويدرس للحية الدقة عند السكبر
فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه فى
ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها التدى لملاسها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من
جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقى .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فانا نالوا » ، صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه
كمقد ذنب الضف ، وهو أطول من الضف وأقصر من التماسح : Varanus
والبادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان
(قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه
ما أثبت . والتكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فَمَا فِيهِ مِنَ الْأَعَاجِيبِ أَنَّهُ يَغْتَلِي الصَّخْرَ ، وَيَتَلَعُ الْحِجَارَةَ ، وَيَعِيدُ إِلَى ١٠٣ المَرْوِ ، [والمَرْوُ] من الحجارة التي توصف بالملاسة ؛ ويتلَعُ الحصى ، والحصى أصْلَبُ من الصَّخْرِ ، ثُمَّ يُمِيعُهُ وَيُذْيِبُهُ فِي قَانَصَتِهِ ^(١) ، حَتَّى يَجْعَلَهُ كَالْمَاءِ الْجَارِي . وَيَقْصِدُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَائِقٌ بِاسْتِمْرَائِهِ وَهَضْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ غَذَاءٌ وَقِوَامٌ . وَفِي ذَلِكَ أَعْجُوبَتَانِ : إِحْدَاهُمَا التَّغْذَى بِمَا لَا يُتَغَذَّى ^(٢) بِهِ . وَالْأُخْرَى : اسْتِمْرَاؤُهُ وَهَضْمُهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَوْ أُلْقِيَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ طَبَخَ أَبَدًا مَا انْحَلَّ وَلَا لَانَ . وَالْحِجَارَةُ هُوَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي الشَّدَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

• حَتَّى يَلِينُ لِضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ •

وَقَالَ آخِرُ ^(٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ أُلْفَتِي حَجَرٌ تَنْبُو الْخَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ ^(٤)
وَوَصَفَ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ ^(٥) بِالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ ، فَقَالَ : ﴿ فَبَيَّ كَالْحِجَارَةِ •
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ ، وَقَالَ فِي التَّشْدِيدِ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ^(٦) ﴾

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ قَانَصَتِهِ » .

(٢) يَدُلُّ فِي س : « بِمَا لَا يَغْدُو » .

(٣) هُوَ تَعْيِمْ بْنُ أَبِي مَقْبِلٍ ، كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ٢٧٣ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَعْنَى ٢٢٧ .

(٤) الْحَجَرُ الْمَلْمُومُ : هُوَ الْمُجْتَمِعُ الشَّدِيدُ .

(٥) هُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ . انْظُرِ الْآيَةَ الرَّابِعَةَ وَالسَّبْعِينَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

(٦) وَقَعَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي النُّسخِ الثَّلَاثِ . فَنُط : « النَّار » وَفِي س ، هـ : « نَار » . وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ السَّادِسَةُ مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » . وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْضًا : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .

لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يُلقَى العصاة في نارٍ تاكلُ الحجارة .
ومن الحجارة ما يتخذها الصفارون^(١) علاةً^(٢) دون الحديد ؛ لأنه
أصبرُ على دقِّ عظام المطارق والفطيسات^(٣) :
فجوفُ النعامة يُذيب هذا الجوهر الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسبي مرتعهُ أبو ثلاثين أمسى وهو منقلبٌ^(٤)
شخت الجزيرة مثل البيت سائرهُ من المسوح خدبٌ شوقبٌ خشبٌ^(٥)

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو
الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأتي ماقط ، هـ .
(٢) العلاة : بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهي المطرقة العظيمة . ط : « الفطيسات » س :
« العظيسات » ، صوابها ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسبي بكسر السين بعدها ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمختصص (٨ : ٥٢) وأما القائل (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرذج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطناً فمرف ما يصلح البيض وما يفسده ،
فهو حينئذ ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده
فى الحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته .
منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابها فى س والمختصص والأماى
والديوان : ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المختصص أيضاً .

(٥) شخت الجزيرة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزيرة ، كالعالة أجر
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَأَنَّ رَجُلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا التَّجَبُّ (١)
 أَلِهَاهُ آئٌ وَتَتُومٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَانَحِ الْمَرْوِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ (٢)
 وَقَالَ أَبُو التَّجَمِّ :

وَالْمَرْوُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سِرْطَمٍ مَادَّ عَلَى التَّوَاهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكماء من الشعر . والخدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حذب » صوابه في س ، هـ . والديوان والكمال ٤٤٩ ليسك .

(١) المساك : عود يكون في الخياء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو . صقبان : طويلان . والتجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجله كالسماكين الطويلين الخشنتين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يشر » صوابه في س ، هـ . والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حل صفار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبية ثم تحولت إلى الحمض عقبية أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . المرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فمر قريباً . في الأصل : « والمرء » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . في الأصل : « سرطء » ، وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ، ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتى في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوَاهِ : أى بسبب التواء بلعوم هذا التظلم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ ^(١) تَمْعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ ^(٢)
 . هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوَصَلَاتِهِ .

(إذابة جوف الظلم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظَّلِيمِ إِنَّمَا يُذِيبُ ^(٣) الْحِجَارَةَ بَقَيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
 أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ مَقْدَارٍ لِلْحَرَارَةِ [وَ ^(٤)] نَحْوِ غَرَاثِزٍ أُخْرَى ، وَخَاصِّيَّاتٍ
 أُخْرَى . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالَى ، لَا تَذُوبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وَسَأَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْخَاصِّيَّاتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالْغَرَاثِزِ حَقٌّ . أَلَا
 تَرَى أَنَّ جَوْفَ الْكَلْبِ وَالذِّبِّ يَذِيبَانِ الْعِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى التَّمْرِ ،
 وَنَوَى التَّمْرِ أَرْخَى وَأَلْيَنُ وَأَضْعَفُ مِنَ الْعِظَامِ الْمُصْمَتَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَهْضِمُ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير المرو . ط ، س : « تمر » ه :
 « يمر » صوابها من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
 بما بعده . والعلاء ، بالكسر : عصب العنق . في الأصل : « عليائه » بالياء ،
 والوجه ما أثبت موافقاً لما في المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم
 العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جاده الذى يسلكه . والحية
 يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد في حلق الظلم كحركة الحية حين تضطرب
 في جلدها قبل تمام انسلخه . في الأصل : « عشا » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً في وصوله إلى حوصلة الظلم ، فهو هادٍ بها في
 آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » بحرقة . س : « حاد » .
 والأدق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلاته » : أى هو
 مهتد بحوصلاته ، كأنها علم له . ورواية المخصص والنفصول ٤٦٢ : « لحوصلاته » .

(٤) ط ، ه : « تذيب » ، صوابها في س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .
والبراذين التي يحيل^(٢) أجوافها القت والتبن^(٣) روثاً ، لا تستمرى الشعر .

والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان ، وله شوك كصياصي البقر^(٤) ، والقضبان علكة^(٥) يابسة جرد ، وصلاب متينة ، فتستمر^(٦) وتجعلها نلطا^(٧) ولا تقوى على هضم الشعر المنقع . وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات .

وقد قدر كل شيء لشيء . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغاس في الماء مرةً ومرةً يتلطخ بالطين ، ومرةً يجعله أهله ربيث الدكان^(٨) . ولو دفعوا إليك مسألةً شديدة المئن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد الشكلف ، وإلا ببغض الاعتماد .

والذي سخر جلد الجاموس حتى انفرى وانصدع لطفعة البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكنب ، وصحاف ، وتمرث .

(٢) في الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف في مصر بالبرسم . في الأصل : « أقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردا ضيحية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرنها » .

(٧) النلط ، بالفتح : البروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه ف ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخَّر الحجارة لجوف الظليم ،
والعظم لجوف الكلب - هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلْبَ لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تُلْقَى بِيضها ، فإنَّها فى تلك الحال متى عقدت ذنبها فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأَسْر^(٣) ، ومن قوَّة
الآلة^(٤) ، ومن الصَّدْم^(٥) وقوَّة الغمَز ، لانصدعت لما هو فى الحسَّ أشدَّ
وأقوى . ولكِنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الحلفاء ، مع دقَّتِه ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبتَ
فى عمق الأرض ، وتلقَّاه الآجُرُّ والخزفُ الغليظ ، ثَقَبَ ذلك ، عند نباته
وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقْرٌ نَضِير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأَرْدُنَّ ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرَّقَ
جوف القار^(٧) .

وزعم لى أبو عَتَّاب الجَرَّار^(٨) ، أنه سمع الأَكْرَةَ يُخْبِرُونَ أنهم وجدوه
قد خرَّقَ فَلَسًا^(٩) بَصْرِيًّا .

(١) ط : « وسخَّر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الآلة » .

(٥) ط ، هـ : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزنت . ط : « القار » س : « عار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدَّث عنه المحقق الكبير الأب

انستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قلع

فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحلّة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقة الطباع .

وزعمون أن الصّاعقة تسقط في حانوت الصّيقل^(١) فتذيب السيوف بطبعها^(٢) ، وتدع الأغمد على شبيه بحالها . وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم ، ولا يصيب الرجل أكثر من الموت .

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصّواعق^(٣) ، لا يدعون في صحن^(٤) دورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصّفر إلا رفعوه ، لأنها عندهم تنقص من أصل مخارجها ، على مقدار من مخاذاة الأرض ، ومقابلة المسكان ، فإذا كان^(٥) الصّفر لها ضاحياً ، عدلت إليه عن سنّها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النوى^(٧) في ثراب المتوضأ ، فإذا صهرج نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصّاروج أمسك . وإن كان الصّاروج رقيقاً فإن قيّر ، وجعل غلظه بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النوى حتى يخرق ذلك القار .

(١) الصّيقل : شحاذ السيوف وجلادها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصّواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كانت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنّها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضی ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصّاروج ، وهو النورة أو أحلاطها .

(٩) أي جعل فوته القار . ط : « وإن كان الصّارج » ، صوابه في س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خَرَفَهُ بِسِمَارٍ أَوْ سِكَةٍ ^(١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساس النَّاس ،
هو الذى سَخَّرَ القُمَّم ، والطَّيِّجَن ، والمرَجَل ، والطَّسْت ، لإبرة العقرب .
فما أَحْصَى عِدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنَ ^(٢) الحَوَّاثِينَ ، من أهل التَّجَارِب ، أنها رَجَمَا
خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فِي اللَّيْلِ لَطَلَبَ الطَّعْم ^(٣) ، ولها نشاط وعَرَام ^(٤) ،
فتضرب كلَّ مَالَقِيَةٍ وَلَقِيهَا : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح - واستشهد المثنى بن بِشَر ، وما كان
يحتاجُ خبرَهُ إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أَنَّهُ سَمِعَ فِي داره نَقْرَةً وَقَعَتْ عَلَى قُمَّمٍ
- وقد كان سَمِعَ بهذا الحديث - فنهض ^(٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلما ^(٦) حتى قتلاها ، ثُمَّ دَعَا بِمَا فِي فَصْبَاهِ فِي القُمَّمِ
فِي عَشِيَّتَيْهِمَا ، وهو صَحِيحٌ لَا يَسِيلُ مِنْهُ شَيْءٌ .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصْرِفْ بَدِيًّا ^(٧) تعجُّبَهُ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حذيدة المخرات ط : «سلة» ، وأثبت ما في
س ، ه .

(٢) في الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلفظ الجاحظ . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدَّة . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ،
فهي في ط ، س : «غرام» و ه : «غرام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه في ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، ه : «بنعلما» وهو وجه جائز ، وأثبت
ما في ط .

(٧) بديا : أى بداء وأولا . وجاء في س : «بدما» .

تقذفه بنقبتها^(١) العقربُ في بدن الإنسان والحمير والبغال ، فليفكر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرّارة^(٤) بعد أن ألسعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلم قصّرت النارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصّرت الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجبَ الآن أنّ السمّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلّ ما ذكرنا على أن جوفَ النعامة ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنه لا بدّ على كلّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصيّاتٍ أُخرى ، ليست^(٦) بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلّا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « يديها » س : « يديها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وقط ، هـ : « يفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، يضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجارات : « وهي تسكون بمسكر مكرم . ووجد يسابور » . وقال الهميري عند ذكر الجارات : « وهي عقارب صفار صفر على مقدار ورق الأنجاذن . وتسكون بمسكر مكرم » .

(٤) الجارة : واحدة الجارات . وهي ضرب من العقارب صفار يجرد أذنابها وق الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعها : أى مكتوها من لع حيوان . ط ، هـ : « ألقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف :
الحد . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وتزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب
خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون
غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس
يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت
حسهما إنما يميت لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢)
لأنه غريب . ولو كان هذا جازاً لقل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان
إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمدا لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ١٠٦
من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دَعَوَى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت
للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء
تلك الكتب على وجوه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة
بعد أمة ، وعمر بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب
الظلم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاؤه بالجر حتى ينفذ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل
في إطفائه ، ولا يكون الجر هو العامل في إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام - وكنا لارتاب
بحديثه إذا حكى عن سماع أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله ، يلقى
الحجر في النار ، فإذا عاد كالجر قذف به قدامه ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع
الجر . وكنت قلت له : إن الجر سخيّف سريع الانطفاء إذا لقي
الرطوبات ، ومتى أطبق عليه شيء يحول بينه وبين النسيم خمد ، والحجر
أشدّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقل ثِقَلًا ، وألزق لزوقاً
وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميت الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع
الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلث اشتدّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت
أواق الحديد ، ما كان منها ربع رطل ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ،
فقلت : هذا أعجب من الأول والثانى ، وقد بقيت علينا واحدة ، وهو أن
ننظر : أيستمرى^(١) الحديد كما يستمرى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعض السفهاء

(١) يستمرى : يستنخ . وأصلها الهز .

وأصحاب الحرق^(١) أن تتعرف ذلك على الأيَّام . وكنت عَزَمْتُ على ذنبه وتفتيش جوفه وقانصته ، فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعض ندمائه إلى سكين فأحسّى ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز أعلى حلقه حتى طلع طرف السكين من موضع مذبَّحِه ، ثم خرَّ ميتاً .
فَمَنَعْنَا بَحْرَقَه من استقصاء ما أردنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفي النعامة أمهالاً طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المنسم [والوظيف^(٢)]
والخرمة^(٣) ، والشقّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرئش والجناحين
والذنب والمنقار ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطائر أخرجهَا ونقلها
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الولد^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغ »^(٦) ، كما سَمَّاهُم قالوا : هوطائر وبعير . ١٠٧

(١) الحرق ، بالضم : الحرق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف غرمت ثلاث ،
ثنتان خارجتان عن العين واليسار ، والثالثة الوترة التي بين المنخرين . ط :
« الخزامة » ، وهي بالكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ،
هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر المقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وببوض . والمباراة محرفة
في الأصل . فقي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، هـ : « حلقها » ، وفي س : « حذفها »
وهو تحريف جد مضلل ، وقد هداني إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكس : جمع والد بمعنى والدة . وفي اللسان : « وشاة والدة
وولود : بيعة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تلج العروس . ط ، هـ :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهززة والياء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهززة ونقل =

(شعر في شبه الزمامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا تَصِيرُ إِلَى الْخَيْثِ مِنَ الْمَصِيرِ^(١)
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بِعَيْرٍ تَعَاظِمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي^(٢)
فَإِنْ قِيلَ أَحْمِلِي قَالَتْ فَلَيْتِي مِنْ الطَّيْرِ الْمُرِيَّةِ بِالْوُكُورِ^(٣)
ثُمَّ هَجَا خَالِدًا^(٤) فَقَالَ :

وَكُنْتُ لَدَى الْمَغِيرَةِ عَيْرٌ سَوِيٌّ تَصُولُ ، مِنَ الْخَافَةِ ، لِلزُّبَيْرِ^(٥)

= الفصمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالقم : معناه الطائر .

(١) جملة من يلزم الفرائش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث علي
« من يعذرف من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » .
وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يفسح خور الحشايا عن يمينه
وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هي في الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان
(٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاضفها : أى ادعازها العظمة والفرق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك
في الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب
(٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاضينا » كما هي عند الديمري . زروى في اللسان
(مادة نعم) : « تعاضمه » ، أى تعاضم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ في البيان (١ : ١١٢) بيتين
ليحيى بن نوفل في هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بَلِ السَّرَاوِيلِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهْلٍ وَاسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْحَرْبِ
وَأَلْحَنَ النَّاسُ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْحَطَبِ

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرة ، وهو متنبئ خرج
في إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلهية علي ، وتكفير أبي بكر ،
وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي . وظفر به خالد بن عبد الله آخر
الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه في سنة ١١٩ من الهجرة . والبعير : الخمار الوحشى =

لأعلاج ثمانية وعِشْرَ كَبِيرِ السَّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ ^(١)
 هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ، ثُمَّ بُلَّتْ عَلَى السَّرِيرِ ^(٢)
 وإنما قيل ذلك في النِّعامة ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلَ لِلرَّجُلِ
 إِذَا كَانَ يَمُنُّ يَعْتَلُّ فِي [كُلِّ شَيْءٍ] يَكْلِفُونَهُ بَعْلَةً ، وَإِنْ اخْتَلَفَ ذَلِكَ
 التَّكْلِيفُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « إِنَّمَا أَنْتَ نِعَامَةٌ » ، إِذَا قِيلَ لَهَا احْمِلِي قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
 وَإِذَا قِيلَ لَهَا طِيرِي قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ .

(قصة أذنى النعمامة)

وَتَزَعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ ، فَرَجَعَتْ مَقْطُوعَةً
 الْأُذْنَيْنِ ؛ فَلِذَلِكَ يَسْمُونَهُ « الظِّلْمِ » ^(٣) ، وَيَصِفُونَهُ بِذَلِكَ .
 وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الْعِيَالِ ^(٤) هَذَا ذَلِكَ ، فَقَالَ :

= جعله عند ملاقاته للغيرة كالعير ، إِذَا سَمِعَ زَيْتِرَ الْأَسَدِ دَفَعَتْهُ شِدَّةُ الْجَبَنِ وَالذَّعْرِ إِلَى
 أَنْ يَهَاجِمَ هُوَ الْأَسَدُ ، مِمَّا ضَاعَ مِنْ صَوَابِهِ وَطَارَ مِنْ رَشْدِهِ ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ
 طِبَاعِ الْعَيْرِ . وَالْبَيْتُ مَحْرُوفٌ فِي الْأَصْلِ وَفِي الْبَيَانِ أَيْضاً . فَهُوَ فِي الْأَصْلِ :
 « عَبْدُ سَوْءٍ تَصُولُ مِنَ الْخَافَةِ لِلزَّيْمِرِ » ، وَفِي الْبَيَانِ : « تَبُولُ مِنَ الْخَافَةِ لِلزَّيْتِرِ » .
 وَصَوَاهِمَا مَا أُثْبِتَ .

- (١) يُشِيرُ إِلَى الْغِيْرَةِ وَكِبَارِ أَتْبَاعِهِ . وَالْمَرْزُبَانِيُّ حَدِيثٌ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَوْشِحِ ٢٣٥ .
- (٢) انْظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا الْبَيْتِ مَا سَبَقَ فِي (٢ : ٢٦٧ م ١٠) وَالْحَوَاشِي .
- (٣) الظِّلْمِ ، أَيْ الْمَظْلُوم ، كَقَتِيلٍ وَجَرِيحٍ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَتْ فِي ٣٩٨ - ٣٩٩ . وَجَاءَ
 فِي هَذَا قَوْلُ بِشَارٍ : كَمَا فِي مُحَاضِرَاتِ الرَّائِغِ (٢ : ٢٩٨) :
 وَكَتَبْتُ كَالْحَيِّقِ غَدَا يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأُذْنَيْنِ
 وَانْظُرْ مَعَ هَذَا التَّنْذِيلَ فِي آخِرِ الْجُزْءِ .

(٤) أَبُو الْعِيَالِ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ هَذِيلَ ، مُخَضَّرٌ ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ،
 وَأَسْلَمَ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْ هَذِيلَ ، وَعَصَرَ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٦٧) .
 الْجَمْعِيُّ : « كَانَ رَجُلَانِ مِنْ هَذِيلَ يَسْكُنَانِ مِصْرَ - أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ بَدْرُ بْنُ عَامِرٍ
 وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْعِيَالِ بْنُ أَبِي عَثِيرٍ . فَبَيْنَمَا ابْنُ أَخٍ لِأَبِي الْعِيَالِ قَائِمٌ عِنْدَ قَوْمٍ =

وإِخَال^(١) أَنْ أَخَاكَ وَعِتَابُهُ^(٢) إِذْ جَاءَكَ بِتَعَطُّفٍ وَسُكُونٍ^(٣)
يُمَسِّسِي إِذَا يُمَسِّسِي بِيْطْنٍ جَانِعٍ صَفْرِ وَوَجْهِ سَاهِمٍ مَذْهُونٍ^(٤)
فَعْدَا يَمْتُ^(٥) وَلَا يَرَى فِي بَطْنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مُوزُونٍ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أُذَيْنٍ^(٧)
فَاجْتَنَّتِ الْأُذْنَانِ مِنْهَا فَانْتَنَّتْ صَلَمَاءُ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ^(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم للذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه . وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه بما قيل لأبي العيال وقرئ به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوزا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتي هو المجاباة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذئبك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، ه وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكننا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمشي إذا يمشي » صوابه في س ، ه والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخاك الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخضب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

(٥) يمت : يرى على سحتته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمت » .

(٦) مِثْقَال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .

(٧) يغير أذنين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتنت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهبَ الغرابُ يتعلَّمُ مِشْيَةَ العُصفورِ ^(١) ، فلم يتعلَّمْها ، ونسِ مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يحجُلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ العُصفورِ ^(٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوثُ والجُرادةُ ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تمشي مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقْرِ والبازي ، ولكن تمشي مِشْيَةَ المقيِّدِ أو المَحْجَلِ ^(٣) [خِلْقَةٌ ^(٤)] .

قال أبو عمران الأعمى ^(٥) ، في تحوُّل قضاة إلى قحطان ^(٦)

(١) الشعر الذي رواه الدميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشيا فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشيا فلذلك سموه أبا المرقاب

(٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسير والأعراف : نقر العصفور ينتقر نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « المحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهي في أصلها : « خلقتة » .

(٥) كذا في ط ، هـ ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد

كما في كتاب العقبة والبردة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في العين .

انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة

ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من العين ، فلما توفي

والد قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فبنها حينئذ

وتكنى به ، فنسب إليه ، أي إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته

فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .

وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ زَارٍ ^(١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ فْفَارَقُوا إِلَّا خَلِيطَ فَلَا عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كَتَارَكَ يَوْمًا مَشِيَّةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى فْفَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَنْجِلُ ^(٢)
(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنها مع عظم عظامها ، وشدة عدوها ، لا مَخُ فيها .
وفى ذلك يقول الأَعْلَمُ الْهَذَلِيُّ :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ ^(٣) زَنْخَرِيٍّ إِلَّا سَوَاعِدِ ^(٤) ظَلَّ فِي شَرِي طُيُوَالِ ^(٥)
يعنى ظليماً شَبَّهَ [بِهِ ^(٦)] عَدُوَّ فَرَسِهِ . وَالْحَتُّ ^(٧) : السَّيْرُ . وَالشَّرِي :

= النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكيت يعاتب قضاة في انتسابهم إلى التين :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل : السبي يعمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم زار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن زار » وليس
شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .
(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضامتين بالطرف ، وهو
جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى »
أى لمشية أخرى . وانظر العقدة والبرة لأبي عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حَت ، بجاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حَت » بالثناة ، وهو
وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حَت ، زَنْخَر ، بَرِي) وحماة البحري
٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزَنْخَرِي : سيفسه الجاحظ . س : « زَنْخَرِي » ، صوابه بالزى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جني
« يريد أنهم إذا كن طوالاً سترته فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ،
وطابت نفسه ، فخفض عدوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحَت » س : « الحب » ، صوابها بالثناة . انظر التنبيه الثالث .

الحنظل . وبرأيه : قوته على ما يبريه من السير ^(١) . والسَّوَاد : مجارى مخَّه
فى العظم وكذلك مجارى عروق الصَّرْع ، يقال لها السَّوَاد .

قال : ونظنَّ أنَّما قيل لها ذلك لأنَّ بعضها يُسَعِدُ ^(٢) بعضاً ؛ كأنه من
«التَّعَاوَنُ أَوْ مِنَ الْمَوَاسَاةِ» ^(٣) .

قال : والزَّمْخَرَى : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظم الظِّلِم لا مخَّ
له . وقال أبو النجم :

• هَاوٍ يَظْلُ الْمَخَّ فِي هَوَائِهِ ^(٤) •

وواحد السَّوَاد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخَّ إلاَّ فى الجَوْفَةِ ^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفى بعض عظامه مخَّ يسير . وكذلك المخَّ قليلٌ فى عظام الخنازير ،
وليس فى بعضها منه شىء البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

وَمِنْ أَعَاجِبِهَا أَنَّهَا مَعَ عِظَمِ بَيضِهَا تَكْثُرُ عَدَدَ الْبَيْضِ ، ثُمَّ تَضَعُ
بَيضَهَا طَوَّالاً حَتَّى لَوْ مَدَدْتَ عَلَيْهَا خَيْطاً لَمَا وَجَدْتَ لَهَا مِنْهُ ^(٦) خُرُوجاً عَنْ
الْأُخْرَى ، تُعْطَى كُلُّ بَيْضَةٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطَهُ . ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ رَبَّماً تَرُكُ

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن «حت البراية» بمعنى منحت الريش
لما ينفض عنه عفاه من الربيع . والبراية : النحافة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، ه : «يساعده» ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، ه : «المساواة» ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : • هَاوٍ تَقْضِلُ الطَّيْرُ فِي خَوَاتِهِ •

(٥) أى العظام الجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : «منها» .

بيضا وذهبَتْ تلتَمِسُ الطَّعامَ ، فتَجِدُ بَيْضَ أُخْرَى فتَحْضَنُهُ . وربما حَضَنْتْ
هذه بَيْضَ تِلْكَ ، وربما ضَاعَ البَيْضُ بَيْنَهُمَا .

وَأَمَّا عَدَدُ بَيْضِهَا وَزِنَالِهَا فَقَدْ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

أَذَاكَ أُمُّ خَاضِبٍ بِالسَّيِّئِ مَرْتَعَهُ أَبُو ثَلَاثَيْنِ أُمْسَى وَهُوَ مُنْقَلِبٌ^(١)
وَفِي وَضْعِهَا لَهُ طَوْلًا وَعَرْضًا عَلَى خَطٍّ وَسَطَرٍ ، يَقُولُ^(٢) :

وَمَا بَيِّضَاتُ ذِي لَيْدٍ هَجَفَ سُقَيْنَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٣)
وُضِعْنَ فَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعْ جَنِينَا^(٤)
يَبِيتُ يَحْفَهُنَّ بِعَرَفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَهْهَافًا ثَخِينَا^(٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : «أذاك» . هـ : «بالي» ط : «بالي»
وكل ذلك محرف . س ، هـ : «فهو منقلب» .

(٢) القائل هو عمرو بن أحرر الباهل ، كما سيأتى في ص ٣٤١ والكامل ٢٥
ليسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هـجف) .

(٣) حتى باليد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المنحرف .
ط ، هـ : «نجف» س : «ينجف» ، صوابه من اللسان والمخصص
(٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمن أيضاً : مايسيل من مؤخر
الظلم على البيض إذا حضنه . س : «بداجل» ، صوابه في ط ، هـ والمخصص
واللسان (هـجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى
يضرب عليه التصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون .
ولفظه بكسر الهاء يقال قواحد والجمع . و «لم تقرع» هكذا جاءت في الأصل ،
ورواية البرد : «قد وسقت» ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه
هذا البيت بيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة آدماء يكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرسى وهم أيضاً في شرح
هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما
هو في صفة بيقض التمام .

(٥) لحفه ، من باب منح : غشاها بالحقاف . هههاها ، يعنى به الجناح . ونخينا : أى «

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ في مرَاقِهَا فُتِلَ صِلَابُ مَيَاسِيرٍ مَعَاجِلُ (٢)
يَدَا مَهَاةٍ ، وَرِجْلَا خَاضِبٍ سَتَقِ كَأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرَى مَخْلُولُ (٣)
هَيْقِ هِجَفٍ وَزَفَانِيَةٍ مَرَطَى زَعْرَاءُ ، رِيشُ جَنَاحِهَا هَرَامِيلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفن بمرفقيها وتلحفن حنفها ثخيناً
والوجه ما أثبت ، إذ أن الضائر راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة :
(هفت) : « يبيت يحفن بققفيه » . وفي مادة (قف) : « فتال يحفن بققفيه » .
وقققفا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشياخ ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مظهلاً :

بانت سعاد فدمع العين ملول وكان من قصر من عهدا طول

(٢) تهوى بها : أي تصرع . والضهير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات :
المشودات ، يعني أن أذرعها مشودة بمراقها . وفتل : جمع أفتل وفلاء ، بمعنى
منديجة شديدة . ط ، هـ : « ملزمات » ، س : « مكربات » ، وهما تحريف
ما أثبت .

(٣) المهابة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسق : الذي أصابه
السق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب
طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل
يحمل في لسانه عود لينعه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، « ما »
شبع ، كالفصيل المخلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل
تحريفاً كبيراً ، في الأصل : « أشق » موضع « ستق » ، والأولى لا وجود
لهما في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » هـ : « من حناه »
صوابه في ط والديوان . س : « مخلول » صوابه في ط ، هـ والديوان .

(٤) الحق : الطويل . والمهيف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل)
والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والحزف : السريع . والزفانية ، بالكسر
كما في القاموس (زفت) - السريعة . ط ، هـ : « زفانية » س : « زفانية » .
مخرتان . وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ،
بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص واللسان .
(هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات .
وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص واللسان .

كَأَنَّمَا مُتَنَفِّى أَفَاعٍ مَا هَصَرَتْ مِنْ الْعَفَاءِ بِلَيْتَيْهَا ثَالِثُ^(١)
 تَرَوْحًا مِنْ سَنَامِ الْعِرْقِ فَالْتَبَطَّا إِلَى الْقَيْنَانِ الَّتِي فِيهَا الْمَدَاخِيلُ^(٢)
 ١٠٩ إِذَا اسْتَهْلَأَ بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فَعِلَتْ بِمَا أَصَابَا مِنَ الْأَرْضِ الْأَفَاعِيلُ^(٣)
 فَصَادَفَا الْبَيْضَ قَدْ أَبَدَتْ مَنَاكِهَا مِنْهَا الرُّثَالُ ، لَهَا مِنْهَا سَرَائِيلُ^(٤)
 فَكَبَّأَ يَنْقُفَانِ الْبَيْضَ عَنْ بَشَرٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْبَيْسَاسِ مَغْسُولُ^(٥)

(١) يقول : كأن رموس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة وزعته ، بثور ظاهرة . والبيت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : « بليديها » ه : « بليديها » هذا الإجمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالعفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت ماقى ط ، ه والديوان . والتبطل : توجها . والقينان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « الفقار » وأثبت ماقى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التى تحت الجرف ، التى تسمى الدحال . وفى الديوان : « المداخيل » بالحاء المهملة .

(٣) أى إذا اشتد فى الجرى بقلعة منه فإنهما يتحدان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . » بما أصاب . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا الببيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لمن كالسرايل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرثال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحد الماه نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذلك الثبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س : « عن » فقط ، وفى ه : « عنها » وتصحيحه وإكالة من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسيساس : ثبت له أوراق متراكمة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان : « كأنه ورق البسيساس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بمنزِلِ العَظِيمِ وأشباهه
من الأجواد ، بالنعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مِيَادَةَ^(١) :

وقلت لها لاتعجلي كذلك تقرى الشوك ما لم تردد^(٢)
إلى جامع^(٣) مثل النعامة يلتقى عوازيه^(٤) فوق
جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيات إذا شئت^(٥) روايدها مثل النعام العواطف^(٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . ومياد : أمه . وهو مخفصر من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « ما لم تردد » . وفى هذا البيت والذي بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة
وجامع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غراديه » ، هـ : « عواربه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر :
الشحم . وشئت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شئت » ، هـ : « العشار إذا شئت »
س : « العشار إذا ثنتت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروايد : من ريد ربودا : أقام . وقد عني بهن القدور المقيمة على النار .
والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت (٣) بأجذال خشب زال عنها هشيمها (٤)

(الذئب والنعامة)

وضحك أبو كلدة (٥) حين أنشد شعر ابن النطاح (٦) ، وهو قوله :

• والذئب يلعب بالنعامة الشارد •

قال : وكيف يلعب بالنعامة والذئب لا يعرض لبيض النعامة وفراخه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضة تلقية إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقو عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قبل هذا في هـ : « ففحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مفرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحش القدر وأحش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحمشت » ، صوابه في س والبخله ١٩٠ وأمال المرتضى (٤ : ٢٩) والحفاصة (٢ : ٢٢٨) ، وأول البيت فيها : « غصوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجزاء : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخله ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والحشيم : المهشم . ط : « هشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

• وَالذَّئِبُ يَلْعَبُ بِالنَّعَامِ الشَّارِدِ •

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعمتين اعتورتا ذئباً فهزمتاه^(١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ،
فنقره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر
فساوره فهزمه .

(جُبْنُ الظِّلْمِ وَنِفَارِهِ)

وَالظَّلِيمُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفَارِ وَالتَّوْحُشِ .

وقال سهم بن حنظلة^(٢) ، في هجائه بني عامر :

إِذَا مَا رَأَيْتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَثِيرًا^(٣)
نِعَامٌ تَجْرُ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا تُوكُهَا أَنْ تَطِيرَ^(٤)

(ضرر النعامة)

وَالنَّعَامَةُ تَتَخَذُهَا النَّاسُ فِي الدُّورِ^(٥) ، وَضَرُّهَا شَدِيدٌ ، لِأَنَّهَا رُبَّمَا
رَأَتْ فِي أُذُنِ الْجَارِيَةِ أَوْ الصَّبِيَّةِ قُرْطًا فِيهِ حَجَرٌ ، أَوْ حَبَّةَ لَوْلُؤٍ ، فَتَحْطَفُهَا

(١) اعتورتاه : تداولته . هـ : « فهزمتاه » .

(٢) في الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاتقان — صوابه حلوان — بن خويلد
ابن حرمان — كذا — الثنوي . قال المرزباني : غاصر شامى مخضرم » . وذكره
صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحق . وفي عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية في عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ في الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذن قد خرقتها ! وربما رأيت ذلك في لبّة^(١) الصبي أو الصبيّة .
فتضر به بمنقارها ، فربما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

ومما يشبه به الفرسُ ممّا في الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :
وخذ أسيلٌ كالسِّنِّ وبركةٌ كجوجو هَيِّق دُفهُ قد تموراً^(٢)
وقال عُبَيْة بن سَابِق^(٣) :

وله بركة كجوجو هَيِّق ولبانٌ مضرّج بالخضاب^(٤)
وقال أبو ذؤاد^(٥) الإيادي :

(١) البية ، بالفتح وتشديد الياء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجوجو : الصدر أيضاً . والميق : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسل أى الريش . وإنما يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرمى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمونمو كبيراً . وقد سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عقبه بن سابق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفي الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرّج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يغضبون نحره . بدم ما يسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛ فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تعريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة أبي ذؤاد تقدست في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المحمدين .

يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَأَنَّ حَمَاتِهِ كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ :

كَالسَّيْلِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلِيَّ تَقْوُلٍ مُلَمَّمٌ ضَرْبُ^(٤)
لَأَمٍّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَتَابِعًا مَا خَانَهُ عَقَبُ^(٥)
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشْتَقَّ له من البَيْضِ اسم

قال العَدَبَسِيُّ^(٦) الْكِنَانِيُّ : بَاضَتِ الْبُهِمَى^(٧) : أَيْ سَقَطَتْ نِصَالُهَا^(٨)

(١) أَشَقَّ : يَمْشِي ظَلِيماً وَاسِعَ مَا بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ . وَالشَّاخِصُ : الْمُرْتَفِعُ . وَقَدْ سَبَقَ الْبَيْتُ
فِي (١ : ٢٧٤) .

(٢) فِي (١ : ٢٧٤) أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

(٣) الْحَمَاةُ : عَضَلَةُ السَّاقِ . وَالْكُرْدُوسُ ، بِالنَّضْمِ : وَاحِدُ الْكِرَادِيسِ ، وَهِيَ رَمُوسُ
الْعُظَامِ . وَفِي الْأَصْلِ : « نَحْلٌ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ، ط ، هـ ،
« عَلَى شَيْءٍ » س : « عَلَى سَقٍ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنَ الْأَوَّلِ .

(٤) السَّيْدُ ، بِالْكَسْرِ : الذَّنْبُ . وَالْمُلَمَّمُ : الْمُجْتَمِعُ الْمَدُورُ . وَالضَّرْبُ : الْخَفِيفُ اللَّحْمِ .

(٥) اللَّامُ : الشَّدِيدُ .

(٦) الْعَدَبَسِيُّ الْكِنَانِيُّ : أَعْرَابِيٌّ فَصِيحٌ ، ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٤٧ لَيْدَنَ ، ٧٠ مَصْرَ .
وَفِي الْقَامُوسِ (مَادَّةُ عَدَبَسٍ) ، أَنَّ الْعَدَبَسِيَّ رَجُلٌ كِنَانِيٌّ . وَفِي الْلسَانِ (مَادَّةُ عَدَبَسٍ أَيْضاً) ،
« وَمِنْهُ سَمِيَ الْعَدَبَسِيُّ الْأَعْرَابِيُّ الْكِنَانِيُّ » . وَفِي الْأَصْلِ : « الْعَدَبَسِيُّ » بِالْيَاءِ ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ
مِنَ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

(٨) الْبُهِمَى ، كَحَبِيلٍ : نَبْتٌ هَيْئَتُهُ كَالشَّعِيرِ ، وَلَكِنَّهُ قَصِيرٌ . وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِالشُّوْفَانِ .
فِي سُورِيَا . وَهُوَ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ : Wild - oat . عَنْ مَعْجَمِ النَّبَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ
دَاوُدُ ، وَالْقَامُوسُ .

(٨) النِّصَالُ : جَمْعُ نَصَلٍ ، وَهُوَ سَنَبِلَةُ الْبُهِمَى .

وباض الصَّيْف ، وباض القَيْظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأسديّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا ^(١) قَتَّى مِنْ عُيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسْلَمًا ^(٢)
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبَيَّاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحِسُّوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا ^(٣)
وقال الرَّاعِي ، يهجو ابنَ الرِّقَاعِ ^(٤) :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجَوْتُكُمْ
يَا ابْنَ الرِّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعُهُ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زِرَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليِّ بنِ أبي طالب رضى الله عنه : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »
ومنه بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ . وبَيْضَةُ الْقَبَةِ : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ ^(٥) .
والْبَيْضُ : قلانس الحديد .

(١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجيناً ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، ه .

(٤) هو علي بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والمعدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للتصاري ، سمى بذلك لدقة في رأسه .

وقال أبو حية النُمَيْرِيُّ^(١) :

وصدَّ الغانياتُ البيضُ عَنِّي وما إنْ كانَ ذلكَ عن تَقَالِي^(٢) ١١١
 رأينَ الشَّيْبَ باضَ على لَدَاقِي^(٣) وأفسَدَ ما عَلَيَّ من الجَمَالِ^(٤) !
 وبيضُ الجُرْحِ والخُراجِ والحَبَنِ^(٥) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّدِيدُ ،
 إذا خَرَجَ برى وصلَحَ .

وقد يُسمُّونَ ما في بطونِ إناثِ السَّمَكِ بَيضاً ، وما في بطونِ الجُرارِ
 بَيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْراً يَشْتَمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما
 فيه حَضْناً^(٥) .

والخِرْشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسلَخَ الحَيَّةُ يقال له
 الخِرْشاءُ .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نعيم بن عامر بن صمصمة ، وهو شاعر من
 مخضرمي الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيها جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكني
 البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
 ليس بينه وبين الخشية فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
 ١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » بحرف .

(٢) التَقَالى : المبالغضة . هـ : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لدَاقى : جمع لدة ، بالكسر . والدة : من يولد مملوك .

(٤) الحَبَنِ ، بالكسر : الدمل . ط : « الحَبِن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
 وصوابه في س ، هـ .

(٥) القَيْضُ ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحَضْنُ ، بالكسر :
 بمعنى ما يحيط بالثيء . وأصله من حضن الجبل ، وهو ما يطيف به .

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللّقاء^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة في الدّعص مكنونة
أو دُرّة سيقَتْ إلى تاجر^(٢)
وقال في بيض الحديد :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاصَّ عَلَيْهِمْ إِذَا شَامَ يَوْمًا لِلصَّرِيخِ الْمُنْدَدِ^(٣)
وقال الأعشى :

أَتَنَنَّا مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَبْضُهَا وَقَدْ رُفِعَتْ نِيرَانُهَا فَاسْتَقَلَّتْ^(٤)

(١) في الأصل : « الذلفاء » ، وهي القصيرة الأنف الصغيرة. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللفاء : الضخمة الفخزين في اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة في الدعص : غبأة في الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كلمية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شئ للصريخ المندد » . والبيت في صفة كثيفة . جعل البيض الذي يحس رموس الرجال شيهاً ببيض النعام ؛ لكثرة . فإن كل نعمة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . والظلم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

ملمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماع وجند مؤيد
فصير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ في رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لحبس غنى أو لصوت مند » ، وفي الأصل : « المندد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) في الأصل : « أتينا » صوابه من أمالي ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) . ورواية الديوان : « أتهم » . س ، هـ وحامة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « يفضنا » صوابها في هـ وأمالي وحامة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَاقُمُ تَحْتَ الْحَدِيدِ خَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقَيَّضَتِ الْبَيْضَةُ ، وَالْإِنَاءُ ، وَالْقَارُورَةُ ، تَقَيُّضًا^(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا. فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وهي^(٤) متلازقة ، فهي مُنْقَاضَةٌ انقباضاً . وقَيْضُ الْبَيْضَةِ : قشرتها اليابسة . وغِرْقُهَا : القشرة الرقيقة التي بين اللَّحْمِ وَبَيْنَ الصَّمِيمِ . قال : والصَّمِيمُ : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية المعز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :
فَنَارُوا وَثَرْنَا وَالْمَنِيَّةَ بَيْنَنَا وَهَاجَتِ عَلَيْنَا هُبُوءُ فَتَجَلَّتْ
نَحَاسِيهِمْ كَأَسَا مِنْ الْمَوْتِ مَرَّةً وَقَدْ رَفَعْتَ رَايَاتِهِمْ فَاسْتَقَلَّتْ
وَمَثَلُهُ لِلْأَعْشَى فِي تَعْظِيمِ شَأْنِ جَيْشِ الْأَعَاجِمِ حِينَئِذٍ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدِمُهُمْ مَطْبِقُ الْأَرْضِ تَغْشَاهَا لَحْمٌ سَدَفٌ
بَطَارِقٌ وَبَنُو مَلِكٍ مَرَاذِبَةٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي أَذَانِهَا النُّظْفُ
مِنْ كُلِّ مَرَجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَحْرَزَهَا تِيَارُهَا وَوَقَاهَا طِينُهَا الصَّدَفُ
وَعَظْمَتُنَا خَلَقْنَا تَجْرَى مَدَامِهَا أَكْبَادُهَا وَجَلَا بِمَا تَرَى تَجِفُ
وَانْظُرْ يَقِيَّةَ الشَّعْرِ فِيهَا . ولوقعة ذي قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعمر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ : « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهرٌ
غير الغرقنة ^(١) .

قال الرَّدَاد : غرقأت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغرَقاة ^(٢) . والخرشاء :
القشرة الغليظة ^(٣) من البيضة ، بعد أن تُثَقَّب فيخرج ما فيها من البلب ؛
وجاعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رَدَاد : خرَّشَاء الحية : سلخها حين تنسلخ ^(٤) .
قال : وتعدى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبَّت على حلقه قلةٌ ،
فتناولها فقصَّعها بإبهامه وسبَّابته ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت ؟ !
فقال : بأبي أتمم وأُمي ، ما بقي إلا خرَّشاؤها !

وقال المرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَا كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ ^(٥)

وقال دُرَيْد بن الصَّمَّة في بيض الحديد ^(٦) :

قال : ويقال في الحافر نزا ^(٧) ينزو . وأما الظلم [فيقال ^(٨)] قعا يقعو ،

١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الفرق » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقأت » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقأت الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشاء الجلدة الغليظة » .
صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من
المفصليات ٢٤٠ والمقصود والمدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ :
« تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتم بعد إلى شعر دريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعاً^(١) وقِيعاً ، وقَعَا يَقْعُو قَعَوًا . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفَّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسَمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامِ .

وقال الراعي :

ورجل كرجل الأخدرى يُشِيلُهَا وَظِيفٌ عَلَى خُفِّ النِّعَامِ أَرْوَحُ^(٢)
وقال جبران العود :

هَما مثل أَظْفَارِ الْعُقَابِ وَمَنْسَمٌ أَزْجٌ كُظُنْبُوبِ النِّعَامِ أَرْوَحُ^(٣)
قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظليم ؛ وهو كالكَرَاضِ من ماء الفحل .
وَأُنْشَدَ لَابْنِ أَحْمَرَ^(٥) :

وما يبيضات ذى لَبْدٍ هِجَفٌ سُقَيْنَ بَرَا جَلٍ حَتَّى رَوِينَا^(٦)
وقال الطَّرِمَّاحُ :

سَوْفَ تُذْنِيكَ مِنْ لَيْسَ سَبْتَدَا ةٌ أَمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكَرَاضِ^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قيا » و س : « قيا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعام . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكئاء » تصحيحه من ديوان جبران العود ص ٦ . والبيت وحيلة : « وقال جبران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز ويغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحمر » ، صوابه فى س . وانظر ما سبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبتاء : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاء » وها لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

وربما استعاروا المناسم : قال الشاعر :

توعدني بالسَّجْن والآدَات (١) إِذَا عَدَّتْ تَأْظَبْتُ أَدَات (٢)

• رَبَطُ بِالْجَلْبِ أ كَثِيرَاتِ •

قال : ويقال لولد النِّعَام : الرَّأْل ، والجمع رِئَال ورِئِلَان ؛ وَحَفَّانٌ .

وَحَفَّانَةٌ لِلوَاحِدَةِ ، والجمع حَفَّان ؛ وَحِسْكَل . ويقالُ : هَذَا خِيَطُ نَعَامٍ

وَنَخِيطَان (٣) . وقال الأسودُ بْنُ يَعْقَرَ (٤) .

وَكَانَ مَرْجَعُهُمْ مَنَاقِفُ حَنْظَلٍ لِعَبِّ الرِّئَالِ بِهَؤُلَاءِ خِيَطُ نَعَامٍ (٥)

ويقال : قَطِيعٌ مِنْ نَعَامٍ ، وَرَعْلَةٌ مِنْ نَعَامٍ .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف يلنيك » ، وأثبت ماق ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في هـ والديوان . والبيت من قصيدة الطرماع ، مغلطها :

قل في شط نهر وان اغتاضى ودعاني هوى العيون المراضى

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفي ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكرر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالكثير . وكان ينادم

النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان ينادي . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بن نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الناء . وقال يونس

سمعت رؤية يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

منوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر »

صوابه في س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مرجعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج

حبه المهي بالهييد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعْلَةُ : القِطْعَةُ مِنَ النَّعَامِ . وَالسَّرْبُ مِنَ الظَّبَاءِ وَالْقَطَا . وَالْإِجْلُ ^(١) مِنَ الظَّلْفِ .

وقال طَفِيلُ الغَنَوِيِّ فِي بَيْضَةِ الْحَيِّ ^(٢) وما أشبه ذلك :

ضَوَائِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الْحَيِّ بَعْدَمَا أَذَاعَتْ بَرِيْعَانِ السَّوَامِ الْمَعْرَبِ ^(٣)

قال : ويقال : للظلم إذا رعى فِي هَذَا النَّبَاتِ سَاعَةً وَفِي هَذَا سَاعَةً :

قَدْ عَقَبَ يُعَقِّبُ تَعْقِيًّا ^(٤) . وَأَنْشَدَنِي لَذِي الرُّمَّةِ :

أَهْلَاهُ آءٌ وَتَنْوَمُ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقَبٌ ^(٥)

قال : ويقال للرجل ، إِذَا كَانَ صَغِيرَ الْأَذْنَيْنِ لاصِقَتَيْنِ بِالرَّأْسِ : أَصْمَعٌ ،

وَامْرَأَةٌ صَمْعَاءُ . وَيَقَالُ : خَرَجَ السَّهْمُ مُتَصَمِّعًا ^(٦) : إِذَا ابْتَلَّتْ قُدْذَهُ ^(٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه فِي ط ، ه .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْحَيُّ » ، صوابه مَأْتِيَتْ . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضَوَائِعُ : تمد أضباعها فِي سِيرهَا ، أَيْ أَعْضَادَهَا . ط ، س : « صَوَائِغُ »

ه : « صَوَانِعُ » صوابهما مِنَ الْدِيَوَانِ ١١ . تَنْوِي : تَقَعَّدُ . ط ، ه :

« تَنَبَّى » س « تَنَبَّى » صوابهما مِنَ الْدِيَوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْحَلُّ » مَوْضِعُ

« الْحَيِّ » تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَفِي شَرْحِ دِيَوَانِ طَفِيلٍ : « وَبَيْضَةُ الْحَيِّ : مَعْلَمُهُمْ »

أَذَاعَتْ : فَرَقَتْ . وَرِيْعَانِ كُلُّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ . وَالسَّوَامُ ، كَسْحَابُ : مَا يَسْرَحُ مِنْ

إِبِلٍ وَيَقْرُ وَغَنَمٍ ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ . وَالْمَعْرَبُ ، بِتَشْدِيدِ الزَّايِ الْمَفْتُوحَةِ : الَّذِي عَرَّبَ

عَنْ أَهْلِهِ لَا يَرْوَحُ عَلَيْهِمْ . ط ، س : « الشَّبَابُ الْمَغْرِبُ » ه : « السَّقَامُ الْمَغْرِبُ » ،

تَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .

(٤) ط : « عَضِبَ يَعْضِبُ تَعْضِيًّا » صوابه فِي س ، ه .

(٥) سبق شرح هَذَا الْبَيْتِ فِي ٣١٢ . ط ، ه : « آءٌ » بِالتَّكْرَارِ . صوابه

فِي س .

(٦) ط : « أَصْعَ » ه : « صَمْعَاءُ » س : « صَمْعَاءُ » صوابه مَأْتِيَتْ مِنَ الْقَامُوسِ

وَاللَّسَانِ . وَيَدُلُّ لَهُ الْإِسْتِشْهَادُ الْآتِي .

(٧) قُدْذُ السَّهْمِ : جَمْعُ قُدَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ رِيْشَةُ السَّهْمِ .

من الدَّم وانضمت . وقال أبو ذؤيب :

• سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَعِّعٌ ^(١) •

ويقال : أُنَانَا بِرِيدَةٍ مُصَمَّعَةٍ ^(٢) : إِذَا دَقَّقَهَا ^(٣) وَحَدَّدَ رَأْسَهَا .

وصومعة الرَّاهِبِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهَا دَقِيقَةُ الرَّأْسِ . وَفُلَانٌ أَصَمَعَ الْقَلْبَ : إِذَا كَانَ

ذَكِيًّا حَدِيدًا [مَاضِيًّا] . وَقَالَ طَرَفَةُ :

لِعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِسُ بَجَّةٍ وَمرَّ قُبَيْلُ الصُّبْحِ ظَنِي مُصَعِّعٌ ^(٤)

أَرَادَ : مَاضِيًّا .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد ^(٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائد رى أُنَانَا بهم فنقل فيها ريشه ثم سقط . وصدده :

• فَرَى فَأَنْقَذَ مِنْ نَحْوِ عَوَاطِسَ •

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (جمع) وديوان الهذليين (١ : ٨) ،
والمفصليات ٤٢٥ حيث تجد التصديده .

(٢) في الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومعة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (جمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد سحت له في الطريق ظيافاً وعقارب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .
والعواطس : جمع عاطس ، وهو ما يستقيك من الظياء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة
(جمع) : « عواطس » كما هنا . والمصعع : بكسر الميم المشددة : الذهاب السريع
كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصعع » بفتح الميم المشددة ، وهو الصفير
الأذنين . وفي الأصل بدل : « ومر » : « ومي » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق في (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بِكَرًا لَا خِطَامَ لَهَا حَسِبْتَ رَهْطُكَ عِنْدِي بَيِّضَةَ الْبَلَدِ^(١)

ويشبهه عظام جماجم الرؤوس ببيض النعام . وقال الأعرج القيني^(٢) :

بَكَيْنَا بِالرَّمَا حِ غَدَاةَ طَرَقَ عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةِ كِرَامِ^(٣)

جماجم غودرت بجمام عرق كَانَ فَرَاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)

وقال مقاتل بن طلب^(٥) :

رَأَيْتُ سَحِيحًا فَقَدَّ اللَّهُ بَيْنَهَا تَنِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأَنَّى أُيُورُهَا^(٦)

وقال السُّحَيْمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :

مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بِبَيْضِ نَعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبَشِّرْهَا فَأَنْتَ أَمِيرُهَا

وقال أبو الشَّيْصِ الْخَزَاعِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الْخُدْر :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطنًا واحدًا . والبكر أيضًا

ولدها ذكرًا كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع في سورها ، أى

تعدو عدوا خفيفًا . وفي الأصل : « ترضع بكرًا » ، وهو تحزيف فكه .

(٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى : نسبة إلى معن طيء . واسمه عدى بن عمرو

ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تَرَكْتُ الشَّعْرَ وَاسْتَبَدَلْتُ مِنْهُ إِذَا دَاعَى صَلَاةَ الصَّيْحِ قَامًا

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . ولالأعرج المعنى شعر في

البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه في ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلب بن قيس بن عاصم ، كما في عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلبة ،

بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بني حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضها . ورواية

عيون الأخبار : « وتعا » موضع : « وتأنى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعلج بن علي الخزاعي . وكان معاصرا =

وَأَبْرَزَ الْخِذْرُ مِنْ ثِنْيَيْهِ بَيْضَتَهُ وَأَعَجَلَ الرَّوْعُ نَصْلَ السَّيْفِ يُخْتَرَطُ^(١)

خُفْمٌ تَفْدِيكَ مِنَّا كُلُّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَفْدِيكَ وَالْوِلْدَانُ وَالشَّمْطُ^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كَأَنَّ فَلَاقَ الْمَاسِ تَحْتَ سُيُوفِنَا خَذَارِيفُ بِيضِ عَجَلِ النَّقْفِ طَائِرُهُ^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخدر :

وَتَجُولُ بِيضَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمْسَحْنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون ببيض النعام إلا الأبكار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصنفى في نسكت الهيان ٢٥٧ وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى الحافى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه فى ط ، هـ . يخترط : أى يستل من غنمه . يقول : استعمل الخوف نصل السيف فى حال اختراطه . فى الأصل : « يخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الروس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذاريف » صوابه فى ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رموسهن . وفى الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كافى الخزائن (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبَيْضُ أَفْقِنَا^(١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةٌ بَيْضُ^(٢) كَالْخَبَاءِ الْمَقْوُضِ^(٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرَمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ نَبْضُ^(٤)
يعنى بالبَيْضِ بَيْضُ النَّعَامِ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظَّلِيمَ لَمَّا
رَأَاهُ فَرَزَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرُوقَةٌ^(٥) . ١١٤

وقال ذو الرُّمَّة في بَيْضِ النَّعَامِ :

تراه إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَايِبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرَدَقُ^(٦)
قال : وَالصَّبَا وَالْجَنُوبُ تَهَيَّانِ فِي أَيَّامِ بُبْسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَلَامٌ فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فَلَقْنَا » . وَفِي مَخَاضِرَاتِ الْأَرَاغِبِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةُ
الْقَتَالِ (٢ : ٢٩٤) : « رَفَعْنَا »

(٢) كَذَا . وَلَعَلَّهَا « هَيْق » وَهُوَ الظَّلِيمُ . وَرَوَايَةُ الْقَتَالِ : « جُون » بِمَعْنَى ظَلِيمٍ
أَسْوَدَ .

(٣) الْخَبَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرِ . س ، هـ : « كَالْحَيَاءِ »
صَوَابُهَا فِي ط ، وَالْمَخَاضِرَاتُ وَالْأُمَالُ . وَالْمَقْوُضُ : الْمَهْدُومُ . وَجُمْلُهُ كَذَلِكَ حِينَ
حَفَضَهُ لِقَبِيضٍ وَرَقُودِهِ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَيُّ هَجَمَ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسَهُ وَيَلْقِيهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَنْثَ الْبَيْضُ
هَذَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَبِيوِيهِ عَلَى إِعْمَالِ صِفَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَتَالُ وَسَبِيوِيهِ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لَفْتَانِ .

(٥) الْفَرُوقَةُ ، بِالْفَتْحِ : لِلْكَثِيرِ الْفَرْعُ ، يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَلَهُ نَفْسَانِ فِي
الْمَزْهَرِ (٢ : ١٣٤) وَانْظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي الْلِسَانِ (فَرْقُ) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرُوقٌ » يَنْزِعُ الْمَاءَ . وَفِي أَوَّلِ الْكِتَابِ : « رُوحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذُرِفَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ الشَّرْحِ
الْآتِي لِلْجَاهِظِ . وَ « دَرَدَقٌ » صِفَةٌ لِلْكَلِمَةِ « غَرَايِبُ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةٍ لَذِي الرُّمَّةِ ، أَوَّلُهَا :

أَدَارًا يَجْزُوِي هَجْتَ الْعَيْنِ عِبْرَةً فَاهِ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّقُ

وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمَشْتَبِهِ الْأَرْبَاءِ يَرَى بِرُكْبِهِ يَبِيسُ الثَّرَى نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخْوَقُ

يَنْقُبُ النَّعَامَ فِيهِ الْبَيْضُ . يقول : درجت به رِثْلَانِ سَوْدُ غَرَابِيبَ ، وهى
من بَيْضٍ هَجَانٌ : أى بَيْضُ . والدَّرْدَقُ : الصُّغَارُ ، وهو من
صُغَرٍ ^(١) الرِّثْلَانِ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طُفَيْلُ بْنُ عَوْفٍ الْغَنَوِيُّ ^(٢) ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النِّعَامِ :
عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ ^(٣)
سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعَقَّرٍ ^(٤) أَغْنَى مِنَ الْخَنَسِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ ^(٥)

- (١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه :
يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالالف واللام » .
(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهل فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيال .
ويقال له : طفيل الخليل ، ويسمى أيضا : الخبير الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .
(٣) عواذب : هى إبلا عواذب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت
بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذل بها قطرة إلا تحلة مقسم
والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ :
« بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . هـ :
« حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القائل :
« نُبُوحٌ مُقَامَةٌ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقم
الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبلى عواذب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شامت
لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر نارا سنة كاملة سوى
نار بيض نعام يصيبه راعيا فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معقر : مقتول مرغ فى العقر . س : « معقر » بالالف . والأغن : الذى فيه
غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
لصغركه وصغر جسمه .

هذه إبلٌ راعٍ معزٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوقٍ ، لا يأتي المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فإنه لا ترى نارا سوى نثارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الطَّيَاء والرَّثْلان وبَيْض النِّعَام^(٤) لأنَّ هذه كلها تعشى إذا رأت نارا ، ويحدث لها فكرة فيها ونظر . والصبي الصغير كذلك . وأوّل ما يعاين^(٥) الرّضيعُ ، أوّل ما يناغي ، المصباح^(٦) . وقد يعترى مثل ذلك الأسد ، ويعترى الضفدع ؛ لأنَّ الضفدع ينق ، فإذا رأى نارا سكّت . وهذه الأجناس قد تغتر^(٧) بالنار ، ويختل لهاها .

(١) هـ : « معز » ، صوابه في ط ، س .

(٢) كتبت في الأصل بإثبات الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوق بعريته من العرب يقول : هذا غازي وراي وعي . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « النيران » بالثاء . صوابه بالنون كما في س .

(٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو ما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها » .

(٥) يعاين ، من المعاينة ، وهي الملاعبة . وفي الأصل : « يعاين » بحرفة .

(٦) المناغاة : الحادثة والملاعبة . و « المصباح » هي في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .

(٧) تغتر : تحتدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعملها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغتر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المترامكة ^(١) بأن عليها نعاماً . قال الشاعر ^(٢) :
 كأنَّ الرَّبَّابَ دَوَّيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ ^(٣)
 وقال آخر :

خَلِيلٌ لَا تَسْتَسْلِمَا وَاذْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رِيحٌ
 حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلِهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاهُ صُدُوعٌ ^(٤)
 بَمَنْتَصِكَ ^(٥) عَر ^(٦) النَّشَاصُ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَفُوعٌ ^(٧)

- (١) المترامكة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .
 (٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ريب) — عن الأصمعي — ومعجم
 الأدياء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحمصى في زهر الآداب (١ : ١٧٧)
 إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح
 المفصليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنياه هو
 زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن
 جلهمة ، كما في اللسان . وقيل :

إِذَا أَعْلَمَ يَسُقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَاسْقُ وَجْهَهُ بَنَى حَنْبِلَ
 أَحْيَشَ مَلَأَ غَزِيرَ السَّحَابِ هَزِيزَ الصَّلَاصِلِ وَالْأَزَلِ
 تَكَرَّرَهُ خَفَضَتْهُ الْجَنُوبُ وَتَفَرَّغَهُ هَزَةُ الشَّمَالِ

- (٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .
 (٤) الحيا : الخصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .
 والشطلي : عظم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفي العظم في شطاه
 صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاهُ
 صُدُوعٌ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه . ووعى
 العظم : انجبر على عم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه
 في الزهرة ٢٠٣ .
 (٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك »
 وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكاً لثقله
 وكثرة مائه .

- (٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .
 (٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعنقه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرِّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَحْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظَلٍّ^(١)
والنعائم في السماء^(٢) . والنعائم والنعامتان من آلات البئر^(٣) ..
و [النعامة^(٤)] : بيت الصائد^(٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلي^(٦) :

- (١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فرجا استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني من الجبل . في الأصل : « بردها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبهه بلفظه قوله : لا شيء في ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باقى و « مظل » هى في الأصل « مظل » وصوابه في المخصص .
- (٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها في الهجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .
- (٢) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذلك الجانب ، يصنعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مئتين في الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتي النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثلاثة فيصرن نعائم . في الأصل : « المر » وقد كشفت سر هذا اللمح حيف بما أثبت .
- (٤) ليست بالأصل .
- (٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .
- (٦) البيت الآتى منسوب في اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلي . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلي ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عنوا . أما عروة فقتل في الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، في الحاسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات في زمن عمر . الأغاني (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزائن (١١ : ٤٠٠ . سلفية) .

وَذَاتِ رَيْدٍ كَرَنْتِ لِلْفَأْسِ مُشْرِفَةً طَرِيقَهَا سَرَبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
 ١١٥ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَرَمِهَا إِلَّا نَعَامَتُهَا حَالَانِ مَهْزَمٌ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مسكن النعام)

وفي المثل : « مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ »^(٣) ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
 الْجِبَالَ وَلَا تُسَهِّلُ^(٤) . وَالنَّعَامُ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْقَى فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات
 زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك :
 أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون
 لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، هـ : « بزلت »
 س : « بدلف » . وفي اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت .
 وأما كلمة « الرخ » في اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرقة : العالية
 تشرف على ما حوطا . والطريق المرب - ككتف - : الذي يتتابع فيه
 الناس . في الأصل : « طويها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب : كأنه المههد
 من قولهم : سنام مجبوب ، أي مقطوع . ط ، س : « مجبوب » صوابه في هـ .
 ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذي يسلكه
 الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطي البيت الشتوي لا يبلغ به أنفاه ثم يسقف
 ليكون البيت أدفأ . والنعام : الظلة . حالان أي تلك النعام لما حالان فبعض أجزائها
 منهزم أي متكرر . تقول هزمت القرية فانهزمت : إذا غزتها فطغامت . ومنسوب :
 أي قائم . انظر مثيل هذا البيت في حواشي الصفحة السابقة . في الأصل : « مصبوب »
 والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل في الميداني (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجاني ١١٨ وللمعري : « تكلم
 فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أي تكلم بكلمتين مختلفتين . وفي اللسان .
 « ومن أمثالم : من يجمع بين الأروى والنعام ؟ ! » . والأَرْوَى : جمع
 أَرْوِيَّة ، أو اسم جمع ، وهي أنثى الوعل .

(٤) أسهل : نزل في السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما في اللسان (ظهر ، كلس) أو عبيد بن الأبرص ، كما في مختصر
 تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كلس) . والبيت بدون نسبة في المقاييس (كلس) .

وَحَبِيلٌ تَسْكُرْدُسُ بِالْدَّارِعِينَ كَمْشِي الْوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَةِ (١)
وقال كثير :

يَهْدِي مَطَابًا كَالْحَيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَّاطٍ أُغْبَرَ شَاخِصَ الْأُمَيَّالِ (٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسِمًا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بِرِثَالِ (٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلَّى من السَّحاب من قطع
الرَّيَاب :

(١) ط : « وَتَبِل » س ، هـ : « وَتَبِل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمتخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في المختص واللسان والمختصر : « تَسْكُرْدُسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مشقل . والدارع : لايس الدرع الحديدي . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفي الأصل : « الظاهر » صوابه من المختص
واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى في (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحى : كفى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسي فى نحو لها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأهبال : جمع ميل ، بالسكسر ، وهو
المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسم : الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعى الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هل ترى برقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهُ (١)
 مِنْ سَاقِطِ الْأَكْثَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهُ (٢)
 مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (٣)
 وقال وشبّه ناقته (٤) بِالظَّلِيمِ :
 وإذا أطافَ لبابه بِسَدِيسِهِ (٥) ومسافراً ولجا به وتَزَيَّدَا (٦)
 شَبَهَتْهُ هِقْلًا يُبَارَى هِقْلَةً رَبْدَاعًا فِي خَيْطِ نَقَانٍ أَرَبْدَا (٧)

(١) ياهل : أي ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء في الكتاب : « ألا يا اسجدوا » . في قراءة الكسائي ، وكقوله :

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سحمان من جابر
 برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبل
 طيس : أجاً وسلمى . وانجيايه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفي شرح
 الديوان : « الناسب من البرق ترى ضوءه ثابتاً » . ط ، س : « انجيايه »
 تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكثاف : أي من سحب ساقط النواحي . وفي الأصل : « متساقط » .
 و « الأكثاف » هي في س : « الأكثاف » وصواب هذين التحريفيين
 من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقاً ، في موضع حال من النعام . في الأصل : « معلق » ووجه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبیه هذا المعنى في البيت الذي سبق في ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفي اللسان : « وكل صائح زاق » . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت ما في س . ورواية الديوان :
 « لمادناً قرذاً ربابيه » القرد : المجتمع . والرياب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جملة » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا في ط ، هـ . وفي س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثنى فهبَّ هِبَابُهُ وتَزَيَّدَا »

(٧) المهقل ، بالكسر : الفقى من النعام . ط ، س : « شهبته صملا » . والفصل ،
 بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
 والريداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى في الديوان : « رمداً » =

وذكر زهير^(١) الظلم وأولاده ، حتى^(٢) شبه ناقةً بالظلم :

كأنِّي ورذني والقِرَابَ ومُرقِي على خاضبِ السَّاقينِ أرعنَ نِقْنِقِ^(٣)
 رأي به حبُّ الصَّحَارَى وقد رأى سَمَاوَةَ قَشْرَاءَ الوُظِفَيْنِ عَوْهَقِ^(٤)
 تحنُّ إلى مثلِ الحبابيرِ جُمِّمَ لدى سَكَنٍ مِنْ قِيضِهَا المتفلقِ^(٥)
 تحطَّم عنها [قِيضُهَا] عَنْ خَرَاطِمٍ وعن حَدَقِ كَالنَّبْخِ لم يتفلقِ^(٦)
 النَّبْخُ^(٧) : الجُدْرَى^(٨) .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
 « نبط » هـ : « نبط » تصحيحه من الديوان . والتناقى : جمع نقتى ونقنقة ،
 وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تمانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
 صفة لخيط ، وجب بالفتحة لوزن أقبل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
 زهير ٢٤٥ أن زهيراً وكعباً اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقِرَاب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى :
 « والقنات » وهو غشاء الرجل . والفرق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب
 الساقين : عنى به ظليها احمرت ساقاه . والتناقى ، التافرو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغاني : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، هـ : « وقد أرى » . وأثبت
 مافى س ، والديوان والأغاني ، والمباوة : أعل شخص الشيء . والقشراء : البيئة
 القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف :
 مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » وهـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت .
 والعووق : الطويل : يستوى فيه الذكر والمؤنث . ط ، س : « عبق » هـ : « عبق »
 محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغاني . والحبابير : جمع
 حبارى ، يعنى فراخها . والجُمِّم : الجماعة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
 تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغاني . والتريش :
 قشر البيض .

(٦) التشكلة من الديوان والأغاني . وفى ط ، هـ : « خراطيم أسج » . والتبخ : الجدرى .
 س ، ط : « كالمخ » ، هـ : « كالمخ » ، صوابها من الديوان والأغاني والسان (نخب) .

(٧) س : « السح » . ط ، هـ : « السح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ما أثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالد بن نَضَلَة ^(١) : « النُعامة » . قال :

تَدَارَكَ إِرْخَاءُ « النُّعَامَةِ » حَنْثَرًا وَدُودَانٌ أَدَّتُهُ إِلَى مُكَبَّلَا ^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد ^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أُدِبَّ عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسْأَمَنِي أَهْلِي ^(٤)

رَهِينَةً قَعَرَ الْبَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ فِي الْوِلْدَانِ أَهْلُجُ كَالرَّأْلِ ^(٥)

(١) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛

إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه

في القاموس (نعم) . وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب

٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثرا بن الأصبط ، ودودان

ابن خالد . شرح المفصليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شد العود . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ،

كما في بلوغ الأرب . و « حنثرا » هي في الأصل : « جيد » صوابه في بلوغ

الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضا : « أدته » صوابه ما أثبت .

وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الخلد » . مكبلا : مقيدا .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صملوك ، جواد . وكان

يسمى عروة الصعليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سألت الناس ، وتركت خاطر الصعلك ، أن يلحقني

الكبر فأهون ويضجر مني أهل ؟ ! فهو يحتج للصعلك بما ترى . س ، هـ :

« على الصفا » س : « ويأس في » ، هـ : « ويأس أهاني » ، صواب ذلك

في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أي ملازم لا يرح . وهنح الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير

إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شَبَّهَ هَدَجَانَ ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيَّتِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وقال أبو الزَّحَفِ ^(٢) :

أشْكُو إِلَيْكَ ^(٣) وَجَعًا بِرُكْبَتِي وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي مِشْيَتِي ^(٤)

• كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ الْهَيْقَتِ ^(٥) •

وقال آخر ، ولست أدري أيُّهُمَا حَمَلَ عَلَى صَاحِبِهِ :

أشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي ^(٦) وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ فِي خُلُقِي

• كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْصِ •

ولم يَفْضَحْهُ إِلَّا قَوْلُهُ :

• أَشْكُو إِلَيْكَ وَجَعًا بِمِرْفَقِي •

لأنَّ الْأَوَّلَ حَكَى أَنَّ وَجْعَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيبُ الشُّبُوحَ ، وَوَجَعَ

المرْفَقِ مِثْلُ وَجَعِ الْأُذُنِ ، وَضَرْبَانِ الضَّرْسِ ، لَيْسَ مِنْ أَوْجَاعِ الْكِبَرِ

فِي شَيْءٍ •

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَشَبَّهَ بِهَذَا أَنْ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ .

(٢) أَبُو الزَّحَفِ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٩٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو الْمَرْهَفِ » ،

مَحْرَفَةٌ . وَالرَّجَزُ فِي الشُّعْرَاءِ ٦٦٩ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الزَّحَفِ . وَقَدْ نَسَبَ فِي نَوَادِرِ

أَبِي زَيْدٍ ٢٥٥ إِلَى (ابْنِ عُلُقَةَ التَّيْمِيِّ) ، بِرَوَايَةِ أُخْرَى . وَأَرَادَ رَجَزًا آخَرَ

اتَّفَقَ خَاطَرَا الْقَائِلِينَ فِيهِ . وَهُوَ بَغِيرُ نَسَبَةٍ فِي أَمَالِي الْقَائِلِ (١ : ١٨٩) . وَنَسَبَ

فِي الْمَقْدِ (٢ : ٥٢) إِلَى أَعْرَابِي .

(٣) فِي الْمَقْدِ : « إِلَى اللَّهِ » .

(٤) فِي الشُّعْرَاءِ وَالتَّوَادِرِ وَالْأَمَالِي : « مِنْ مِشْيَتِي » .

(٥) الْحَقِيقَةُ : النِّعَامَةُ الطَّوِيلَةُ . وَقَدْ أَرَادَ : « الْحَقِيقَةُ » فَصِيرُهَا التَّائِيْتُ تَاءٌ فِي الْمُرُورِ

عَلَيْهَا . فِي الْأَصْلِ : « النَّقْصُ » وَلَا تَتَّفَقُ مَعَ الرَّجَزِ ، وَتُصَحِّحُهَا مِنَ اللِّسَانِ

(هَدَجٌ ، هَيْقٌ) وَسَائِرُ الْمَصَادِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَاعِدًا- الْمَقْدِ ، فَالرَّوَايَةُ فِيهِ أَشَدُّ تَحْرِيفًا .

وَرَوَى : « خَلْفٌ » مَكَانَ « حَوْلَ » فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ مَاعِدًا- الْمَقْدِ .

(٦) الْمَرْفَقُ ، كَتَبَهُ وَجَلَسَ : مُوَصِّلُ الذَّرَاعِ فِي الْمَضِدِّ .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميادة ، وذكر بني نعاماً من بني أسد - وقد كان قَطْرِيُّ

ابن الفجاءة يكنى أبا نعام^(١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ بِلَدِّهِ نَعَامَةً ، مِفْتَاحُ الْخِزَانِ وَبَابُهَا
وهجا ذُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ رَجُلًا فَعَجَلَ الْبَيْضَةَ الْفَاسِدَةَ مِثْلًا لَهُ ، ثُمَّ أَخْبَى
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكِرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرِ - فَقَالَ :
فَلَيْتُ أَتَى رَغْمَ الْعَدُولِ لَنَازِلُ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرِ^(٢)
أَيَا حَكَمِ السُّوءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعْ

فهل أنتَ إنْ هَاجَيْتَ إِلَّا مِنْ الْخَضِرِ
وهل أنتَ إِلَّا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرْخُهَا ثَوَتْ فِي شُلُوحِ الطَّيْرِ فِي بَلَدٍ قَفَرٍ^(٣)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرٍ عَلِمْتُهَا وَسَلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ^(٤)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهي نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهل فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جموعة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعام كنيته في الحرب ، ونعام فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فات وجيء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعام » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشة ليضع فيه البيض . انظر ما سبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأثنى من ولد النعمة : قلوص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع ^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف
والمسمر ، والخرمة ^(٢) ، وغير ذلك .

قال عنزة :

تَأْوَى لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمْطِمٍ ^(٣)
وقال شَمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ ^(٤) :

• قُلُوصُ نَعَامٍ زَفُّهَا قَدْ تَمَوَّرَا ^(٥) •

(وصف الرئال)

ووصف ليبيد الرئال فقال :

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتصريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزيمة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظلم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكام بشية بقريب بين المنسين مسلم
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المملقات واللسان (قلص) . والقلوص
الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحما » محرفة . وتمور :
سقط . وصدر البيت :

• وقد أنعمت الشمس نعلًا كأنه •

فَأُضْحِتْ قَدْ خَلَّتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزَفًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حَلَالٍ ^(١)
 ١١٧ وَخَيْطًا مِنْ خَوَاضِبٍ مُؤَلَّفَاتٍ كَأَنَّ رِثَالَهَا وَزُقُ الْإِفَالِ ^(٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) :
 لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَاكَ فِي قُرَيْشٍ كِلَالُ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ ^(٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظلم . يقال عرير عراراً ، وعار يعار .
 معارة وعراراً . ط : « غراراً » ، صوابه في س ، هـ والسان (عرز) .
 والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب برعهم صوت الجن . وفي الأصل :
 « عرفاً » تصحيحه من اللسان . وأحبال حلال : أى أقوام مقيمون ، متجاورون .
 ينمت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : خامة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها .
 مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثالها :
 فراخها . والورق : جمع أورك ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أنيل ،
 كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، بحرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ -
 ٤٠٨ . ويعلوه :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
 وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
 فلا تفخر بقوم لست منهم ولائك كالثام بين هشام
 (٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « القيل » ، س :
 هـ : « السيف » صوابهما ما أثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١)
 وأمال القائل (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش »
 وهناك بيت آخر يشتهى بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلًا من قريش كِلَالُ القيل من ولد الأثان
 وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦)
 ٧ (٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في
 الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد
 (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنوا أنه أراد التبعيد ، فذكر
شيثين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يرد هذا ، وإنما أراد ضعفَ
نسبه في قُرَيْشٍ ، وأنه حينَ وجدَ أدنى نسبٍ ^(١) انتحل ذلك النسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفرسَ الذي يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عباد ، التي يقول فيها :

قرباً مَرِيطَ النَعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وائِلٍ عَن حِيَالِ ^(٢)
وقولُ الفرزدقِ ^(٣) :

تُرِيكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً ^(٤)

كرامُ ^(٥) بناتِ الحارثِ بنِ عَبادٍ

نساءُ أبوهنَّ الأغرُ ، ولم تَكُنْ من الحِتِّ في أجبالها وهَدَادٍ ^(٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سب » .

(٢) عن حِيَالٍ ، أى بعد حِيَالٍ . والحِيَالُ ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجددها في (يوم قصة) من أيامهم .

(٣) يقولُه لَنُوارِ زوجِه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :-
تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين !

(٤) كذا رواية صدر البيت في الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » في الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » في الديوان ١٥٩ . يقولُ
لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها .
والعبارة مثل ، كما جاء في قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقسد تمنه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى في الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . ولقمرزبانى كلامه
في هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحِتُّ ، بالضم ، وهَدَادٍ : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد في جاراتها ،
وهَدَادٍ » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) .

أبوها الذي آوى النعمانة بعد ما أَبَتْ وَأَثَلُ فِي الْحَرْبِ غَيْرَ تَمَادٍ^(١)
وقد مدحوا بنات الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله^(٢) :

جَاءُوا بِحَارِشَةِ الضَّبَابِ كَأَنَّهُمْ جَاءُوا بِنَتِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ^(٣)
ويلحق^(٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : بَاضَ الصَّيْفِ^(٥) ،
وبَاضَ الْقَيْظِ^(٦) . وقال مضرٌ :

بِلَمَاعَةٍ قَدْ بَاكَرَ الصَّيْفُ مَاءَهَا وَيَاضَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهُ وَحَرَارُهُ^(٧)

= لكن في س ، ه : « من الحب في إحاطها » ، وتصحيح هذا التحريف من
الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعمانة » إشارة إلى قوله : قربا مربوط
النعمانة . ط : « قاد النعمانة » ويظهر أيضاً أنه اعتاد من المصحح على رواية
الأغاني (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتخاى : اللجاجة .
ووائل هو والد بكر وتغلب التين أشعلتا نار حرب اليسوس ، فكانت إحداها
تحمرب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بني مرة بن عباد . ونحوه في
ثمار القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه
حرش الضباب لثما ومسية ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئاً . انظر
تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثل في
السكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدأ هذا إلى نهاية بيت مضرس سناقط من س . وربما دل هذا
على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضه » تشير إلى ماسبق
في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ماسبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القَيْظِ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في ه ، واللسان
(حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . واخرائر : جمع
حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية
اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خُزَز بن لُوذَان)

وابن النعمامة : فرس خُزَز بن لُوذَان^(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ إِنْ كُنْتُ سَائِلَتِي غَبَوْقًا فَاذْهَبِي^(٢)
إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي^(٣) هَذَا غِبَارُ سَاطِعٍ فَتَلَبَّبِ^(٤)

(١) خُزَز بزاين وبوزن عمر ، ابن لُوذَان ، بفتح اللام وبذلك معجمة : شاعر قديم
جاهل ، كما فى الخزائنة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه
فى القاموس (خُزَز ، لُوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة
الشعر الآتى إلى خُزَز ، مثلها فى الخزائنة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) .
ونسب إلى حنتره فى المختصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحمامة
ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفهم وعلى أزواجهم
ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المني (الحماسة
: ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمتح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة يفرغ

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما
تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، ويشرب الماء البارد الذى
فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لقبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن
خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإليك من الأعداء . وكذب كذا ،
وكذب عليك كذا : مثلاً غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموعاً
كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحيلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضِي^(١)
وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِذْجَهُ وَابْنَ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي^(٢)

(شعر في النعمامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرِيدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَشَعٍ وَمُهْلَلٍ^(٣)

وقال ذو الإصبع العدواني :

ولي ابن عمّ على ما كان من خلقي مخالفٌ لي أقليه ويقليني^(٤)
أزرى بنا أننا شالتْ نعامتنا فمخالني دونه بل خلته دوني^(٥)

= وأثبت مافي والبيان واللسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماة :
« ظميتي » . والظميتة : المرأة . والغبار الساطع الذي تضي : هو ما يتطاير من
جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التي تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثني والمذكر ، يلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمالي : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أي في أن يأخذوك » . ثم قال : « قلها بإرادتها أن تؤخذ
مسيبة ، فلذلك قال : تكحلي وتخضبي » .

(٢) أي يملك الأعداء حين تسين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب لققاء العدو
فرسى السمي بابت النعمامة . وقيل : أراد بابت النعمامة باطن التقدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أصحابها .

(٣) « وضع » هي في الأصل : « وقع » و « بردها » هي في ط ، س « بردها »
وفي هـ : « بردها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في ٣٥١ . و « رفعن »
هي في الأصل : « يدفن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أي أبغضه ويغضني .

(٥) شالت نعمة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان
من قصيدة في المنفضليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ فِي ذِكْرِ الصَّيِّدِ ، وَذَكَرَ فَرَسَهُ :

وَأَخَذْنَا بِهِ الضَّرَارَ وَقَلْنَا بِحَقِيرٍ بَنَانَهُ أَضْمَارُ^(١)
فَأَنَّا نَا يَسْعَى تَفْرُشَ أُمِّ الْبَيْضِ شَدًّا وَقَدْ تَعَالَى النَّهَارُ^(٢)
غَيْرِ جَعْفٍ^(٣) أَوَابِدٍ وَنَعَامٍ وَنَعَامٍ خِلَافَهَا أَثْوَارُ
فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ^(٤) الْعَمْرِ فِيهَا حِينَ يَنْهَضُ^(٥) بِالصَّبَاحِ عَذَارُ
ثُمَّ قَالَ :

يَتَسَكَّفُنْ مِنْ صَرَائِعِ سِتٍّ قَسَمْتُ بَيْنَهُنَّ كَأْسُ عُقَارُ
بَيْنَ رَبْدَاءَ كَالْمِظَلَّةِ أَفْقٍ وَظَلِيمٍ مَعَ الظَّلِيمِ حِمَارُ^(٦)
وَمِهَاتِينَ حَرِينَ وَرِثَالٍ وَسَيُوبٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ^(٧)

(١) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ مُحَرَّفًا فِي الْأَصْلِ . س : « الْفَرَا » . هـ : « فَلَسْنَا » مَوْضِعٌ
« وَقَلْنَا » . س : « بِحَقِيرٍ » مَوْضِعٌ : « بِحَقِيرٍ » .

(٢) أُمُّ الْبَيْضِ ، عَنَى بِهَا النِّعَامَةُ . وَالتَّفْرُشُ : أَنْ تَتَرَفَّفَ بِجَنَاحِهَا . فِي الْأَصْلِ :
« وَأَنَّى يَنْتَفِشُ تَفْرُسَ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٥ وَاللَّسَانُ وَالْمَقَابِيسُ (فَرَسَ) .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي س ، هـ : « فِي حَوَالِ الْقَارِبِ » ، مُحَرَّفَاتَانِ .

(٥) س ، هـ : « يَنْهَضُ » .

(٦) رَبْدَاءُ : أَيْ نِعَامَةٌ رَمَادِيَّةُ اللَّوْنِ . وَالْمِظَلَّةُ : بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، الْكَبِيرُ مِنَ الْأَخْيَةِ ،
وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ ص ٣١١ :

« شَخَتْ الْجَزَارَةَ مِثْلَ الْبَيْتِ سَائِرُهُ »

وَسَيَأْتِي مِثْلُهُ لِلذِّي الرِّمَّةِ ص ٣٦٨ . ط : « كَالْمِصْلَةِ » س ، هـ : « كَالْمِظَلَّةِ »

صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَالْأَفْقُ ، بِضَمِّتَيْنِ : الرَّائِعُ ، يُقَالُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ، وَقَدْ سَكَنَ
الْقَاءُ لِلشَّعْرِ .

(٧) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط :

وَمِهَاتِينَ حَرَسَ وَرِثَالٍ وَسَيُوفٍ كَأَنَّهُا أَوْتَارُ

وَالنِّصَانُ مُحَرَّفَاتَانِ . وَفِي الْمَعْنَى الْكَبِيرِ ٧٧٦ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ فَقَطْ « كَأَنَّهُ أَوْتَارُ » .
بِإِنشَاءِ الْإِنشَاءِ . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : « قِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ الْمَحْشُو ، وَقِيلَ : الْبَرْدَعَةُ » .

(شعر في تشبيه الناقة بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبهها بأشياء منها^(١) ثم أطنب
في تشبيه إياها بالظلم :

تلاحِظ السَّوْطَ شَزْراً وهي ضامرة كما توجَّس طاوِي الكَشْحِ مَوْشُومٌ^(٢)
كَأَنَّهَا خاضِب زُعْرٌ قوائمه أجنى له باللَّوى شَرِيٌّ وَتَنُومٌ^(٣)
يَظْلُ في الحَنَظْلِ الخَطِيبانِ يَنقُفُهُ وما اسْتَطَفَّ من التَّنُومِ مَخْذُومٌ^(٤)
فُوهُ كَشَقِّ العَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنُهُ أَسْكُ ما يَسْمَعُ الأصواتِ مَصْلُومٌ^(٥)
يَكادُ منسَمِه يَخْتَلُّ مَقْلَتُهُ^(٦) كأنَّهُ حاذِرٌ لِلنَّحْسِ مَشْهُومٌ^(٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يطلوها كلام سقط .
(٢) نظر شزراً : أى يؤخر عينه . ضامرة : بالزاي : أى ساكنة خائفة . س ، هـ ،
والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود .
والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت
من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به
الثور الوحشى . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
(٣) الخاضب : الظلم قد أحرث ساقاه . والزعر : القليلات الريش . هـ : « ذعر » .
مصحفة . روى فى المفضليات : « قواده » . والشري : الحنظل . والتنوم : نبت .
وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : « أحنى » صوابه فى ط :
والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) ، والمفضليات ٣٩٩ حيث التصيدة .
(٤) الخطيبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصقراء فيها خطوط
خضر . فى الأصل : « الخطبان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طلف) .
ينقفه : يشقه ليستخرج له . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخثوم : المقطوع .
هـ : « مخدوم » وأثبت مافى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان :
« مخذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .
(٥) لأيا تبينه ، أى لا تبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ :
« لأيا يبينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأمك : الأصم . والمصلوم :
العنبر الأذنين أو المقطوعهما .
(٦) المنسم ، كجلس : طرف خف النعامة . يخلت مقلته : ينفذ فيها وينتظلمها .
(٧) المشهوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحيين » هـ :

- حَتَّى تَذْكُرَ بَيَضَاتٍ وَهَيَّجَهُ يَوْمُ رَذَاذٍ ، عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغِيَوْمٌ ^(١)
 فَلَا تَزِيدُهُ فِي مَشْيِهِ نَفَقٌ ^(٢) وَلَا الزَّرْفِيفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْتُومٌ ^(٣)
 يَاوِي إِلَى حِسْكِلٍ زَعَرٍ حَوَاصِلُهَا ^(٤) كَأَمَّنَ إِذَا بَرَّكَنَ جُرْثُومٌ ^(٥)
 وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جُوجُوهٌ كَأَنَّهُ بَتْنَاهَى الرُّوضِ عُلْجُومٌ ^(٦)
 حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنَ الشَّمْسُ مَرْتَفَعٌ أَذْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ ^(٧)

= « حارم التبختر » تعريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه الدجن » . ه : « معتموم » .
 (٢) التزيد : الزيادة . والتنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه :
 « ولا تزيد وفي مشية » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مشؤوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الرفيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزيرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابهما :
 « درددق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه القراب . س ، ه : « إذا ركين
 مرثوم » .
 (٦) الوضع : الذى يعدو وضما . والوضع : علو سريع من علو الإبل . وقد زاد
 التاء للمبالغة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تئبه ، وهى
 الأماكن المطننة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والمعلجوم : البعير الطويل المثل بالقطران . ولعمري لقد دار علقمة على
 رأسه ، فشبه نأفته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، ه : « وصاعده كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه .
 ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
 (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات .
 والسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعريسين الذكر والأنثى .
 س : « أرحى عريتين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ه :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

- ١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَتَقَنُّةٍ كَمَا تَرَاظُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ^(١)
 صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُوجُوهُ بَيْتِ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومُ^(٢)
 حَفْهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِبَةٌ تَجِبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمُ^(٣)

(رُؤْيَا النِّعَامَةِ)

- الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل^(٤)
 شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
 بكلام ، وأمُّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تفتن ، فقال له : يا بنيّ اذهب
 إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعمةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يَوْمِي إِلَيْهَا : يَشِير . س ، هـ : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما في
 الديوان والمفضليات . والإنقاض : صوت مثل النقر . والتقنة : صوت كصوت
 الدجاجة للبيض . وتراظن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من
 الفعل إحدى التامين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراظن . والأفدان : جمع فدن ،
 بالتحريك ، وهو القصر المشيد . هـ : « أفراها » س : « أفراها » ، صوابها
 في ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجوجو : الصدر . وخرقاء : أي ريش خرقاء لاتلوم
 على حال في هيوها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٩٩ : « وخرقاء :
 التي لا تحسن شيئاً ، فهي تقصد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
 أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتاً أنهدم سريعاً » .
 وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهلوم . وهو من صفة البيت
 الذي شبه به جناحي الظليم وجوجؤه .

(٣) الحقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، هـ : « يحفه ، قلة » بحرف .
 والسطعاء : الطويلة المنق . س ، هـ : « صمقاء » محرفة . والزمار ،
 بالكسر : صوت أثنى النعام .

(٤) س ، هـ : « أرسلني » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فحَبَّأَهَا في بَنِي حَنيفَةَ^(١) . قال : فَجِئْتُ أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ ، فَنَافَرْتُهُ أُمِّي ، وَمَا زَالَتْ بِهِ حَتَّى اعْتَرَفَ أَنَّ لَهُ جَارِيَةً فِي بَنِي حَنيفَةَ .

وَمَا أَعْرَفُ هَذَا التَّأْوِيلَ . وَلَوْلَا أَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَصْمَعِيِّ مَشْهُورٌ مَا ذَكَرْتُهُ فِي كِتَابِي .

(مَسِيلِمَةُ الْكَذَابِ)

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ الْمَذَلَّى فِي مَسِيلِمَةِ الْكَذَابِ ، فِي احْتِيَالِهِ وَتَمْوِيهِهِ وَتَشْبِيهِهِ مَا يَحْتَالُ بِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ ، بِقَوْلِهِ :

بَيْضَةُ قَارُورٍ وَرَأْيُهُ شَادِنٍ وَتَوْصِيلُ مَقْصُوصٍ مِنَ الطَّيْرِ جَادِفٍ^(٢)
قال : هَذَا شَعْرُ أَنْشَدْنَاهُ أَبُو الزَّرْقَاءُ سَهْمُ الْخُثْعَمِيِّ ، هَذَا [مِنْذُ^(٣)]
أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ قَدْ كَانَ أَنْشَدْنَاهَا فَلَمْ أَحْفَظْ مِنْهَا إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ .

فَذَكَرَ أَنَّ مَسِيلِمَةَ طَافَ ، قَبْلَ التَّنْبِيْ ، فِي الْأَسْوَاقِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ دُورِ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ ، يَلْتَقُونَ فِيهَا لِلتَّسْوُقِ وَالْبَيْاعَاتِ^(٤) ، كَنَحْوِ سُوقِ الْأَبْلَةِ ، وَسُوقِ بَقَّةٍ^(٥) ، وَسُوقِ الْأَنْبَارِ ، وَسُوقِ الْحِيرَةِ .

(١) أَى فِي حَى بَنِي حَنيفَةَ .

(٢) الْجَادِفُ مِنَ الطَّيْرِ : مَا يَطِيرُ وَهُوَ مَقْصُوصٌ ، كَأَنَّهُ يَرُدُّ جَنَاحِيهِ إِلَى خَلْفِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْمَلَايِحُ بِمَجْدَانِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « جَائِفٌ » ، وَلَا وَجْهَ لَهُ .

(٣) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ .

(٤) فِي اللِّسَانِ : « تَسْوُقُ الْقَوْمُ : بَاعُوا وَاشْتَرَوْا » . س ، هـ : « فِيهِ » هـ : « لِلْسُوقِ » ، مُحَرَّفَتَانِ عَمَّا فِي ط . وَالْبَيْاعَاتُ : الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُتَبَاعَعُ بِهَا فِي التِّجَارَةِ .

(٥) بَقَّةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِبَ الْحِيرَةِ كَانَ يَنْزِلُ فِيهِ جَذِيْعَةُ الْأَبْرِشِ . وَفِيهِ الْمَثَلُ : « بَقَّةٌ خَلْفَتْ الرَّأْيَ » . ط ، هـ : « لَقَّةٌ » س : « لَقَّةٌ » ، صَوَابُهُ مِنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

قال : وكان يلتمس تعلم الحِيل والنَّيرَجَات^(١) ، واختيارات النجوم
والمنبئين . وقد كان أحكم حِيل السَّدَنَةِ والحَوَاءِ^(٢) وأصحاب الزَّجَرِ
والخَطِّ^(٣) ، ومذهب الكاهن والعِيف^(٤) والسَّاحِر ، وصاحب الجن الذي
يزعم أنَّ معه تَابِعُهُ^(٥) .

قال : فخرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أَنَّهُ صبَّ
على بِيضَةٍ من خَلٍّ قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخلِّ لَانَ
قشرُهُ الأعلى ، حتَّى إذا مددته استطال واستدقَّ وامتدَّ كما يمتدُّ العِلْكُ ،
أو على قريب من ذلك - قال : فلمَّا تمَّ له فيها ما حاول وأمل ، طَوَّلَهَا ثُمَّ
أدخلها قارورة ضيقة الرأسِ ، وتركها حتَّى جفَّت ويَدِسَتْ . فلمَّا جفَّت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنَّيرَج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس
به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام
الليث : النَّيرَج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب
نيرنجات » فهذا مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنسك » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة »
صوابه في ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التثنية
الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب السكهانة ، يأق صاحب الحاجة إلى الحازي فيهطيه حلوانا ،
فيقول : أقعد حتى أخط لك . وبين يدي الحازي غلام له معه ميل له - أي قضيب -
ثم يأق إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالمعجلة ، لثلا يلحقها العدد ،
ثم يرجع فيمدح منها على مهل خطين خطين ، فإن بق الخطوط خطان فهما علامة قضاء
الحاجة والتنجح ، وإن بق واحد كان ذلك أمانة للخيبة ، وبينها الحازي يحو ويقول
الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرها البيان ! .

(٤) العيف ، من العيافة ، بالكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ،
وأصواتها وعمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضممت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَةَ ^(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وأدعى بها أعجوبة ، وأنها جُعِلَتْ له آية . فأمنَ به في ذلك المجلس مُجَاعَةُ ^(٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام ، وقد كان يَراهُنَّ في منزل مُجَاعَةَ مقاصيص . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجَاعَةَ : إلى كم ١٢٠ تعذَّب خَلَقَ الله بالقص ؟ ! ولو أراد الله للطير خلاف الطير أن لَمَّا خَلَقَ لها أجنحة ، وقد حرمتُ عليكم قصَّ أجنحة الحمام ! فقال له مُجَاعَةُ كالمُنعت : فسَل الذي أعطاك في البيض هذه الآية أن يُنبتَ لك جناحَ هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعَةِ !

فقلت لسهم : أما كان أجودَ من هذا وأشبهَ أن يقول : فسَل الذي أدخلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأنَّ ^(٣) القومَ كانوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحان من مُجَاعَةَ كثير . وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُتَنَبِّيَّ لَيَخْذَعُ ^(٤) ألفاً مثلَ قيس بن زهير ^(٥) ، قبل أن يَخْذَعُ

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي الهيمى ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم البمامة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليوم يذنب الأصيفر الكذاب

لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعتا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخذع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فَإِن أَنَا سَأَلْتُ اللَّهَ ذَلِكَ ، فَاثْتَبَهْ لَهُ حَتَّى يَطِيرَ وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ ، أَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ؟ قَالُوا ^(١) : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنَاجِيَ رَبِّي ، وَلِلْمَنَاجَاةِ خَلُوءٌ ، فَانْهَضُوا عَنِّي ، وَإِن شِئْتُمْ فَأَدْخِلُونِي هَذَا الْبَيْتَ وَأَدْخِلُونِي مَعِيَ ^(٢) ، حَتَّى أَخْرَجَهُ إِلَيْكُمْ السَّاعَةَ وَافِيَ الْجَنَاحَيْنِ يَطِيرُ ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ . وَلَمْ يَكُنِ الْقَوْمُ سَمِعُوا ^(٣) بِتَغْرِيزِ ^(٤) الْحَمَامِ ، وَلَا كَانَ عَنْدهُمْ بَابُ الْاِحْتِيَاطِ فِي أَمْرِ الْمُخْتَالِينَ . وَذَلِكَ أَنَّ عُبَيْدًا الْكَيْسَ ^(٥) ، فَإِنَّهُ ^(٦) الْمَقْدَمُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، لَوْ مَنَعُوهُ السِّرَّ وَالْاِخْتِفَاءَ . لَمَّا وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ جَلَّ وَلَا دَقَّ ؛ وَلَسَكَانَ وَاحِدًا ^(٧) مِنَ النَّاسِ . فَلَمَّا خَلَا بِالطَّائِرِ أَخْرَجَ الرِّيشَ الَّذِي قَدْ هَيَّأَهُ ، فَأَدْخَلَ طَرَفَ كُلِّ رِيشَةٍ مِمَّا ^(٨) كَانَ مَعَهُ ، فِي جَوْفِ رِيشِ الْحَمَامِ الْمَقْصُوصِ ، مِنْ عِنْدِ الْمَقْطَعِ وَالْقَصِّ . وَقَصَبُ ^(٩)

= رَأْيُهُ . وَهُوَ صَاحِبُ دَاخِسِ الرَّاهِنِ عَلَيْهَا حَذِيقَةُ بْنُ بَدْرِ صَاحِبِ الْغُبَرَاءِ ، فَلَمَّا سَبَقَ قَيْسٌ تَنَازَعًا وَشَبَّ نَارَ حَرْبِ دَاخِسِ وَالْغُبَرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ » ، وَالْوَجْهَ مَا كَتَبَتْ .

(٢) ط : « فَأَدْخِلُونِي هَذَا الْبَيْتَ وَأَدْخِلُونِي مَعَهُ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي س ، ه . وَمُؤَدَاهُمَا وَاحِدٌ .

(٣) ط : « يَسْمَعُوا » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .

(٤) تَغْرِيزُ الْحَمَامِ : أَيْ تَغْرِيزُ الرِّيشِ فِي جَنَاحِهِ . وَأَصْلُهُ مِنْ تَغْرِيزِ النِّخْلِ ، أَيْ نَقْلُهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ . وَهَذَا يُقَابِلُ مَا يَعْرِفُ فِي اصْطِلَاحِ زُرَّاعِ مِصْرَ بِالشَّتْلِ ، بِفَتْحِ الشِّينِ ، ط : « بِتَغْرِيزِ » ه : « بِتَغْرِيزِ » ، وَأَثْبَتَ الصَّوَابَ مِنْ س .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي أَنْسَابِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ مِنْ اسْمِهِ عُبَيْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ شَرَاهِيلَ بْنِ الْمَكَيْسِ . انْظُرْ تَاجَ الْعُرُوسِ (كَيْسِ) .

(٦) ط : « فَاتَهُ » س : « فَاتَهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ه .

(٧) ط : « وَاجِدًا » .

(٨) ط : « كَمَا » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، ه .

(٩) قَصَبُ الرِّيشِ : أَنْيَابُهُ . فِي الْأَصْلِ : « قَضِيبٌ » مُحَرَفَةٌ .

الرَّيشُ أَجَوْفٌ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَاب . فلما وَفَى الطَّائِرُ رِيْشَهُ صَارَ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ يَرْدَوْنُ مَوْصُولُ الذَّنْبِ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ارْتَابَ بِهِ . والحام بنفسه قد كان له أصولٌ ريشٌ ، فلما غُرِّزَتْ ثَمْتُ (١) فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألا يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه (٢) بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ بِصِيْرَةٍ وَآمَنَ بِهِ آخَرُونَ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بِهِ ، وَنَزَعَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِهِ (٣) كُلُّ مَنْ كَانَ مُسْتَبْصِرًا فِي تَكْذِيبِهِ .

قال : ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ — وَذَلِكَ فِي مِثْلِ لَيْلَةٍ مُنْكَرَةِ الرِّيَّاحِ مُظْلَمَةٍ فِي بَعْضِ زَمَانِ الْبُورَاحِ (٤) — إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، وَالْمَلَائِكَةُ تَطِيرُ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ ، وَلِحْجَى الْمَلِكِ زَجَلٌ وَخَشْخِشَةٌ (٦) وَقَعْقَعَةٌ ، فَنَ كَانَ مِنْكُمْ ظَاهِرًا فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ اخْتِطَافَ بَصَرِهِ ! ثُمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّبِيَّانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصَّيْنِيِّ (٧) :

-
- (١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .
 (٢) كذا في الأصل ، بالعلاء . وقد تكون : « قصوه » .
 (٣) أى صار في مذهبه ، وسار في نصرته .
 (٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بمفهم بما كاف منها في القَيْظِ .
 (٥) أى على وشك أن ينزل على .
 (٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشخشة » يهملتين ، وليس لها وجه .
 (٧) من خواص الورق الصيْنِيّ النعومة والحسن والرفق والركة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى سبياه زياد بن صالح في وقته أطلع — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ لبيسك ٣١ مصر : « الورق الصيْنِيّ ويعمل من الخشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وَتَجْعَلُهَا الْأَذْنَابُ وَالْأَجْنَحَةُ ، وتعلّق في صدورهما الجلائل^(٢) ، وترسل يوم الرّيح بالخيوط الطّوال الصّلاب .

قال : فبات القوم يتوقّعون نزول الملك ، ويلاحظون السّماء ، وأبطأ عنهم حتّى قام جلّ أهل اليمامة ؛ وأُطْنِبَتْ^(٣) الرّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يَرَوْنَ الخيوطَ ، واللّيلُ لا يُبَيِّنُ عن صورة الرّق^(٤) ، وعن دقّة الكاغد . وقد توهّموا قبل ذلك الملائكة . فلمّا سمِعُوا ذلك ورأوه تصارخُوا وصاح : من صرّف بصره ودخل بيته فهو آمن ! فأصبح القوم وقد أطبقُوا على نصرته والدّفِعَ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ وتوصيل مقصوص من الطير جادف^(٥)
فقلت لسمم^(٦) : يكون مثل هذا الأمر العجيب ، فلا يقول فيه شاعر ، ولا يشيع به خبر ؟ قال : [أ^(٧)] وكلما كان في الأرض عجب ، أو شيء

(١) الكاغد ، بفتح الكاف ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلائل : جمع جليل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الرّيح إطناباً : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : « طبت » ، وفي س : هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرّيح الطيبة هي الينة غير الشديدة .

(٤) الرّق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقاتها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريب ، فقد وجب أن يشيع ذكره ، ويقال فيه الشعر ، ويجعل زمانه تاريخاً ! ألسنا معشر العرب نزعُ أن كسرى أبريز ، وهو من أحرار فارس ، من الملوك الأعظم ، وسليل ملوك ، وأبو ملوك ، مع حزمه ورأيه وكاله ، خطبَ إلى النعمان بن المنذر ، وإلى رجل يرضى أن تكون امرأته خثرا لبعض ولد كسرى ، وهو عامله ، ويسميه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أحيمر أقشير ، إماماً من أشلاء قصي بن معد ، ولما من عرض لحم . وهو الذي قالوا : تزوج مومسة — وهي الفاجرة ؛ ولا يقال لها مومسة إلا وهي بذلك مشهورة — وعرفها بذلك ، وأقام عليها ، وهجى بها ولم يحفل بهجائهم . ومما زاد في شهرتها قصة المرقش ^(١) . وناكها قرّة بن هيرة ^(٢) حين سبها . فعلم بذلك وأقام عليها ، ثم لم يرض حتى قال لها : هل مسك ؟ قالت : وأنت والله لو قدر عليك لمسك ! فلم يرض بها حتى قال لها : صفيه لى . فوصفته حتى قالت : كأن شعر خديّ حلق الدرع ! وبال على رأسه خلف بن نواله الكتاني عام حج ، ونصره عدى بن

(١) هو المرقش الأصفر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصفر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما في الأغاني (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا سلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً مادام وصلك دائماً

(٢) قرّة بن هيرة ، أحد بني كثير ، وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصالة ٧٠١٠ .

زيد بأحق سبب^(١) . وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام ، فردّه
أقبح الرد ، وقال^(٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّنْتُوا^(٣) وَقَدْ طَرَفُونِي بِأَمْرِ نَكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حَرْجُ حَرْجٍ^(٤)
ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتّى
كان ذلك سبب هربه وعلة لقتله - فهل رأيت شاعرًا في ذلك الزّمان
١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى^(٥) كان منهم في يوم جُلُولى^(٦)
ويوم دى قار ، وفي وقائع المثنى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقاص - فهل
سمعت في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طريف^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المفضّل^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيرًا : أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير على بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٦ : ليسك . ونسبًا في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى ما دبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبدًا ، فقال : وهل يزوج الحر عبدًا مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التى
خطبها . في الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذى » .

(٦) المعروف : « جلولا » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التعقاع
ابن عمرو :

ونحن تلتنا في جلولا أثارا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولا الوقيمة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طسايح
السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقاتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المقتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سلمى بنت الصّائغ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمّ كان نَجْلُهُ^(٣) لفعلٍ غير محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَى ورأيتنى ، فأين أنا من النعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنعمان^(٦)] مع هذه المثالب كلّها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنبئه الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أبرويزُ أعظمَ خطراً ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحباً القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « بخله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغساني ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ - ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لفتاك خير من وجهه ، ولثمالك خير من يمينه ، ولاخصك خير من رأسه ، ولخطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأهلك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم الملك الفرس ، معرب « خَسَرَوُ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلما » .

كَانَتْ أَنْفَتُهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلُّ عَلَى مَا يَدَّعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النِّسْبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُوداً ظَاهِراً ، وَمُرَدَّداً^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِيضاً . فَإِذْ قَدْ
تَبَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ — فَشَأْنُ مُسَيْلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي يُوسُفُ لِبَعْضِ شُعْرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
وَيُكْنَى أَبَا مُنَمَّامَةَ :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا مُنَمَّامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ^(٤)
كَمْ آيَةٍ لِأَيِّهِمْ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ عَمَامَةَ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصَّلٌ
مَّا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْبِيِّ) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُنْبَشِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حِدَّتِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ احْتِيَالَاتِهِمْ ،
وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا مَخَارِقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاظْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مُوْجُودٌ .

(١) أَيِ أَنْفَةِ التَّحْمَانِ مِنْ مِصَاهِرَةِ كَسْرَى . ط ، هـ : « الْفَتْه » ، س : « الْفَتْنَةُ » .
وَالْأَوْضَحُ مَا أَتَيْتُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَمُورُوداً » . وَلَا تَجْه .

(٣) أَيِ كَانَ مُسَيْلِمَةَ .

(٤) فِي الْمَعَارِفِ ١٧٨ : « عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ » .

(٥) كَذَا . وَرَوَايَةُ الْمَعَارِفِ : « كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمْ » .

(٦) الْمَخَارِقُ : يُرَادُ بِهَا تِلْكَ الْأَلْعَابُ الَّتِي يَلْبِغُ إِلَيْهِمُ الْمُشْعُودُونَ . وَاحِدُهَا مَخْرَاقٌ .

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْمَعْلُقاتِ ٢٢١ : « قِيلَ الْمَخَارِقُ : مَا مِثْلُ الْبَالِثِيِّ . وَليْسَ بِهِ

نَحْوُ مَا يَلْبِغُ بِهِ الصَّبِيانُ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ وَالْإِشْرَافَ ٢٤٠ س ١٩ وَالْحَيَوَانَ

(١٠ : ١) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبد القيس بن خُفَافٍ البرجمي^(١) ، النُعمان بن المنذر ،
في الجاهليَّة ، وذكر ولادة الصائغ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللَّهُ ثُمَّ ثَمَّ يَلْعَنُ ابْنَ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُمَ الْجَهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجِيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتَيْلَا^(٤)

(سَهْمُ الحَنْفَى)

وكان سَهْمُ الحَنْفَى بلى طَبَرِستان^(٥) ، لمعن بن زائدة^(٦) ، مع حداثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعةٌ وَقَدْرٌ في نفسه .

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله
خبران مع حاتم الطائي والثابتة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ - ١٤٦)
ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع الثابتة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجا في النعمان على لسان الثابتة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد
ذلك على الثابتة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحجاسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

(٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارت الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزه » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والقَتِيل : الحنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) ممن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدَّة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحَسَدِ
العربِ لهم على دارهم وتُحومهم وَسَطُ أعدائهم ، حتى كأنهم وَخَذَهُمْ^(١)
يعملون بَكْرًا كلها - ومع ذلك لم نَرِ قبيلةً قَطُّ أَقَلَّ شعراً منهم . وفي إخوانهم
١٢٣ عجلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشِعْرَاءُ وَرَجَّازُونَ . وليس ذلك لمسكان^(٢) الخِصْبِ
وأَنَّهُمْ أَهْلُ مَدَرٍ ، وَأَكَالُو تَمْرٍ^(٣) ؛ لَأَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزَرَجَ كذلك ، وهم
في الشعر كما قد علمت . وكذلك عَبْدُ الْقَيْسِ النَّازِلَةُ قَرَى الْبَحْرَيْنِ^(٤) ، فقد
تعرفُ أَنَّ طَعَامَهُمْ أَطْيَبُ^(٥) من طعام أهل اليمامة .

ونَقِيفُ أَهْلُ دَارٍ نَاهِيكَ بِهَا خِصْبًا وَطَبِيبًا ، وهم وإن كان شعرهم
أَقَلَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى طَبْعٍ فِي الشَّعْرِ عَجِيبٍ . وليس ذلك مِنْ

= منتقلا في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقين ،
فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد
ابن صر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى من مع يزيد بلاء حسناً . فلما قتل يزيد
هرب من خوفه من المنصور ، ثم دخل من في شعبة المنصور وصار من خواصه .
وقتل من بسجستان ، إذ كان والياً عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة .
ورثاه مروان بن أبي حفصة بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان
والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحلهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المسكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أَكَالُو تَمْرٍ : أى لم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكَالُو تَمْرٍ » ، وتصحيحه
من س ، ه .

(٤) الْبَحْرَيْنِ ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت
من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أحبب » . وهو عكس المراد .

قَبِيلٍ رداةِ الغِذاءِ ، ولا من قِلَّةِ الحِصْبِ الشَّاعِلِ والغِنَى^(١) عن النَّاسِ ؛
وإِنَّمَا ذلك عن قُدْرٍ ما قَسَمَ اللهُ لهم من الحِظوظِ والغرائِرِ ، والبلادِ
والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون بحارِيَّ ملوكِ النِّينِ ،
وبحارِيَّ ساداتِ أعرابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم في الجاهليَّةِ كبيرُ حَظٍّ
في الشعرِ . ولهم في الإسلامِ شعراءُ مَفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرِ كانوا مَفْحَمِينَ^(٢) ، وكان ما أطلق اللهُ به ألسنةَ العربِ^(٣)
خيرا لهم من تصيير الشعرِ في أنفسهم .

وقد يَحْظَى^(٤) بالشعرِ نَاسٌ وَيُخْرَجُ^(٥) آخَرُونَ ، وإن كانوا^(٦) مثلهم
أو فوقهم . ولم تُمَدَحْ^(٧) قبيلةٌ في الجاهليَّةِ ، من قُرَيْشٍ ، كما مُدَحَّت

(١) في الأصل : « والغنا » .

(٢) في القاموس : « المفتح ككرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا
جاءت العبارة .

(٣) أى ما أطلق به ألسنة الشعراء في مدحهم ، فن ذلك قول حاتم الطائي (الأغاني ١٦ : ١٠٤)
والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحل في بني بدر
جأورتهم زمن الفساد فنع م الحى في الوصاء واليسر
فسقت بالماء النير ولم ينظر إلى بأعين خزر
انصارين لدى أعنتهم والطاعين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتم بنصارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر
وانظر مديح دريد بن الصمة لم في ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يخطأ » ، س : « يخطأ » ، صوابها ما أثبت .

(٥) كذا في س ، ط ، وى هـ : « يجرى » ، وربما كانت : « يجد » أى
يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه في ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحد من العرب ، ما تهيأ
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبد العزيز بن مروان أحظى^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم : ولم يكن أحدٌ من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أحظى .

(١) هو زُرارة بن عدس ، يسميتين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم رحرحان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يأليت شعري عنك دختوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتملق القزون أم تميم لايل تميم لأنها عروس

دختوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغافه

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » .

ه : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على

الرسول وأسلم وبعثه على صلقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على

مال عظيم ووفى به . الإصاية ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ

الأرب (١ : ١٢٥) فهي ممتعة . وعن رهن من العرب قوسه أيضاً . سيار

ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمال للأشود بن المنذر دية ابنه الذي قتله

الحارث بن ظالم ، ألف بغير ، وهي دية المملوك ، ورهته بها قوسه . انظر المقدم

(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس

الرقيات . ط ، س « أخطأ » ، ه : « أحظا » ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)

حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرّشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيّد^(٢) وعمّه^(٣) ، مَن أَحْظَاهُ^(٤) الشَّعْرُ .

وما أعلمُ في الأرضِ نعمةَ بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ أَعْظَمَ من أن يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصَّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربان من الحيوان لا يسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ في الأفاعي والنّعام .

واعتدّ من ادّعى للنّعام الصَّمَّ بقول علقمة :

فَوْهُ كَشَقَّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النخعي ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه : « أحظأ » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، نديه هارون الرشيد لقتال الوليد . ابن طريف الشاري الخارجي ، قُتِلَ وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو ممن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيّد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النخعي . ورثاه أبو موسى التيمي بمريّة سمعها الرشيد فبكى اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لمأخا من دموعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظي بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلي بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأ » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جملة ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يبينه » . س : « أسد » ه : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال ^(١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذكر ^(٢)
لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنَّار حارَّة .
[و ^(٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسمَعُ هذا الصَّوت ؛ لأنه
لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ

حَتَّى تَلَا فَيُوقِرُ الشَّمْسُ مَرْتَعٌ أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ ^(٤)
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ ^(٥)
ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِقْلَةُ سَفْعَاءِ خَاذِلَةٍ تَجِيهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ ^(٦)
وَاحْتِجَّ مِنْ زَعَمِ أَنَّهَا تَسْمَعُ ، بِقَوْلِهِ ^(٧) :
وَصُحْمٌ صِتَامٌ بَيْنَ صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ ثَوَامٌ بَيْنَ مِثٍّ وَمِذْبٍ ^(٨)

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع لذي
ذكر » ، صوابها ما أثبت من ه .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرعى » ه : « أرحى »
بحرفتان .

(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أفدائها » . وهي صحيحة ؛ فالأنداء :
جمع التنادي ، وهو يجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أهدائها » ، محرفة
عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س :
« صنعا » ، بحرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ماقى لونه غبرة . وقد عني بها الحمير ، كما في اللسان .
ط ، ه : « ضحم » س : « صحم » بحرفتان . والصتام : جمع صتم ،
بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنم » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عَرَارًا بِقَفَرَةٍ مُجِيبُ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثْقَبِ (١)
وقال الطَّوْرِمَاح :

يَدْعُو الْعَرَارُ بِهَا الزِّمَارَ كَأَنَّهُ أَلَمٌ تَجَاوِبُهُ النِّسَاءُ الْعُودُ (٢)
قال : وَصَوْتُ النِّعَامَةِ الذَّكَرُ : الْعَرَارُ (٣) . وَصَوْتُ الْأُنثَى : الزِّمَارُ .
وَأُنْشَدَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ (٤) ، قَوْلَ أَصَامَةَ بْنِ الْحَارِثِ
الْمُذَلِّ (٥) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّدًا كَمَا ذَكَرْتُ بَوًّا مِنَ اللَّيْلِ فَاقْدُ (٦)

- = « صِيَام » . وَأُثْبِتُ تَصْحِيحَ مَا فِي الْأَصْلِ . وَ« صَمَدٌ » بِالْفَتْحِ ، وَ« رَجُلَةٌ »
بِالْكَسْرِ : مَوْضِعَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَيْنَ خُمُرٍ وَرِجْلَةٍ » تَصْحِيحُهُ مِنَ اللِّسَانِ .
وَيُبَيِّنُ قَوْمًا : أَيْ أَزْوَاجَ . وَالْمِثْثُ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ مِثْثَاءَ ، وَهِيَ الْأَرْضُ السَّهْلَةُ .
وَالْمُذَلِّ ، كَثِيرٌ : سَبِيلُ الْمَاءِ .
(١) الْعَرَارُ ، بِالْكَسْرِ : صِيَاحُ الظَّلِيمِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَوَارًا » بِحَرْفَةِ . وَالزِّمَارُ
بِالْكَسْرِ : صَوْتُ أُنْثَى النِّعَامِ . فِي الْأَصْلِ : « تَجِيبُ زِمَارًا » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ .
وَسِعَادَةُ الْبَيْتِ فِي ص ٤٠٠ .
(٢) يَدْعُو ، هُنَا ، بِمَعْنَى يُجِيبُ ، كَمَا فِي شَرْحِ الدِّيَوَانِ ٨٩ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْعَوَارُ »
صَوَابُهَا فِي الدِّيَوَانِ . وَالْأَلَمُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْأَلَمُ . يُقَالُ رَجُلٌ أَلَمٌ وَوَجِيعٌ - كِلَاهُمَا
كَفْرَجٌ - وَفِي الْأَصْلِ : « أَيْمٌ » ، تَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْعَوَارُ » بِحَرْفَةِ .
(٤) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي زَعَمَ الْمُذَلِّ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ » . وَكَلِمَةُ « الْمُذَلِّ » مُقْتَصَّةٌ بِإِلَازِمٍ .
(٥) ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ وَقَالَ : مُخَضَّرٌ . الْإِصَابَةُ ٤٤٢ .
(٦) مُسَهَّدٌ : مِنَ السَّهَادِ ، وَهُوَ الْأَرْقُ . وَالْبَوُّ : وَلَدُ النَّاقَةِ . وَالْفَاقِدُ : الَّتِي فَقَدَتْ
وَلَدَهَا . س : « ذَكَرَ بَرًّا » ه : « ذَكَرْتُ بَرًّا » ط : « ذَكَرْتُ بَرْدًا »
وَفِي الْجَمِيعِ : « فَاقْدُ » بِالنَّصْبِ . وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مُوَافِقًا
مَا فِي بَقِيَّةِ أَشْعَارِ الْمُذَلِّينِ (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهْيِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ إِمَّا يَغْفِيكَ خَالِدٌ^(١)
وَأَمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكُنَّا نَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشْرَدُ^(٢)
وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ . ولو عني أَنَّ عَمَاهم كعمى العُمَيان ،
وصمَّهم كصمم الصَّمان ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا﴾ . وإنما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا
تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . وكيف تُسمعُ المدبرَ عنك !
ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمَى وَيُصَمُّ » . وقد قال الهذلي :

• تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمُشْرَدُ^(٣) •

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْيِ ،
وسكت — كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ
الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجِزُ :

رِدَى رِدَى وَرَدَ قَطَاةٍ صَمًّا^(٤) كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا^(٥)

-
- (١) في الأصل : « خالدآ » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
الشَّام » ، تصحيحه من اللسان (مهمل) وبقيّة أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
« وإني قد أمهلت » . وأمهلْتُ : بالغت . يقول : إن عصافى فقد بالغت في نهيه .
- (٢) تسمع : أى أصغى لسمع . ويروى : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرّد لا يصفى إلا ريشاً
يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشردا » ، وصوابه ما أثبت .
- (٣) في الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .
- (٤) يخاطب ناقته . والرجز في الواسطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبي سرق
منه قوله : « وورود قطا صم تشايخ في ورد » . وانظر الاستدراكات .
- (٥) الكدرية : واحدة الكدري ، وهو ضرب من القطا غير الألوان ، رقت
الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط —

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثنيها ويردّها^(٢) .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَسَكَانَمَا^(٣) دعوت به ابن الطود أو هو أمرع

والطود : الجبل . وابنه : الحجر الذى يتدهده^(٤) منه ، كقوله^(٥) :

• كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ^(٦) مِنْ عَلٍ •

وقال الزجاج :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بِصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمَّ الْأُذْنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واللسان (صم) وشرح عب الدين أفندى لشواهد الكشف .
استشهد به للزخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من
سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصمها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندى
بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ،
ط : « وكأنا » ، وأثبت ما فى ه واللسان والاساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ه : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن
« يتدهلى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

« مكر مفر مقبل مدبر معا »

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب فى س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بتران
غاضت إحدىهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه
من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس
يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل : « أصم » بدوفاً ، وهى ضرورة لوزن الشعر .
والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهْلِ بَيْرَانٌ^(١) ، وَالْأَبَارُ أَعِينُ ، فَغَوَّرَتْ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ^(٢) وَتُرِكَتِ الْآخَرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذُنَيْنِ » لِمَا^(٣) أَنَّ كَانَ عِنْدَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنَّ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتاً أَصَمُّ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ^(٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٨) ، حيث قال :

ولقد أَسْتَعِينُ يَوْماً عَلَى اللَّهِ إِذَا خَفَّ بِالْثَوَى الثَّوَاءُ^(٩)

(١) كذا جاءت في الأصل ، بتسهيل الهجزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه في س ، هـ .

(٤) أم عند المهمل .

(٥) في الأصل : « ففعل وفلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أي لأن . وحذف الجار مطرد في مثل هذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما في س ، هـ .

(٧) الحارثُ بْنُ حِلْزَةَ ، شاعر جاهلي من بني يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التي قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وطرفة بن العبد » .

(٨) في الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهي السرعة . وأما « الثواء » فهي قافية لمطلع المعلقة :

أَذْتَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءَ رَبِّ ثَاوٍ يَمِلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ .

بَرْفُوفٍ كَانَهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْعَاءُ^(١)
ثُمَّ قَالَ :

آنَسْتُ نَبَأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقَنْصَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)
فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشْيِ مَنِئِيًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)
ولو قال : « أَفْزَعَهَا^(٤) الْقَنْصَاصُ » ولم يقل : « آنَسْتُ نَبَأَةً » - والنَّبَأَةُ
الصَّوْتُ - لِكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمُّ صِلَابٌ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَانَ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والرثال : أولادها .
دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسقعاء : السوداء .
س : « صغاء » هـ : « صفعاء » بحرفتان . ورواية المملقات : « سقعاء »
أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن » خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،
فحمل الضمير على المعنى . والمئين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى
بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع في الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبط أهبطا .
أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى :
أن يجد الفرس فى حافره وجعا يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .
ط ، س : « تمين » هـ : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان
(وق) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرجا » صوابهما من المصدرين
السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطة ، ويستحب =

ولنما يعنى أَنهَا مُصَمَّتَةٌ غير جَوَاء . وقال الآخر :
 قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَّمَاءٍ
 يريد أَن حِلْمَهُ ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
 مصمّت . وقال الشاعر :

• وأَسأل^(١) من صَمَاءٍ ذاتِ صَلِيلٍ •

ولنما يريد أرضاً يابسة ، ورملَةً نَشَافَةً ، تسأل^(٢) الماء : أى تريده
 وتبتلعه ؟ وهى فى ذلك صَمَاءٌ .

(ذكر الصَّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ﴾^(٣)
 وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
 لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٤) . وذلك
 كله على ما فسرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

== إثرانها ؟ فلذلك شبهها بجزر الزال . والزال ، أصله الهز ، وخففه لمكان
 الغافية . وقيل البيت :

سليم الشظى عبل للشوى شجج التنا له حجبات مشرفات على الفال
 (١) س ، ه : « وأسل » . صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ،
 وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

• أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنْ أَنْتَ الْأَمُّ مَنْ مَشَى •

(٢) ط ، ه : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمَيَانًا^(١) ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ^(٢) 》 .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنترة :

ظَلَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِقِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٣)
وقال العجير السلولي :

وَقَدْ جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَابَ مُؤَخَّرًا فَفَهِنَ عَنْ صُلْعِ الرِّجَالِ حُسُورُ^(٤)
فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقًى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسَ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرِ^(٥)
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَاقَنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ^(٦) ١٢٦
وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قُلْ إِنَّمَا . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السهوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخُرْصَان : بالكسر والقسم : جمع خرص بالقسم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسَمْهَرِيُّ من الرماح : هو الصايب العود . والمثقف : المعدل المسوي بالثقاف . هـ : « المثقب » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

ظَلَلْنَا نَكْرُ الْمَشْرِقِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ لَدُنَّ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ

(٤) حُور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالألف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لَرُحْنَ وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والتساوي . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لَوْ أَنَّ الْجِبَالَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ وَقْعَهَا لَعَدْنَ وَقَدْ بَاثَتْ بَيْنَ فُطُورِ

(٧) والبيتان ليسا في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ (١)
لَا تَشْكِي (٢) شَرَّ جَارَتِهَا خُلِقَتْ غَلِيظَةً الْكَبَدِ

وَقَالَتْ جُمْلُ بِنْتُ جَعْفَرٍ :

بَنِي جَعْفَرٍ لَا سِلْمَ حَتَّى تَزُورَكُمُ بِكُلِّ رُدْبِيٍّ وَأَيُّضَ ذِي أَثَرٍ (٣)
وَحَتَّى تَرَوْا وَسَطَ الْبَيُوتِ مُغِيرَةً تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الدُّعْرِ (٤)
تَبِينُ لِيذِي الشُّكِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ دَرَى وَيُبْصِرُهَا أَلَا عَمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ (٥)
وَقَالَ دَرِيدٌ :

مَتَى كَانَ الْمُلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (٦) عَلَى وَلَايَةِ صَمَاءَ مِثِّي (٧)
(مثل وحديث في الصمم)

وَمِنَ الْأَمْثَالِ قَوْلُهُمْ : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ » (٨) ، قَالَ : فَأَصْلُهُ أَنْ

- (١) كَيْدٌ ، بِفَتْحٍ فَكسر : اسم جيل . في الأصل : « كَيْدِي » !
- (٢) فِي الْأَصْلِ : « تَشْكِي » ، وَبِذَلِكَ يَنْكسر الْوِزْنُ ؛ إِذَ الْبَيْتُ مِنْ بَعْرِ الْمَدِيدِ .
- (٣) الرَّدْبِيُّ : الرَّمْحُ الْمَأْسُوبُ إِلَى امْرَأَةٍ تَدْعِي وَدِينَةً ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا سَمْعَرُ يَقُومَانِ الْقِتْلَةَ بِحِطِّ هَرٍ . وَعَنْتُ بِالْأَيُّضِ : السَّيْفِ . وَالْأَثَرُ ، بِالْفَتْحِ : فَرْدُ السَّيْفِ . ط ، س :
- « أَثَرٌ » هـ : « أَسِرٌ » ، صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ .
- (٤) مُغِيرَةٌ : أَيْ خِيَلًا مُغِيرَةً هَاجِمَةً بِأَرْبَابِهَا . ط : « حَاشِيَةُ الدُّعْرِ » . وَأُثْبِتَ صَوَابُهُ مِنْ س ، هـ . وَلِلْعَرَبِ بَحَازٌ فِي مِثْلِ هَذَا . يَقُولُونَ : حَشَى الرَّجُلَ غِيظًا ، وَكِبْرًا ، كَمَا قَالَ الْمُرَارُ :
- وَحَشَوْتُ الْغِيظَ فِي أَضْلَاعِهِ فَهُوَ يَمْشِي حِظْلَانًا كَالنَّقَرِ
وَكَمَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ :
- وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا قَتْسَلِمَا . فَا حَشَى الْإِنْسَانَ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
- (٥) تَبِينُ : تَظْهَرُ هـ . وَالْوَقْرُ ، بِالْفَتْحِ : ثِقَلُ الْأُذُنِ ، أَوْ ذَهَابُ السَّمْعِ كُلِّهِ .
- (٦) الْقَطِينُ : تَبِعَ الرَّجُلُ وَمَا لِيكَهْ وَخَلْمُهُ .
- (٧) كَذَا جَاءَ هَذَا الشَّطْرُ .
- (٨) يُضْرَبُ مِثْلًا فِي الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ وَكَثْرَةِ الدَّمِ . الْمِيدَانِي (١ : ٣٥٩) .

يَكْثُرُ الْقَتْلُ وَسَفَكَ الدِّمَاءُ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَتْ حَصَاةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا صَوْتُ ، لَأَنَّهَا لَا تَلْقَى صَلَابَةَ الْأَرْضِ .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحمُ بَلَغَتْ الدَّمَائِ الثُّنَيْنَ ^(١) » ، يعنى ثُنَيْنٌ ^(٢) الخليل ، وهو الشعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب ^(٣) :

وَيُبْذَى نَحْوَةَ الْخِتَالِ عَنِّي جُرَازُ الْخَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتٌ ^(٤)
لَأَنَّ السَّيْفَ إِذَا مَرَّ فِي الْعِظَمِ مَرًّا ^(٥) سَرِيعاً فَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ — كَانَ
فِي مَعْنَى الصَّامِتِ ^(٦) .

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر دسع الدابة . ط ، هـ : « السن » س : « الس » صوابها ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن » ، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبية السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة .. وهو القائل :

ولولا الحبس لم يلبس رجال ثياب أئمة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعروف ٥٢ . والروض الأنف (١ : ٧٨) ..

(٤) ينفى : يبعد . ونحوه الختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الخد ، بضم الخيم : ماشيه ونافذه . وانظر ما يأتى في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينى الجاهل الختال عني رفاق الخد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نحوه الختال عني رقيق الخد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر » ، صوابه في هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم .. انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميادة :

متى أدعُ في قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ خائفاً إلى فَرْعٍ تُرْكَبُ إِلَيَّ خِيولُها^(١)
بلمومة كالطُودِ شهباءَ فَيَلْقِي رَدَاحَ يَصْمُ السَّامِعِينَ صَليْلِها^(٢)
لأنَّ الصَّوْتِ إِذَا اشْتَدَّ جَدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إن كان صاحبه أراد أن
يخبر عن شيء . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغْيٌ^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
من الفهم . فإذا لم يفهمها^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَّى
بجسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحول من
جوارهم في آخرين فأذوه ، فقال : « يَكُلُّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ »^(٧) .

(١) المراد بالخيل هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « ياخيـ
ل الله اركبي » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أي كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الثقيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ،
بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوت
ذوات الخف . هـ : « وما » ، صوابها ما أنبت .

(٤) س : « نفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . حل لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جبران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعِيسُ صُعْرٌ مِنَ الْبَرَى وَأَخْفَاهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِفُ^(١)

(قول منكّر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صمم شئ من الخلق : اعتلتم فى صمم النعام بقول

زهير :

[أَصْلَكُ مُصَلِّمٌ الْأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنُومٌ وَآءٌ^(٢)]

ويقول أوس بن حجر :

وَيَنْتَهَى ذَوَى الْأَخْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزَمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو فى موضع الحرمة^(٥) من البعير :

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموقِ وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي للحمير والدواب لكان كذلك . والمصلحة : السكك التى ليس لآذانها حجب .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع بزة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتزم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتماداً على ما سياتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأخلام هنا ، الألياب والمقول . وفى اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل له خزم لثقب فى منقاره » . وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبه بها . والحرمة ، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تعصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ما سبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ تسمعُ وتفهم الزجر ، وتجبب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتي للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفع صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفع والوضع^(٣) عند الصُّخُور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلها ، وجعل آذان النعام مصلومة ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْمٌ فالطير كله كذلك إلا الخفاش^(٤) . وكلُّ شئٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْمٌ آذان . ففى قصدهم بهذه الكلمة إلى النعام ، بين جميع ما ليس لأذنيه حَجْمٌ ، دليلٌ على أن تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

قُوهِ كَبَشٌ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَتْ أَسَاكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَضْلُومٌ^(٥)
وقالت كبشة بنت معديكرب^(٦) :

- (١) ليست بالأصل . ومثلها يستقيم للكلام .
- (٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لا وجه لوجودها .
- (٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .
- (٤) س : « لا الخفاش » ط : « الألفاش » . وأثبت الوجه من هـ .
- (٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .
- (٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبي تمام (١ : ٧١) والبحتري ٣٠ وأماى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشمر ٣٣٥ والخزانه (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد قال الشعر حينما قتل أخوها عبيد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، ففضبت هى وقالت الشعر تحفضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهْمَ دِي (١)
 وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِلَّا لًا وَأَبْكَرًا وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظَلِّمٍ (٢)
 جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ (٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ (٤)
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّشَرُّوا لِأَخِيحِكُمْ فَشُوا بِأَذَانِ النِّعَامِ الْمَصْلَمِ (٥)
 فَلَوْ كَانَتْ إِنَّمَا تَرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ لِمَسَامِعِهَا حِجْمٌ ، كَانَتْ الدُّنْيَا لَهَا مُعْرَضَةٌ .
 وقال عنتره :

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » محرفة .
 وفي ط : « لا تغلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دى عقلًا . والمقل ، بالفتح :
 الهدية . وهي رواية الحماسة وأمال القائل (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمال
 (٣ : ١٩٠) : « ألا تغلوا » . وفي حاسة البحري : « ألا يعلوا » تحريف
 رواية هـ .

(٢) الإفال : جمع أنفل ، وهو من أولاد الإبل ما ألق عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
 جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : بخلاف من مخاليف البين . وجعلت قبره
 مظلمًا لما يزعمون من أن المقتول إذا ثاروا به أضاع قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
 أظلم . التبريزي . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
 من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتم قومكم . ورواية الأمال :
 « قومه » ، وفي الخزائن : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن ، أى يابى مازن . والخزيم ، كذا جاء هنا بإصباح الخاء والزاي . وكذا في الأمال .
 لكن ضبطه صاحب الخزائن بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهمله . ومهما يكن فهو ،
 كما قالوا : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن
 فشرّب ، ففتنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشييب بامرأة من بنى زبيد ، فظلمه عبد الله
 وسبه ، فنادى الحبشى : والساكن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمال والأغاني
 (١٤ : ٢٢) . والرواية في الأغاني :

أَيَقْتُلُ عَبْدُ اللَّهِ سَيْدَ قَوْمِهِ بَنُو مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ
 (٥) هـ : « لم تغلوا » محرفة . وروى : « لم تتشاوروا واتدبتم » و : « لم تقتلوا واتدبتم » .
 و : « لم تغلوا بأخيك » .

وكانما أَقْصَى الإِكَامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمُنْسَمِينَ مُصَلِّمٌ ^(١)
 تَأْوِي لَهُ حِزْقُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزْقُ يَمَانِيَّةٍ لَأَعْجَمَ طَمَطَمٌ ^(٢)
 ولو كان عنترة إنمّا أراد عدم الحجم ، لقد كانت الدنيا له معرضة .
 وقال زهير :

بَارِزَةِ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخْنِهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ ^(٣)
 كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّلَامِ جُوجُوهٌ هَوَاءٌ ^(٤)
 أَصْلَكَ مُصَلِّمٌ الْأُذُنَيْنِ ، أَجْنَى لَهُ بِالسَّيِّئِ تَنْوُمٌ وَآءٌ ^(٥)

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإنّا لا نقول ذلك ، ولكن العرب في أمثالها تقول : إنَّ
 النَّعَامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَتَقْطَعُوهُمَا أَذْنَيْهَا ^(٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
 وسوء التدبير . فإذا ذكر الشاعرُ الظَّليمَ ، وذكر أنَّه مُصَلِّمٌ الْأُذُنَيْنِ ،

(١) يقول : كأنما أكر الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كجلس :
 الظفران المقدمان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً . و « بين »
 تقرأ بالجر . ورواها بعض القويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
 ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزو : متداخلة مدججة .
 س : « بيارزة » ، هـ : « الفقارة لم يحبها » ، صوابه في ط وديوان
 زهير ٦٧ واللسان (آرز ، قطف ، خلا) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
 ٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من يأي ضرب ودخل - :
 أساءت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرت
 من غير حلة .

(٤) جوجوه هواء : أي صدره فارغ لا قلب فيه ، فهو كاللذعور يسرع العدو هرباً .

(٥) الأصل : المتقارب العرقوين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فلانما يريد هذا المعنى . فكثُرَ ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صكَّاء . وسواء قال صكَّاء ، أو قال نعامه ، كما أنه سواء قال خنساء أو قال مهاة ونَعَجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ (١) الطُّبَاءَ والبقرَ كلها قُطُسٌ خُنُسٌ . وإذا سَمَّوْا امْرَأَةً خُنْسَاءَ فليسَ الخُنُسَ والفطسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاةٌ وظبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علسٍ (٢) في صفة الناقة :

صَكَّاءٌ ذِعْلَبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا هُلُوعٌ (٣)
فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنَّه قد أَحَسَّنَ فيه جدًّا .

والصَّكَّاءُ في الناس ، والاصطكاكُ في رجلٍ الناقة عيب (٤) . فهو لم يكن ليصِفْهَا بما فيه عيب (٥) ، ولكنَّه لا يفرق بين قوله [صكَّاء ، وبين

(١) من مبدل : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيب ، كمظم ، بهذا ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفصليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أودع بني عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سينالك والقوم ! وضبطه صاحب الخزائنة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزائنة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الهمزة واللام : الناقة السريمة . والحرج : الجسمية الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وضوَابُ إنشاده ، كما في اللسان (هلم) والمفصليات ١٦ :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع
إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتقبل حاجتها إذا هي أعرضت بخيصة سرح اليمين وساع
(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محروقة .
(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي هـ : « فلولم يكن يصفها » . الخ .

تَقُولُ^(١) [نَعَامَةٌ^(٢)] ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بَعِيرٌ^(٣) . قال الرازي :

لِي لِي أَنْكَرَ أَوْ تَوَسَّما أَخُو خَنَائِرَ يَقُودُ الْأَعْلَمَا^(٤)
كَأَنَّهُ يَقُولُ : يَقُودُ بَعِيرًا . وهو كقول عنزة :

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْدَلًا تَمَكُّو قَرِيبَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ^(٥)
(رَدَّ مَدْعَى الصَّمَمِ)

فَقَالَ مَنْ ادَّعَى لِلنَّعَامِ الصَّمَمِ : أَمَّا قَوْلُكُمْ : مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّعَامَةَ
تَسْمَعُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

• تَدْعُو النَّعَامُ بِهِ الْعِرَارَ^(٦) •

وقوله :

مَتَى مَا تَشَأْ^(٧) تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يَجِبُ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثْقَبِ
وقوله^(٨) :

أَتَسْتُ نَبَاةً وَأَفْزَعَهَا الْقَسْنَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِنْسَاءُ
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أحم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخنائير : الدواهي . والريز رواء الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . ه : « وحليل »
بانحاء المعجزة .

(٦) سبق البيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتينا » . وصوابه ما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة الليشكري ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورَةِ حَرَكَتِكَ^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدْعُوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَكَ قطُّ فيقصدُ إليه ، ولكنه يزيد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولّد الصوت ، أَرادَهُ هو أو لم يردّه^(٢) . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدُ إلى الصَّباح ، ولكنه متى أدار لسانَهُ في جَوْبَةٍ^(٣) الفم بالهواء الذي فيه ، والنفس الذي يُخَصِّرُهُ جُمَاعُ الفم^(٤) ، حَدَثَ الصوت . وهذا إنما غَايَتُهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى^(٥) النَّاسَ يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحدّ^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول تَرَدِّدِهَا على عينيهِ ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ يَدَيْهِ كما يضربون . فالنَّعَمَةُ تعرف^(٧) صورة إشارة الرُّثْلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يردّه » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوجة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابها ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالميم ، محرف .

(٧) ط : « ترق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتعقل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالتهما » .

(شم النعامة)

والعرب تقول : « أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمٌ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الراجز :

• أَشْمٌ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلٍ ^(١) •

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

• وَهُوَ يَشْتَمُّ اشْتِمَامَ الْهَيْقِ ^(٢) •

قال : وأخبرنا ابن الأعرابى أن أعرابياً كلم صاحبه ، فرآه لا يفهم عنه

ولا يسمع كلامه فقال : « أَصْلَخُ كَصَلَخَ ^(٣) النّعامة ! »

(شم الفرس والذئب والذّر)

وقد يكون الفرس فى الموكب وخلفه ، على قاب غلوتين ، حَجْرٌ أو

رَمَكَةٌ ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ ^(٥) تَحْتَ رَاكِبِهِ ، من غير أن تكون صَهْلَتِ :

والذئب يشتم ويستروح من ميل ، والذرة تشتم ما ليس له ريح ، مما

لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة وإن أجذت التشمم ، كرجل

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظلم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه

يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسى واهتدى ألى وشى

وفى اللسان : « وإذا دعى عل الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط :

« أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرفونة

تنخذ للفلس .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س ٨) .

ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا^(١) من يدك في موضع لم ترفيه ذرة قط ، فلا تلبث أن ترى الذرَّ إليها كالخيوط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استبرواح الناس :

وجاء كمثل الرّالِ يتبع أنفه^(٢) لعقبينه من وقع الصُّخورِ قعاقع^(٣)
فإن الرّالَ يشتم^(٤) رائحة أبيه وأمه والسَّبْعِ والإنسانِ من مكانٍ بعيد .
وشبهَ بدرجلاً جاء يتبع الرِّيحَ فيشتم^(٥) .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضبْ لمطلبِ أنفه^(٦) أو عرسِهِ لكريمةٍ لم يغضب^(٧)
ومطلب أنفه : فَرَجُ أمّه ، لأنَّ الولد إذا تَمَّتْ أَيْامُهُ في الرِّحم ، فَلَا
مَكَانَهُ^(٨) وكرهه ، وضاق به موضِعُهُ ، فطلبَ بأنفه موضعَ المخرَجِ ممَّا
هو فيه من الكرب ، حتَّى يصيرَ أنفه ورأسَهُ على فم الرِّحم ، تِلْقَاءَ فم المخرَجِ .
فالأناء^(٩) والمكانُ يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتبسُ تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألغى ورمى . ط : ه : « ينقلها » ، صوابه في س وفي أمثال الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرال : فرخ النعام . ه : « لعقبينه » محرفة .

(٣) س : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كُتُبِ الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكُتُبِ الثعالبي ٧ : « وإذا الكرم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان (أنف) : « وإذا الكرم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أي كما عند الجاحظ . والبيان : « أو عرضه لكريمة » .

(٥) قلاه ، كرماء ورضيه ، قَلَى وَقَلَاءَ وَمَقْلِيَّةٌ : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشيء .

ولولا أنه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَهُ من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخرَ خلافِ عالمه الذي رُبِّي فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السمكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لَمَّا كَانَ قابلاً لطباعِ السمك [غاذياً^(١)] لها ، والسمكُ^(٢) [مريداً له ، كان في مفارقتهِ له عطْبُهُ . وكان في مفارقة الولد لجَوْفِ البطنِ واعتذائهِ فضلاتِ الدَّمِ ، [مَا لَا يَنْقُضُ^(٣)] شيئاً من طباعهِ وطباعِ المكان الذي كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهلي :

والمرءُ لم يغضب لمطلبِ أنفه أو عِرسه لكِريهٍ لَمْ يَغْضَبِ^(٤)

يقول : متى لم يَحْمِرْ فرجُ أمِّه وامراته ، فليس يَمْنُ يغضب من شيء

يُوُول إليه .

(قول المتكلمين في صمم الأخرس)

وزعم المتكلمون أَنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنه لم يُوتَ من العجز عن ١٣٠
المنطق لشيءٍ في لسانه ، ولكنَّهُ إنما أُبَي في ذلك ؛ لأنَّهُ حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصد إليه . وأنَّ جميع الصَّمِّ ليس فيهم مُصَمَّت^(٥) ، وإنما يتفاوتون^(٦) في الشَّدَّةِ واللَّيْنِ ، فبعضهم يَسْمَعُ الهدَّةَ والصَّاعِقَةَ ، ونهيق^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ليست بالأصل . ومثلهما يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت في ٤٠٣ . وموضع حيزه في كل من ط ، ه كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أي تام الصمم خالصه .

(٦) في الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، ه : « ونهيق » ، وإنما النعيق للغراب والجرار . وصوابه في س .

والرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرَّارَ ^(١) ، وإذا رَفَعْتَ له الصَّوْتَ لم يَسْمَعْ . ومتى كَلَّمْتَهُ وَقَرَّتِ الشَّكَايَةُ ^(٢) في أذنه ، فَهِمَ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتَ على ذلك المَقْدَارِ في الْهَوَاءِ ، ولم يكن يَنْفُذُ في قَنَاقَةٍ تَحْصُرُهُ وتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إلى دِمَاغِهِ - لم يفهمه .

فالأَصَمُّ في الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هو الْأَخْرَسُ ، وَالْأَخْرَسُ إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ على التَّشْبِيهِ والقَرَابَةِ . ومتى ضَرَبَ الْأَصَمُّ من النَّاسِ إِنْسَانًا أو شَيْئًا غَيْرَهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ لم يَبَالِغْ ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الضَّرْبَةِ . قال الشَّاعِرُ ^(٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصَمِّ فَأَقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مُخْلَبٌ ^(٤)
وقال الْأَسَدِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الْكُمَاةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بَأْنَ لَا خُلُودًا ^(٥)

(١) السَّرَّارُ ، بالكسر : مصدر سارَه يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كَذَا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعني بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهل قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . وخازم بالخاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) في اللسان : « ويقال للتذير إذا أُنذِرَ قوماً من بعيد ، وألَمَّ لهم بثوبه : ألَمَّ بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانيين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرفهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمخلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالخاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

ويتصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بني أسد آية إذا جثت سيدهم والمسودا

«وَضَرَبَ الْجَاجِمَ ضَرْبَ الْأَصَدِّ مَّ حَنْظَلٌ شَابَةٌ يَجْنَى الْهَيْبِدَا^(١)
وقال الهذلي^(٢) :

فَالطَّنُّ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا^(٣)
وإنما جعله تحت الدِّيمَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَغْصَانَ وَالْأَشْجَارَ تَصِيرُ أَلْدَنَّ
وَأَعْلَكَ ، فَيَحْتَاجُ الَّذِي يَضْرِبُ تِلْكَ الْأَصُولَ قَبْلَ الْمَطَرِ ، إِلَى عَشْرِ ضَرْبَاتٍ
حَتَّى يَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَضْرُوبَ ؛ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمَطَرُ احْتَاجَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ .

(١) وضرب الجاجم : أى وأوصيكم بضرب رهوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظلم
من التعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجربي ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باء موحدة ساكنة . والجربي ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادي فى الخزنة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب المدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبي كبير
الهذلي . وليس بذلك . وقد نسبته المسكوى فى ديوان المعاني (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزنة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عصد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلي » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنن فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزنة :
« شغشغة » . وفى الأصل وديوان المعاني : « شعشة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والخصص (٥ : ١٣٥) والمدة . والمعنة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعنة
أيضاً : التمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقعة » وأثبت ما فى س . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . وافيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الراى فيستظل به من المطر .
« فسد ، بالتحريك : ما قطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعري)

وأنشدني يحيى الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيُونِ سَيْبِكَ الْحَدِيدِ يَوْمَ الْجَنَائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ، فسألتُ بعضَ الصَّيَاقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيْنُ معروف .
إِذَا أَخْرَجْنَا الْحَدِيدَةَ مِنَ الْكَبِيرِ فِي يَوْمِ شِمَالِ^(٣) ، واحتاجت في القطع
إلى مائة ضربة ، احتاجت في قطعها يومَ الْجَنُوبِ إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشدَّ من ذلك الضَّرْبِ ؛ لِأَنَّ الشِّمَالَ يُبَيِّسُ وَيَقْصِفُ ، والجنوب
يرطَّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أخرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبين الأصوات التي
تخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال في غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثير :

أَلَمْ تَسْأَلِ يَا أُمَّ غَمْرٍو فَتُخْبِرِي سَلِمَتِ وَأَسْمَاكَ السَّحَابُ الْبَوَارِقُ ١٣١
بُكْيَا لَصَوْتِ الرَّعْدِ خُرْسُ رَوَائِحِ وَنَعَى وَلَمْ يُسْمَعْ لَهْنُ صَوَاقِقِ^(٥)

(١) هـ : « الأعر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التي
تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى عل المعنى الحقيقي للأخرس .

(٥) هـ : « روائج » بدل : « روائح » . ونعق ، كلما وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « ما زلت تحتَ عينِ خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أَيْاماً تمطر . وإذا كثُر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرق^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سَمِعْتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرَّعْدُ يكون في الأصل قبله
ولكنَّ الصوتَ لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصر أشدُّ
تقارباً من الصوتِ والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إِمَّا حَجَراً ، وإِمَّا دَابَّةً ، وإِمَّا ثوباً ، فترى الضَّرْبَ^(٢) ثمَّ تمكثُ وقتاً
إلى أن يأتِكَ الصوتُ .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوَّت السَّحابة لم تبشِّر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رِزٌّ^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصَّخْرَةُ في هذه الصِّفَةِ سَمِيَتْ صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيءُ كَتِييَةً مَلُومَةً مَكْرُوهَةً يَحْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادى صَخْرَةً ، حِينَ أَعْرَضْتُ ، من الصَّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلْتُ

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قول زهير :

وَتَنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَحْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيعُ ذُو الْفُؤَادِ الْهَادِي ^(١)
قَفَرٍ هَمَجَتْ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَاثِمٍ ، وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي ^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عُنُسٍ ضَامِرٍ لِحَاظَةِ طِفْلِ الْعَشْيِ سِنَادِي ^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةُ عَمِيَاءَ ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أَمَارَاتٍ .

(الزَّيَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّيَابَةُ ^(٥) ، عَمِيَاءٌ [صَمَاءٌ ^(٦)] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

(١) المشيع ، يفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لا يتخذله ، فكأنه يشيمه . والفؤاد الهادي : المهتدى ، أو الذي يهتدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهي ما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوم ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوماً كان ، أو غير نوم . المخصص (١٠٤ : ٥) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرائها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت في معناه قول الآخر (الخزنة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يأرب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قند ، بالتحريك ، وهو أداة الرجل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقمة ، بالفتح : وهي النومة في آخر الليل . ومثل العشي : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكرّر اللفظ في ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

بحالية حروف سناد يشلها وظيف أزج الخطر ظمآن سهوق
وفي الأصل : « سنادي » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزيابة بفتح الزاي ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » هـ : « الزيابة » . صوابها ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ما تقتضيه المقارنة الآتية .

بِالْخُلْدِ ؛ لِأَنَّ الْخُلْدَ أَعْمَى وَلَيْسَ بِأَصَمَّ .

وَالزَّبَابُ ^(١) يَكُونُ فِي الرَّمْلِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :

وَهُمُ زَبَابٌ حَازِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَغْدًا ^(٣)

(الْأَعْمَى مِنْ وَلَدِ الْحَيَوَانِ)

وَكُلُّ مُوَلُودٍ فِي الْأَرْضِ يُوَلَدُ أَعْمَى ، إِنْ كَانَ تَأْوِيلَ الْعَمَى ^(٤) أَنَّهُ

لَا يُبْصِرُ إِلَّا بَعْدَ أَيَّامٍ . فَتَنَّهُ مَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ كَالْجُرُورِ ^(٥) ؛ إِلَّا أَوْلَادَ

الدَّجَاجِ ؛ فَإِنَّ فَرَارِيحَهَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ كَاسِيَةٍ كَاسِيَةٍ .

(شُعْرٌ فِيهِ مَجُونٌ)

وَقَالَ أَبُو الشَّيْمَقِ - وَجَعَلَ الْأَيْتَرَ أَعْمَى أَصَمَّ عَلَى التَّشْبِيهِ - فَقَالَ :

فَسَلَّمْ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوَّتْ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ

(١) ط ، هـ : « الزَّبَاب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
والسان (زب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت قرعة . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو
زباب » ط : « فهو ذباب » ، وفي الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذنان »
مكان : « والآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون
الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأمد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س :
« كالجرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى
شرة أيام وأكثر . وقد يعرض شيبه بذلك لكثير من السباع » .

بأصلعَ ومثلِ الجرؤِ جهْمَ غَضَنْفَرٍ مَعَاوِدِ طَعْنِ جَائِفٍ ومِنَادٍ^(١)
أَصَمَّ وَأَعْمَى يُنْفِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يسير على مِيلٍ بغيرِ قِيَادٍ^(٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردَّ عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةٍ :
هَلْ بِاللَّيَّارِ الْغَدَاةُ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ يَرْبِعُ الْجَمِيعُ مِنْ أَنْسٍ^(٣)
سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَمِيرَتَهُ وَجُوذُرٍ يَرْتَعِي عَلَى كُنُسٍ^(٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِهَيْقَلَتِهِ مَتَى تَرُعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ^(٥)
فَقَدْ قَالَ طَرْفَةٌ كَمَا تَرَى :

• مَتَى تَرُعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ •

وقال الآخر : جوابنا في هذا هو جوابنا فيما قبله .

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .
(٢) أنفص رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .
ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى هـ ، وهو أجود .
(٣) الأنس ، بالتحريك : الحمى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شيء يتخذة الظباء ، تجذب أنفصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرتعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « يجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فقلل يهتجس ويهتجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكهامة)

وروى الهيثم بن عدي ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيَّان عند خالد بن عبد الله ^(١) ، أحدهما تميمي والآخر أزدئي ،
فضرط الأزدئي ضرطة ضئيلة ، فقال التميمي :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحَلًّا وَلَوْ أَنَّنِي حَبَقْتُ لَأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَدَا ^(٢)
فَرَّ كَمَرُ الْمَنْجَنِيْقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدْءًا عَمْرَدَا ^(٣)

(مَنْ لَقِيَهُ : نَعَامَةٌ)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنَّ كلَّ عربيٍّ [وأعرابيٍّ]
كان يلقَّب نَعَامَةً ، فإنما يلقَّب بذلك لشِدَّةِ صَمَمِهِ . وأَنَّهُ سألَهُ عن الظلمِ :
هل يسمع ؟ فقال : يَعْرِفُ بَأَنْفِهِ وَعَيْنِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى سَمْعٍ .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الْحَقْلِ يَشْتُمُ رَأْيُهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمَهَا ^(٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحئل ، بالحاء
المهملة بعدها مثناة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيَّتها : من
جِه نيك ، أى أنما أجودى . يَبْذُ : يقلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبده ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب الماقل . وبدا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « بده » هـ : « بدها » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الثم . وفي
ط ، هـ : « شوهما » س : « ثوهما » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أَنَّ لَقَبَ بَيْهَسٍ ^(١) نَعَامَةٌ ، وَأَنَّهُ لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي خَلْقِ
نَعَامَةٍ ، وَكَانَ شَدِيدَ الصَّمَمِ مَائِقًا ^(٢) . فَأَنشَدَ لَعْدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ^(٣) :
وَمِنْ حَذَرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٌّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ ^(٤)
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَعَ الْقَوْمُ رَهْطُهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ ^(٥)
وَقَالَ الْمُتَنَخِّلُ الْهَذَلِيُّ ^(٦) ، وَذَكَرَ سَيِّفًا :
مُنْتَخَبُ اللَّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخَذَعِلِ ^(٧)

(١) بيهس : رجل من بني فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ -
١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزائفة في (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
في مثل : « شكل أرامها ولدا » .
(٢) مائقا : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
سمى نعامه بقوله :

فَلَا طَرْقَنَ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَنَ بِرِكَاةِ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس القيسى ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكما في الأغاني
وحامدة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبحتري ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦)
ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزائفة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
الجاحظ البيهتين في البيان (٤ : ٢٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد النخعي .
ورواية البيان : « ولاق الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزائفة ، والميداني :
« ورأى الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر
من شعراء هذيل . وهو جاهل كما في الخزائفة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من
يقال له : (المتنخل السعدي) ذكره الآمدي في المؤلفات ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو في هوجه كالمجنون . ورواية اللسان :
(غذل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفي الأصل :
« خدباء » تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذل : أى كالشق من ثوب الخذل
وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السيف أهوجٌ لاعتقل له . والحَدَبُ ^(١) في هذا الموضع :
الهوج ^(٢) ، وتهاوى الشيء لآيئالك . ويقال للسيف : لايبالي مالقى .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّألِ فِي جَرْمِهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا ^(٣)

« كحوصلة الرأل » يصف الخمر بالحمرة . جليت : أخرجت ، وهو

مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إِذَا قَعَدَتْ عَنِ الطَّلَبِ ^(٤) . ومثله
في [غير ^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تَأْوَى إِلَى حِسْكِلِ مُحَرِّحَاوِصِلُهُ كَأَنَّهِنَّ إِذَا بَرَّكُنْ جُرْثُومُ ^(٦)

وقال الأخنس بن شهاب ^(٧) :

تَقْظُلُ بِهَا رُبْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجِّى بِالْمَسَاءِ حَوَاطِبُ ^(٨)

= لتتحمل عيهم وحقهم . ط ، هـ : « الخزل » صوابه . بالذال ، كما في
س ، والسان .

(١) في الأصل : « الحلب » بالخاء ، صوابه بالمجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحق والرغوة . هـ : « الهج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جرمها : أى عند سيلانها وتدفعها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلة
حرء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهل قبل الإسلام بدر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق)
نقلا عن شرح المفصليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أريد وربدها ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهى المملوكة . والحواطب : اللاتي يجمعن الخطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تَرْجِي : تَذَقُّعُ^(١) ، وذلك أَنَّهُ يَثْقُلُ جِلْهَها فتمشى مِشْيَةَ النَّعَامَةِ .

وقال الرَّاجِزُ^(٢) :

وَإِذَا الرِّيَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ^(٣)

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يقول تَبَادَرُ إِلَى الكَثِيفِ^(٤) تستتر به^(٥)

من البَرْدِ . وقال :

رَتَكَ النَّعَامَةِ فِي طَرِيقِ حَامٍ^(٦) .

= المختصات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعين ، فهن يمشين على تودة . انظر شرح
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . وروى :

« تَرْجِي » بنزع إحدى التامين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة الإشكري ، من قصيدة مفضلية .
٢٥٥ أولها :

طرق أنيال ولا كليلة مدلج سدا بأرحلتنا ولم يتمرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآق يشهد لصحة هذا النص عنده هو ،

وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والنسب ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللَّقَّاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعَامُ إِلَى كَثِيفِ الْعَرَفِجِ .

وبعده :

أَلْفَيْنَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ .

اللقاح : الإبل ، وأصلها لقوح ، بالفتح . تروحت بمشية : سارت في آخر

النهار راجعة إلى ماؤها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح .

والتعريك : مقارنة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكثيف ، بالنون ، فهو حظيرة .

تمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفي الكلام نقص ، امله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحش : دخل في كئاسه .

(٦) طريق حام : أى حى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظلم للريح)

وليسَ لقولٍ مَنْ زعمَ أنَّ الظلمَ إذا عدا استقبلَ الرِّيحَ [وإنما ذلك
خافَةٌ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكيتُه ^(١) - معنى ؛ لأننا نجدُهم يصفون
جميع ما يستدعونُه ^(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عبدة بن الطيب ، يصف
الثور :

مستقبل الرِّيحِ يهفو وهو مبتكٌ لسانُه عن شمالِ الشَّدقِ معدولٌ ^(٣)
ووصف الذَّيْبَ طفيلُ الغنوى ، فقال :

كسيدِ الغضا العادي أضلَّ جرأه على شرفِ مُستقبلِ الرِّيحِ يلحِب ^(٤)

(١) تسكيت : تصرعه لوجهه ، كبت يكتب كثيراً فاندكبت . ومن ذهب هذا المذهب
شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ،
لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألفتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يسترعونه » ، أى يمدونه سريعاً . وقد علل الأمر
صاحب اللسان بقوله : « وامتنحز الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛
ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ شَخْصًا وَاحْلِيلُ تَهْفُو هُفْوًا ظِلٌّ فَتَحَاءَ الْجَنَاحِ

وابترك : انتهى على أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مثبك » س :
« مشترك » صوابها من المفضليات ١٤٠ . والشَّدق هي في س : « البدق » ه :
« البدق » صوابها في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، ه :
« يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تاجاً إليه الذئب . وذئاب الغضا
أخيذ الذئاب . ط : « الماوى » ه : « الماوى » ، صوابها في س . ورواية الديوان :
« الغادى » . أضل جرأه : فقد أولاده ، فهو يصرع في عدوه مجتهداً ليبحث
عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « علًا شرفًا » . يلحِب : =

(استطراد)

وَيُلْحَقُ^(١) بِمَوْضِعِ ذِكْرِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ : « ضَرَبْنَاَهُمْ
 ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِيلِ » . قَالَ أَبُو حِيَّةَ :
 جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا
 وَأَنْ يَتْرَكُوا السَّكْبَشَ الْمَدَجَّ ثَاوِيًا^(٢)
 ضَرَبْنَاَهُمْ ضَرْبَ الْحَسَامَا غَرَائِبَ

وَإِذَا جَاءَكَ عَطَاشًا لَعَسَا حَرَارًا ضَوَارِيًا^(٣)
 وَإِذَا جَاءَتْ عِطَاشًا قَدْ بَلَغَ مِنْهَا الْعَطَشُ وَالْيَبْسُ ، قِيلَ : جَاءَتْ تَصِلُ

= يَمُرُّ مَرَّ سَرِيحًا . وَفِي الْأَصْلِ : « يَلْهَثُ » ، صَوَابُهُ مَا أَتَيْتُ . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ بَائِيَةٍ
 لِعُفْلِيلٍ ، أَوَّلُهَا :

تَسَاوَيْنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصِيبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ
 وَهُوَ قَدْ نَمَتَ بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِظُ فَرَسًا شَبَّهَ بِالذَّبِّ . وَقَبْلَ الْبَيْتِ :
 كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجَاهِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يَتْلَهَبُ
 (١) الْكَلَامُ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ فِي الصَّفْحَةِ الْآتِيَةِ : « وَزَعَمَ ابْنُ أَبِي الْعَجُوزِ » ، اسْتَطْرَادَ
 مِنَ الْجَاهِظِ لِعِلَاقَةِ هَذَا بِالْكَلَامِ السَّابِقِ .
 (٢) الْقَنَا : الرِّمَاحُ . يَخْضِبُونَهَا : أَيِ يَلْعَمُ الْأَعْدَاءُ . وَالسَّكْبَشُ : الْقَائِذُ ، أَوِ الرَّئِيسُ .
 الْمَدَجُّ : ذُو السَّلَاحِ . ثَاوِيًا : مُقْتَوْلًا . هـ : « الْكَيْسُ » س : « الْكَيْسُ »
 س ، هـ : « الْمَحْدَدُ » مَكَانٌ : « الْمَدَجُّ » ، هـ : « قَاوِيَا » . وَصَوَابُ
 رَوَايَةِ الْبَيْتِ مِنْ ط .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ س . هـ : « وَإِذَا جَاءَتْ » . وَهُوَ كَلَامٌ مُحَرَّفٌ مَشْيَأُ ،
 لَمْ أَجِدْ لَهُ مَرْجِعًا يَمِينُ عَلَى تَحْقِيقِهِ .

أجوافها صليلاً . قال الراعي :

فَسَقَوْا صَوَادِيَّ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجْوَاهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العَقِيلِيَّ (١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظِمُّوْهَا تَصِلُ ، وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيرَاءَ تَجْهَلُ (٢)

قال : الزِّرَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنِّي إِذَا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُهَا فَتَجَلَّتِ (٥)

١٣٤ رجعت إلى صَدْرِ كَجَرَّةٍ حَتَمَ إِذَا قَرَعْتَ صِفْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتِ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بنو إسماعيل ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زعم جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروى في الكامل والمختصر . (١٤ : ٥٧) : « تم خسبا » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد في الاقتصاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صل) . ط : « بعدما » تحريف . والقَيْض : بالفتح : قشر البيض الأعل . والزيراء ، بالكسر والفتح : ما غلظ من الأرض . هـ : « عن قَيْضٍ بَزِيرَاءَ » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غداة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل التعجيل . والعرب تقول : يكر إلى العشية ، ولا يكرور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حتم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجه . والميرة ، بالفتح : الدعة . نهنها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الخوَّاء)

وزعم ابن أبي العجوز الخوَّاء ، أنَّ الأفاعى صُمٌّ ، فلذلك لا تجيب الرُّقى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس^(١) أنَّ أمير المؤمنين المنصور ، أراد امتحان رُقَى حَيَّة^(٢) وأنَّ يتعرَّفَ صَحَّتْها من سُقْمِها ، وأنَّه أمر^(٣) فصاغوا له أَفْعَى من رصاص ، فجاءت ولا يَشْكُ النَّاطِرُ فيها ؛ وأنَّه أمر^(٤) بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وأنَّه أحضره وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارت فى هذه الدَّارِ ، وقد كرَّهْتُها لمكانها ؛ فإنَّ اختَلَّتْ لى برُقِيَّةٍ ، أو بما أُحِبَّتْ^(٥) أحسنتُ إليك . قال : إنَّ أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبْتُ^(٦) ولكنَّ أرقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لا تتحرَّكُ زادَ فى رَفْعِ صوته وألقى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نزعَ عِمَامَتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوته ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نزعَ قلنسوته وزادَ فى رَفْعِ صوته . فلما رآها لا تتحرَّكُ نزعَ ثِيَابِهِ ، وزادَ فى رَفْعِ صوته^(٧) ، حتَّى أزيدَ^(٨) ، وتمرَّغَ

== انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . ويجعل صدره كالجرة من الختم ، فى صلابتها وشدها .

(١) يدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبي العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، ه : « جده » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٢٠ ٤ س ٢ .

(٣) ط ، ه : « فأمرهم » .

(٤) ط ، ه : « ثم أمر » .

(٥) ط ، ه : « أحسنت » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدأ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . ه : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر

منه الزيد على جانبى الشفتين .

في الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بمجودَةِ رُقيته .

فقلت له : وبلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أَنْ الْأَفَاعِي لَا تَجِيبُ الرُّقَى ؛ لَأَنهَا لَا تَسْمَعُ ، وهى حيوان ، ثُمَّ زعمتَ أَنَّهَا أَجَابَتْ ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر في نفار النعامة)

وقال الشاعرُ :

ورَبْدَاءُ يَكْفِيهَا الشَّمِيمُ ومالها سوى الرُّبْدِ من أنسٍ بثلثك المجهلِ
يخبر أن النعامة لا تستأنسُ بشيء من الوحش ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها في فهم ما تحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارت إلى دور الناس ، فليس معها من الوحشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها ^(١) مالا يأنس . وقال كثير :

فَأَفْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ مَاعِشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطْتَ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا ^(٢)
وما استنَّ رَقْرَاقُ السَّرَابِ وما جَرَّتْ ببيض الرُّبَا أنسيها وَذَوَارُهَا ^(٣)

(١) س : « ونها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو في القلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيقة يحسه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء في صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسها ظلالاً مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال يفتح الهمة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلادًا قفاراً^(١) غيرَ مأنوسة فقال :

مَا تَرَى الْعَيْنُ حَوْلَهَا مِنْ أُنَيْسٍ قُرْبَهَا غَيْرَ رَابِدَاتِ الرِّثَالِ^(٢)

خصَّها بالذكور ؛ لأنها أنفَرُ وأشرُّدُ ، وأقلُّ أنساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر^(٣) : كُنْتُ آتِي الظُّبْيَ حَتَّى أَخْذَ بِذِرَاعِيهِ ؛ وَمَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ يَنْكُرُنِي إِلَّا النَّعَامُ^(٤) .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

وَكُلَّ أَحَمِّ الْمُقْلَسِينَ كَأَنَّهُ أَخْوَالُ الْإِنْسِ مِنْ طَوْلِ الْحَلَاءِ الْمُغْفَلِ^(٥)

= والأنة بالتحريك في كل منهما معنى الائتناس . ويقال بكسرهما نسبة إلى الإنسان بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضيقها . وقد أعاد الضمير في « أنسها » إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمناً . والنوار ، بالفتح : النافر الذي لا يستأنس من الحيوان . والرواية في ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشياً ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقصات . ربد ربدوا : أقام . والرثال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد النعام . وفُسرَت « الرابدات » في شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى الربد جمع ربداء ، وهي التي في سوادها نقط بيض أو حر » . ولعل ماقرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس في المعاجم التي بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقَت ترجمته في (١ : ١٣٣) . والخبر في العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضياً ، وهو بتمامه ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٨٨) « كنت حين خلعتي قومي ، وأطل للسلطان دمي ؛ وهربت وترددت في البوادي ظننت أني قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أني كنت أرى النوص في رجع للذئاب . وكنت أغشى الظبياء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر مني ؛ لأنها لم تر أسداً قبلي . وكنت أمشي إلى الظبي السمين فأخذه ؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإني لم أره قط إلا نافراً فزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين لا وأراد به الظبي . والحلاء المغفل الذي لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبيل البيت كما في الديوان ٥٥٥ :

(نِقَارُ الْوَحْشِ وَهَرَبُهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قَدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصَّحَارَى الْأَغْفَالِ^(١) ، التي لم يُدْعَرْ صَيْدُهَا ، وَلَا يَطُوهَا النَّاسُ ، فَيَأْتُونَ الْوَحْشَ فَوْضَى هَمَلًا ، وَمَعَهُمْ كِلَابُهُمْ وَفُهُودُهُمْ تَتَلَوَّى^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَوْ كَانُوا ابْتَدَعُوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخَذُوا مَا أَخَذُوا . فَإِذَا نَفَرَتْ وَحُوشُ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَمَرَّتْ بِالْأَرْضِ الْخَاوِرَةِ لَهَا ، نَفَرَتْ سُكَّانُ تِلْكَ الْأَرْضِ مَعَ هَذِهِ النَّوَافِرِ ، وَلَا تَعُودُ تِلْكَ الصَّحَارَى إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، مِنْ كَثَرَةِ الْوَحْشِ حِينَئِذٍ :

وَمَتَى لَمْ تَنْفَرْهَا الْأَعْرَابُ بِالْكِلَابِ وَالْقَيْسِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلِ ، رَعَتْ بِقُرْبِهِمْ ، ثُمَّ دَنَتْ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، حَتَّى تَطَأَ أَكْتَافَ بَيْوتِهِمْ . وَهِيَ الْيَوْمَ فِي حَيْرٍ^(٣) الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ^(٤) وَالْوَائِقُ بِاللَّهِ^(٥) عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

= دَعَتْ مِثْلَ الْأَعْدَادِ فَاسْتَدَلَّتْ بِهَا خُتَاوِيلُ أَجَالٍ مِنَ الْعَيْنِ خَذَلُ وَبَعْدَهُ سَبْعَةُ آيَاتٍ ، ثُمَّ :

وَكُلُّ مَوْشَاةٍ الْقَوَائِمِ نَعِيجَةٌ لَهَا ذُرْعٌ قَدْ أَحْرَزَتْهُ وَمُطْفَلٌ تَرَبَّعَ لَهُ رِيعُ الْحِجَانِ وَأَقْبَلَتْ لَهَا فِرْقُ الْأَجَالِ مِنْ كُلِّ مَقْبَلٍ ثُمَّ الْبَيْتُ : « وَكُلُّ أَحْمَرٍ الْمُقْلَتَيْنِ » .

(١) الْأَغْفَالُ : الَّتِي لِأَعْلَامَةٍ فِيهَا وَلَا أَثَرَ .

(٢) س : « مَلَوَى » ! .

(٣) الْخَيْرُ ، بِالْفَتْحِ : الْبَيْتَانُ ، أَوِ الْمَوْضِعُ الْمُطْمَئِنُّ الْوَسْطُ الْمُرْتَفِعُ الْحُرُوفِ . وَهِيَ الْخَائِرُ . جَاءَ فِي السَّانِ : « وَبِالْبَصَرَةِ حَاضِرُ الْحِجَابِ » ، مَعْرُوفٌ ، يَأْبَسُ لِأَمَامِهِ .

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَسْمِيهِ الْخَيْرَ ، كَمَا يَقُولُونَ لِمَا يَشَاءُ : عَيْشَةٌ . يَسْتَحْسِنُونَ التَّخْفِيفَ

وَطَرَحَ الْأَلْفَ . فِ ق ط ، س : « حِزْ » ه : « حَد » صَوَاهِبُهَا مَا أَثْبَتَ .

(٤) الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ ، بِوَيْعٍ بِالْخُلَافَةِ سَنَةَ ٢١٨ . بَعْدَ وَفَاةِ

الْمَأْمُونِ ، وَهُوَ فَاتِحُ عُمُورِيَّةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَضَافَ مِنَ الْخُلَفَاءِ اسْمَهُ إِلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى . تَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٢٧ .

(٥) الْوَائِقُ بِاللَّهِ ، هُوَ هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَهُوَ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ . وَهُوَ

بَعْدَ أَبِيهِ سَنَةَ ٢٢٧ وَتَوَفَّى بِسَامَرَا سَنَةَ ٢٣٢ .

(هجرة الأطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندی^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصيل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغذون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فبينا خالد يتغذى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقربوا سقرَهُمْ^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شاهر ، يروي عنه الجاحظ كثيراً . وأبو السندی ابن شاهر ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشد . انظر الجهشداري ٢٢٦ - ٢٣٧ . وقد تمت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ماضي .

(٢) قحطبة بن شبيب الطائي ، صحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مطلقاً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أي يتناولون الغذاء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً .

(٥) في اللسان : « والليق : القضم يلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشمر . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سواس البهايم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافر ، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها ، والتي يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فَرَأَى أَقَاطِيعَ الظُّبَاءِ قَدْ أَقْبَلَتْ
 مِنْ جِهَةِ الصَّحَارَى ، حَتَّى كَادَتْ تَخَالِطُ الْعَسْكَرَ ، فَقَالَ لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ^(١) » ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ حَثَّ
 إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وَعَامَّةُ أَصْحَابِكَ لَنْ يَسْرِجُوا وَيُلْجِمُوا قَبْلَ أَنْ يَرَوْا سَرْعَانَ
 الْخَيْلِ ^(٢) . فَقَامَ قَحْطَبَةُ مَذْعُورًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرِ شَيْئًا يَرُوعُهُ ، وَلَمْ يَرَ غُبَارًا
 قَالَ لَخَالِدٍ : مَا هَذَا الرَّأْيُ ! قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! لَا تَتَشَاغَلْ بِي وَبِكَلَامِي ، وَنَادِ
 فِي النَّاسِ ^(٣) . أَمَا تَرَى أَقَاطِيعَ الْوَحْشِ قَدْ أَقْبَلَتْ ، فَارْقَتْ ^(٤) مَوَاضِعَهَا
 حَتَّى خَالَطَتِ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وَرَاءَهَا جَمْعًا عَظِيمًا ^(٥) ! . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَلْجَمُوا
 وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِعَ الْغُبَارِ ، وَلَا تَلْبَسُوا ^(٧) وَتَسْلَحُوا حَتَّى رَأَوْا
 الطَّلِيعَةَ ^(٨) . فَمَا التَّأَمُّوا حَتَّى اسْتَوَى أَصْحَابُ قَحْطَبَةَ عَلَى ظُهُورِ خَيْولِهِمْ .
 وَلَوْلَا نَظَرَةُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ اصْطِطَمَ ^(٩) .

(١) رَوَى الْجَاهِظُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي أَوَّلِ مَا اخْتَارَهُ « مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ، عَمَّا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ
 عَرَبِيٌّ ، وَلَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ عَجَمِيٌّ ، وَلَمْ يَدْعُ لِأَحَدٍ ، وَلَا ادْعَاءَ أَحَدٍ ، عَمَّا صَارَ مُسْتَعْمَلًا
 وَمَثَلًا سَائِرًا » . الْبَيَانُ (٢ : ١٥) .

(٢) سَرْعَانَ الْخَيْلِ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَيَسْكُنُ : أَوْ ائْتَلَهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَغَايَةُ أَصْحَابِكَ أَنْ
 يَسْرِجُوا » ، صَوَابُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ (٣ : ٤١٣) .

(٣) كَذَا فِي هـ . وَفِي س : « نَادَى فِي النَّاسِ » بِإِسْقَاطِ الْوَاوِ . ط : « وَنَادَى
 فِي النَّاسِ » بِحَرْفَةٍ .

(٤) كَذَا يَدُونُ ذَكَرَ الْوَاوِ قَبْلَهُ ، عَلَى الْإِسْتِنْفَافِ . وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ بِالْوَاوِ .

(٥) س : « فَظَلِيمًا » . وَفِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « وَإِنْ وَرَاءَهَا لَجَمْعًا كَثِيمًا » .

(٦) أَيْ وَضَعُوا اللَّجْمَ وَالسَّرُوجَ عَلَى الْخَيْلِ .

(٧) تَلْبَسُوا ، لَبَسُوا ثِيَابَ الْحَرْبِ .

(٨) طَلِيعَةُ الْجَيْشِ : أَوَّلُهُمْ . س : « الطَّلِيعَةُ » .

(٩) اصْطِطَمَ الْجَيْشُ ، بِالْبِنَاءِ لِلْمَقْعُولِ : أَهْلُهُ ، وَاسْتَوْصَلَ .

(قصة في قوة الشم)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السندى يحدثنا من صدق حس أبيه في الشم ،
 بشيء ما يحكى مثله إلا عن السباع والذرّ والنعام . وزعم أن أباه قال ذات
 يوم : أجد ريح بول فأرة ! ثم تشمّم وأجال أنفه في المجلس ، فقال : هو
 في تلك الزاوية ! فنظروا فإذا على طرف البساط من البلبل بقدر الدرهم ،
 أو أوسع شيئاً ، فقصوا أنه بول فأرة .

٢٩٣٦

قال : وشهدته مرةً وأشرأطه^(٢) قيامً على رأسه في السماطين^(٣) ،
 فقال : أجد ريح جورب عفين منين ! فتشمّمنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ،
 ثم تشمّم وقال : انزعوا خفّ ذلك . فنزعوا خفّه ، فكلّمنا مدّ النازع له
 شيئاً بدا من لفافته . فزال النتن يكثف ويزداد ، حتّى خلّع خفّه ونزعهُ
 من رجله ، فظهر من نتن لفافته ما عرف به صدق حسّه . ثم قال : انزعوا
 الآن أخفافكم بأجمعكم ، فلا بدّ من ألا يكون في جميع اللفائف منين
 غير لفافته ، أو تكون لفافته أنتنها ، فنزعوا ، فلم يجدوا في جميعها لفافةً
 منتنةً غيرها .

وأنشدوا :

غزا ابنٌ عمير غزوةً تركت لنا ثناءً كنتن الجورب المتخرق^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبية الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

في نداه يبيض الوجوه كرام نهوا بعد هجمة الأشرط

(٣) السماطين : مثنى صباط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفيه .

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » .

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذى يُحكى من صدق الحسن فى الشم - عن بعض الناس ،
 حو عن النعام والسباع ، والفار والذئب ، وضروب من الحشرات - من شكل
 ما نطق ^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ .
 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَلِيلِ ﴾ . وكان هذا من يعقوب بعد أن قال
 يوسف : ﴿ أَذْهَبُوا بِقِطْمِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامة ظهرت له خاصة ، إذ كان الناس لا يشتمون
 أرواح أولادهم ^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجذ
 ريح الحجر مما يجوز الغاوتين والثلاث ^(٣) . فكيف يجذ الإنسان وهو
 بالشام ريح ابنه فى قيصة ، ساعة فصل من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من ملح أو ذم ، وخص به بعضهم

المح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المشرق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « ما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنفى الخيل .

يجوز : يزيد . والفاوة ، بالفتح : قدر رمية بهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عاماً^(١) ، لا يذوق ذَوْاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ^(٣) ، حتَّى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشْدُون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوع والجَهْد . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمَنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَابٌ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانِ وَقَتْلِهِ)

وَرَجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ ، يُظْهِرُونَ التَّقَدَّرَ مِنَ الصَّيْدِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتَوَدِّعُهُمُ الضَّرَاوَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غير : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » . فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقا : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأك على مضر وايمث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتَّى أَكَلُوا النَّدَّ والعظام والمِلْهَز . فقال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتَّى شدَّ وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . فأوَّلُ مَخْطَفِ الْحَايِثِ ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ من ١٣) .

مِنْ طُرُقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحَبَائِلَ لِلظُّبَاءِ ، الَّتِي تَنْقُطِعُ عَنِ
الْخُشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ هَزْلاً وَجُوعاً ، وَإِشْلَاءَ السَّبَاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ .
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلُهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاؤُنِ بِدَمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الظَّبْيَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الظَّبْيَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدْيَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبْيَ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تَوْدِي إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَاهَوْنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوْدِي إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمَ مَا ..
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ؛
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدِّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنَدِيقِ الْأَيَّاتِي ذَلِكَ فِي سِيَاحِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ .
الْبُتَّةَ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرَفَةَ عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرّاً صِرَافاً ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُوراً بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتَحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ النُّورِ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالنَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمَا مِنْ شَرِّ الظُّلْمَةِ .

(١) الْخُشْفَانِ : جَمْعُ غَرِيبٍ لِلْخُشْفِ ، بِتَثْنِ الْخَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الظَّبْيَةِ عِنْدَ مَا يَتَحَرَّكُ
لِلْمَشْيِ . وَلَمْ أَرِ هَذَا الْجَمْعَ فِي مَعْجَمٍ ، وَجَمْعُهُ فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ عَلَى « خُشْفَةٍ » .
بِكسر فَتْحَتِ .

(٢) أَيْ ، وَسَتْسَلِمُ الْفَرَاوَةَ . فِي الْأَصْلِ : « سَتْسَلِمُ » يَدُونَ وَآو . وَالْمُرَادُ بِالسَّبَاعِ هُنَا الْحَيَوَانَ
الْمُقْتَرَسَ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، كَالْكِلَابِ وَالْفُهُودِ وَالْبُرَاةِ .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياء النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذاك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يَرَوْنَ أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة^(١) ، إلا أن^(٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طياعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيا من أجزاء الشر^(٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسرور^(٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أتم فيه ، من أكل الحيوان كل يوم من^(٥) الذبائح ، مكروة عند الله ، أنكم لم تروا قط ذبائح^(٦) الحيوان ولا قتلى^(٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون^(٨) أبدا . ويستغنون^(٩) ؛ كمنحو صيادي السمك وصيادي الوحش^(١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشوائين والطهائين

(١) أى ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س ملائمة نسيج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفَهَّادِينَ^(١) واليَّازِرَةَ^(٢) والصَّقَّارِينَ والكَلَّابِينَ ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويُسَرِّ ، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى خالٍ مشبهة بحاله الأولى .

وكذلك الجَلَّادُونَ ، ومن يضربُ الأعناق بين يَدَيِ المَلُوكِ . وكذلك

١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وَحَتَّى ترى بعضهم وإن خَرَجَ نَادِراً خارجياً ، ونال منهم رُوءٍ وجَاهاً وسُلطاناً ، فإِذَا أن يُقْتَلَ ، وإِذَا أن يُغْتَصَبَ^(٥) نَفْسُهُ بِمِيتَةٍ عاجلة ، عند سروره بالثروة ؛ أو يبعث الله عليه الحق^(٦) فلا يَنُمُو له شيء ، وإِذَا ألا يجعل مِنْ نسلهم عَقِيباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبياً وذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مثل الحجاج بن يوسف ، وأبي مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبي

(١) الفهَّاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) اليازرة ، بتقديم الزاى : جمع يزار . وببزار : معرب بآزار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « اليازرة » ه : « اليازرة » س : « اليازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : الحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) الحق ، بالفتح : النقصان ، وذهب البركة . س : « الخو » .

(٧) يبنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائل المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة . قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانتخب أن نسميهم .
 قال : فإن هؤلاء مع كثرة الطُّرُوقِ^(٣) وظهور القدرة ، مع كثرة
 الأنسال ، قد قبَّحَ اللهُ أمرهم ، وأتَّحَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ،
 أو بين مَنْ هُوَ في معنى مَنْ لم يُعقِبْ .
 فقلت للنَّصارى بدياً : كيف كان النَّاسُ أيامَ الحُكم بما في التَّوراة .
 أيامَ^(٤) موسى وداودَ ، وهما صاحبَا حُرُوبٍ وقَتْلٍ ، وسبَاءٍ وذبائحٍ ؟ ! نعم .
 حتى كان القُربان كُلُّهُ أو عامَّتُهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيتم بيتَ المذْبَحِ .
 ولسنا نسألُكم عن سيرة النَّصارى اليومَ ، ولكنَّا نسألُكم عن دينِ
 موسى وحُكمِ التَّوراةِ ، وحُكمِ صاحبِ الزُّبُورِ . وما زالوا عندهم إلى أنْ
 أنكروا ربوبيَّةَ المسيح ، على أكثرَ من حالنا اليومَ في الذبائحِ .
 وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تُغلُّونَ علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أياماً
 بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والامتيازِ خاص
 وهى يومُ الخميس ، ويومُ السبتِ ويومُ الثلاثاء ؛ لأنَّ شرائكم في ذلك .

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتابه ،
 ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن .
 عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه .
 درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
 وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي .
 على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطُّرُوقُ ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«الْيَوْمَ يَقِيلُ . عَلَى أَنْتُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ فِي أَيَّامِ الْفِضْحِ» (١) وهل تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيَوَانِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الْحَرْفَةُ وَالْمَحَنُ لِنَمَّا لِنَمَّا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَّائِينَ ، وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، مِنْ جِهَةِ الْعُقُوبَةِ — فَأَنْتُمْ شُرَكَاءُ صَيَّادِي السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّكُمْ آكَلُ الْخَلْقِ لَهُ ، وَأَنْتُمْ أَيْضًا شُرَكَاءُ الْقَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ الدَّهْرِ . فَلَا أَنْتُمْ تَدِينُونَ لِلْإِسْلَامِ فَتَعْرِفُوا مَا عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ ، وَفَصْلُ (٢) مَا بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَمَا الرَّحْمَةُ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُونُ ذَلِكَ الْقَتْلُ رَحْمَةً ؟ فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ قَتْلَ الْبَعْضِ إِحْيَاءً لِلْجَمِيعِ ، وَأَنَّ إِصْلَاحَ النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جَزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) . وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وَهَذَا شَيْءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّنَادِقَةِ : وَالزَّنَادِقَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمُنَاقٍ . فَلَا أَنْتُمْ زَنَادِقَةٌ . وَلَا يَنْكَرُ لِمَنْ كَانَ ذَلِكَ مَذْهَبُهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فَأَنْتُمْ لَادَهْرِيَّةٌ (٤) ، وَلَا زَنَادِقَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أَنْتُمْ رَاضُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ — وَهُوَ عَدْلٌ — فَلَيْسَ بَيْنَ الزَّمَانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧)

والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فصل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وَتَتَقَدَّرُونَ مِنَ
اللَّحْيَانِ ! أَفَلَا نَسَمَكُ لَا يَأْلُمُ الْقَتْلَ ، أَمْ لِأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَاسِيَكَيْنِ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلَهُ ؟ ! فَالْجَمِيعُ حَيَوَانٌ ، وَكُلُّ مُقْتُولٍ يَأْلُمُ ، وَكُلُّ يُحْسٍ .
فَكَيْفَ صَارَ أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الْبَهَائِمِ قَسْوَةً ، وَلَا تَكُونُ تَفْرِقَةُ مَا بَيْنَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قَسْوَةً ! وَكَيْفَ صَارَ ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وَصَيْدُ السَّمَكِ بِالسَّنَانِيرِ
الْمَذْرُوبَةِ الْمَعْقِفَةِ (٣) لَيْسَ لَهَا شَعَائِرُ تَخَالَفُ الْعُقَافَ الْمَنْصُوصَ (٤) فِي جِهَاتِهَا .
وَكَيْفَ وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تَنْشَبْ فِي أَجْوَافِهَا ، وَتَقْبِضَ عَلَى جَمَاعِ أُرُوحِهَا ، لَمْ تَقْلُزْ
عَلَى أَخْذِهَا ؟ !

وَكَيْفَ صَارَ وَجْهُ اللَّبَّةِ (٥) مِنَ الْجَزُورِ أَقْسَى مِنْ ضَرْبِ النَّبَائِلِ (٦) ؟ !
أَمْ كَيْفَ صَارَ طَعْنُ الْعَيْرِ (٧) بِالرُّمَحِ ، وَنَصَبُ الْحَبَائِلِ لِلظُّبَاءِ ، وَإِرْسَالُ
الْكِلَابِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ النَّبَائِلِ (٨) فِي ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

(١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .

(٣) المذربة : المخددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« المعقاف » .

(٥) وجه اللبّة : طمنها بالسكينة . واللبّة : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة .
ط : « اللبّة » ، صوابها في س ، ه .

(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « النبايل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

وَلَا تُنْكِمُ تَكْثِرُونَ قَوْلَكُمْ : لَا نَأْكُلُ شَيْئًا فِيهِ دَمٌ أَبَامَ صَوْنِنَا ،
فَلِلْسَمَكِ دَمٌ ، وَلَا بَدَ لَجَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِنْ دَمٍ أَوْ شَيْءٍ يُشَاكِلُ الدَّمَ ، فَمَا وَجْهُ
اعْتِلَالِكُم بِالذَّمِّ !؟ أَلَا نَ؟^(١) كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ دَمٌ فَهُوَ أَشَدُّ أَلَمًا ؟ فَكَيْفَ نَعْلَمُ ذَلِكَ ؟
وَمَا^(٢) الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ؟

فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي بَابِ التَّعْبِيرِ وَالْمُصَلَّحَةِ ، لَا فِي بَابِ
الْقِيَاسِ وَالرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، فَهَذَا بَابٌ آخَرٌ . إِلَّا أَنْ تَدْعُوا أَنْ ذَوَاتِ الدِّمَاءِ^(٣)
أَقْوَى لِلْأَبْدَانِ ، وَأَشْرُ^(٤) لِلنَّفُوسِ ، فَأَرَدْتُمْ بِذَلِكَ قَلَّةَ الْأَثَرِ وَضَعْفَ الْبَدَنِ .
فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَبِينًا فِي آكِلِي السَّمَكِ
مِنَ الْبَحْرِيِّينَ^(٥)

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مُلَازِمَةِ الْحِرْفَةِ لِهَوْلَاءِ الْأَصْنَافِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ
نَزَلَتْ صِنَاعَتُهُ ، وَدَقَّ خَطَرُ تِجَارَتِهِ ، كَذَلِكَ سَبِيلُهُ .

وَأَحْلُ الْكَسْبِ كُلَّهُ وَأَطْيَبُهُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ سَقْيُ الْمَاءِ ، لِمَا عَلَى
الظَّهَرِ ، وَلِمَا عَلَى دَابَّةٍ . وَلَمْ أَرِ سَقَاءَ قَطُّ بَلَغَ حَالَ الْيَسَارِ وَالْثَرْوَةِ . وَكَذَلِكَ
ضَرَابُ الْأَبْنِ ، وَالطَّيَّانُ وَالْحَرَاثُ . وَكَذَلِكَ مَا صَغُرَ مِنَ التِّجَارَاتِ
وَالصَّنَاعَاتِ .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْوَالَ كَثِيرًا مَا تَكُونُ عِنْدَ الْكُتَّابِ ، وَعِنْدَ أَهْجَابِ
الْجَوْهَرِ ، وَعِنْدَ أَهْجَابِ الْوُشْيِ وَالْأَنْمَاطِ^(٦) ، وَعِنْدَ الصَّيَّارِفَرِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلَا أَنْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلِمَا » .

(٣) يَتَنَبَّأُ بِذَوَاتِ الدِّمَاءِ : مِثْلُ السَّمَكِ . وَفِي الْأَصْلِ : « ذَوَابِ الْمَاءِ » .

(٤) أَشْرُ : أَثَرٌ مِنْ الْأَثَرِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْمَرْحُ وَالنَّشَاطُ . فِي الْأَصْلِ : « أَسْرُ »
وَانْظُرِ السِّيَاقَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فِي أَكْلِ السَّمَكِ مِنَ الْبَحْرِيِّينَ » ، مَحْرَقَةٌ .

(٦) الْأَنْمَاطُ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَسْطِ .

والحنّاطين^(١)، وعند البحريين والبصريين^(٢). والجلّابُ أبداً^(٣)، والبيازرة^(٤) أيسرُ ممّن يبتاع منهم.

وجعلُ الأموالِ حقّ^(٥) بأن تُربحَ الجَمَلُ مِنْ تفريقِ الأموال. وكذلك سبيلُ القَصَابِ والجَزَّارِ، والشَّوَاءِ، والبازيار^(٦)، والقَهَاد.

وأما ما ذكرتم من انقطاعِ نَسْلِ القُصَاةِ، وخولِ^(٧) أولادِهِم، كانقطاعِ نَسْلِ فِرْعَوْنَ، وهامان، ونُمرود^(٨)، وُبُحْتِ نَصْر^(٩)، وأشباهِهِم، فإنَّ الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلَاحِ أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ كَانَ عَقِيماً أَوْ كَانَ مَيِّناً^(١٠)، أَوْ يَكُونُ مِمَّنْ نَبَتْ لَهُمْ أَوْلَادٌ سُوءَ عَقْوُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، وَعَرَضُوهُمْ لِلسَّبِّ بَعْدَ مَوْتِهِمْ - لَوْجَدْتُمُوهُمْ.

وعلى أنى لم أَنْصِبْ نَفْسِي حَرْباً لِلْحِجَّاجِ^(١١) بن يوسف، ويزيد

(١) الحنّاط : بائع الخنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلّاب : من يجلّبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبداً » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أئرى » من التراء ، ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هُوَ حَقٌّ بِكَذَا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد ألبازى ويمتحن به . وفى الأصل : « البازياز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدل : « وجعل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر لإبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى غرق بيت المقدس . ولى ملك بأبيل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمتنث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المخارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجّاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم^(١) ، أخرى بهما^(٢) ، وهما عندي من أهل النَّارِ . ولكني عرفتُ مغزاهُ .

وعلى أنسُكم ليسَ القَصَّابِينَ أَرَدْتُمْ ، وَلَكِنَّكُمْ أَرَدْتُمْ دِينَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ خَرَجَ الْحَجَّاجُ مِنَ الدُّنْيَا سَلِيمًا فِي بَدَنِهِ ، وَظَاهِرِ نِعْمَتِهِ ، وَعَلَى مَرْبَتِهِ مِنَ الْمُلْكِ ، وَمَكَانِهِ مِنْ جَوَازِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ^(٣) .

فَإِنْ كَانَ اللَّهُ عِنْدَكُمْ سَلَمُهُ وَعَاقِبَ أَوْلَادِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ ذِيْنَكُمْ فَإِنَّ هَذَا قَوْلٌ إِنْ خَاطَبْتُمْ بِهِ الْجَبْرِِيَّةَ^(٤) فَعَسَى أَنْ تَتَعَلَّقُوا مِنْهُمْ بِسَبَبٍ ، فَأَمَّا مَنْ صَحَّحَ الْقَوْلَ بِالْعَدْلِ^(٥) فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَطَأِ الْفَاحِشِ الَّذِي لَا شَبَهَةَ فِيهِ .

(شعر في القانص وفقره)

وكانَ مِمَّا أَنْشَدُوا مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَانِصَ لَا يَزَالُ فَقِيرًا — قَوْلُ
ذِي الرِّمَّةِ :

(١) سبقَت ترجمته في ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهي : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا .

والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة

الحادثة أنرا ما في الفعل ، وسعى ذلك كسبا ، فليس بجبري . والمعتزلة يسعون من لم

يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً — جبريا . الملل والنحل

(١ : ١٠٨) .

(٥) يعني للمعتزلة ، وهم يسعون أهل العدل . يقولون : إن الله منزّه أن يضاف إليه =

- حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طِيبٌ^(١)
وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ يَنْقُبْتَبُهُ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْزُو عَاقِرًا لَهَبٌ^(٢)
هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسَ مُحْصَرَةٌ شَوَازِبُ لَاحَهَا التَّقْرِيبِ وَالْخَبِيبُ^(٣)
جَرْدٌ مُهَرَّتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبُ^(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق للظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رمل . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذورها كأنه الخيال أو النفسان مقبلة عليك . والطيب ، كمنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخز به . س : « إذا راها » ه : « إذا نأها » ، معرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، ه « فى الخدر واتحدت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « واتحدت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قب » ه : « طن » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبة » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رمل لا تثبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : من جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولت بذلك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غيرة إلى سواد ، قد ضممت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق محصرة » . والشاذب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : حزها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التفريث والجنب » . التفريث : التجويع . والجنب بالعريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلتزق رثته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

مُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَالٌ لِبُعْيَتِهِ أَلْنَى أَبَاهُ بِذَلِكَ الْكَسْبِ يَكْدَسُبُ^(١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ^(٢)
فَانْصَاعَ جَانِبُهُ الْوَحْشَى وَأَنْكَدَرَتْ

يلجن لا يأتلى المطلوبُ والطلبُ^(٣)

قال : فجعله كما ترى مقْرَعًا أَطْلَسَ الْأَطْمَارَ ، وَخَبَّرَ أَنْ كِلَابَهُ نَشَبُهُ ،
وَأَنَّهُ أَلْنَى أَبَاهُ كَذَلِكَ .
وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ قَوْلَ الْآخِرِ :

= « غُضِفَ » . مهرة الأَشْدَاقِ : واسمها . والسراحين : الذئاب ، واحدها
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدها
عذبة ، بالتحريك .

﴿ ١ ﴾ مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاحتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبقيّة ، بالضم : الطلبة . والطلبة
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، هـ : « هناك لقبته » بحرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبقيته » . ألقى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذلك أمهر له .

﴿ ٢ ﴾ مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرر بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ما تصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

﴿ ٣ ﴾ انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلجن : يسلكن
طريقاً لاحقاً ممهداً . أو يمررن مرأ سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفّض من
جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يابأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار للعرب ، واللسان (صوع ،
لحب ، طلب) .

وَأَعَصَمَ أَنْتَهُ الْمَنِيَّةُ نَفْسُهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَعَرٍ (١)
 جَوَارِدُهُ قَلْتُ تَصَفَّقُهُ الصَّبَا بَنِيْقٍ مُزَلٍ ، غَيْرُ كَلْدٍ وَلَا نَزْرٍ (٢)
 قَرَّتُهُ السَّحَابُ مَاعَهَا ، وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ غُصُونُ دَانِيَاتٍ مِنَ السَّمْرِ (٣)
 أَتَيْحَ لَهُ طَلْحٌ إِزَاهُ بِكَفِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخَيِّرَنَّ مِنْ حَجَرٍ (٤)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَدِرُّ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَزَا ، وَلَيْسَ بِذِي وَفَرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنته المنية نفسه ،
 أى أعماه قدر الموت من الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل :
 « النبت والظيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبأ : ريح شرقية .
 والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س :
 « مزك » . وغير كلد ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشر .

(٣) تهملت : تدلت . والسمر : ثبات ، وهو يضم الميم . وأسكنها للشر .
 (٤) أتَيْحَ له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب
 عيشه . والإزاء ، بكسر الهزة والمد ، وقصره للشر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة .
 والمهتوف : القوم المُرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيطت إليها وعمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الطبى سبهما وإن ريع سبها أسلمته النواز
 ط ، س : « ختوف » ه : « حتوف » صوابهما ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طيبت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة الخيامة ،
 ينسب إليها السهام والنصال ، قال الراعى :

تَوْخَى حَيْثُ قَالَ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجَرِي تَرَى فِيهِ اضْطِمَارَا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » .

وقال رؤبة :

حَتَّى إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرَقِ حَجَرِيَّةٌ كَالْجُرْمِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى بجاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . والقروح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمَطَاءُ يَذْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجِيهِ ، وَآخَرُ فِي الْحِجْرِ (١)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيْباً وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هِنْدِيّاً يَلِيلٍ عَلَى بَحْمَرٍ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعَرْقُوبِ تَسْلَمُ نَابَهَا تَعْرِقُهَا الْأَوْذَارُ مِنْ فَقَرِ الْحُمْرِ (٣)
 مُسَفَّعَةٌ الْخَلْدَيْنِ ، سَوْدٌ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذُ بِالْقِدْرِ (٤)
 كَقَوْلِ الْفَلَاحِ لَمْ تَخْضَبْ بَنَاهَا وَلَمْ تَدْرِ مَا زَيُّْ الْخِرَائِدِ بِالْمَصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِصْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشعاء
 لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون في الربيع . ط : « يستدروا »
 صوابه في س ، ه ، الوفر ، بالفتح : التقي .

(١) ألقى حجرها . والشمطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك
 كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهتبه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه
 وخلطه . فأصله الحمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، ماله كاللعل . والهندى :
 أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهيج القطار ، وهو بالضم :
 ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عتب الرجل . ثم نابها : كسر حرفه .
 والتمرق : أكل ما على العظام من اللحم . والأوذار : القلع الصغيرة من اللحم .
 وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كمنب : جمع فقرة ،
 بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . هـ : « فقر » محرفة . والحمز ،
 أصله الحمز بضمين : جمع حمار . عى ما يصطاده زوجها من حمار الوحش . وسكن الميم
 لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفة » محرفة . والذرع ، بالكسر : القميص .
 والتقدر ، مثل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحب اللسان والقاموس .
 وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدو » .
 ط ، س : « تقذرها » ، وأثبت ما فى هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمس ، أو
 الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المسترة .

(٦) القين ، بالفتح : الخداد . أنفذ حصنيه : حرق جنبيه . والخصن ، بالكسر :
 الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مسألة المنايئة)

كان أبو إسحاق يسأل المنايئة^(١) ، عن مسألة قريبة المأخذ قاطعة ، وكان يزعم أنها ليست له .

وذلك أن المنايئة تزعم أن العالم بما فيه ، من عشرة أجناس : خمسة منها خير ونور ، وخمسة منها شر وظلمة . وكلها حاسة وحارة .

وأن الإنسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل إنسان من رُجحانٍ أجناس الخير على أجناس الشر^(٢) ، [ورُجحان^(٣)] أجناس الشر على أجناس الخير .

وأن الإنسان وإن كان ذا حواس خمسة^(٤) ، فإن في كل حاسة متوناً^(٥) من ضده من الأجناس الخمسة . فتنظر الإنسان نظرة رحمة فتلك النظرة من النور ، ومن الخير . ومتى نظرت نظرة وعيد ، فتلك النظرة من الظلمة . وكذلك جميع الحواس .

وأن حاسة السمع جنس على حدة ، وأن الذي في حاسة البصر من الخير والنور ، لا يعين الذي في حاسة السمع من الخير ولكنه لا يضاده^(٦) ،

(١) المنايئة : أتباع ماني . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن التميمي في تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كذا . وهي صحيحة ؛ فإن المعداد إذا وصف بالمعدد جاز في العدد المطابقة وعلمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما في س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يَنْعَم . فهو لا يعينه ^(١) لكان الحِلَاف والجِنْس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشرِّ خلافُ لأجناسِ الشرِّ ، ضِدُّ لأجناسِ الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بعضاً ولا يضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتَّادِي ^(٢) لا يقعُ بين مختلفيها ، ولا بين متضادِّها ^(٣) ، وإنما يقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانى : ما تقول في رجل قال لرجلي : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليس السَّامِعُ قد أدَّى إلى النَّاطِرِ ، والنَّاطِرُ قد أدَّى إلى الذَّائِقِ ؟ ! وإلَّا فلمْ قال اللِّسانُ نَعَمْ ! إلَّا وقد سَمِعَ الصَّوْتُ صاحبُ اللِّسانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرة كما ترى ، ولا حيلةَ له بأنْ يدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مساءلة زنديق)

ومسألة أخرى ، سأل عنها أمير المؤمنين ^(٤) الزَّنديقَ الذي كان يكنى بأبي عليٍّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ ^(٥) وعجزِ العُتْبِيِّ ^(٦) وسوءِ فهمِ ^(٧) القاسمِ بنِ سَيَّارٍ ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألكَ عن حَرْفَيْنِ

(١) س : « يعينه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التَّادِي : التعاون . وفي الأصل : « التَّادِي » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « متضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، الذي أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ ساسي ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبرني : هل ندم مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندمُ
على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندم كثيرٌ من المسيئين على إساءتهم . ١٤٢
قال : فخبّرني عن الندم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيرُهُ ؟ قال : الذي ندم هو الذي أساء .
قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشرِّ ، وقد بطل قولكم : إن الذي
ينظر نظراً الوعيد غيرُ الذي ينظر نظراً الرحمة . قال : فإني أزعّم أن الذي
أساء غيرُ الذي ندم : قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من
غيره ؟ فمقطعه ^(١) بمسألته ، ولم يتب ولم يرجع ؛ حتى مات ، وأصله الله
نارَ جهنم .

(شعر في هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمادٌ عجردٌ ناساً في هجائه لعامة ^(٢) ، فقال :

لو كنتُ زنديقاً ، عُمارُ ، حبوتني أو كنتُ أعبدُ غيرَ رَبِّ محمدٍ ^(٣)
أو كنتُ عندك أو تراك عرفتني كالنضر أو ألفتُ كابن المقعد ^(٤)
أو كابن حمادٍ ربيثة دينكم جبل وما جبل الغوى بمُرشدٍ ^(٥)
لكنتني وحدث ربِّي مُخلصاً فجفوتني بغضاً لكلٍّ موحدٍ

(١) قطعه : أي غلبه بالحجة وأسكنه .

(٢) في الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أي يعامرة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتني » .

(٥) الربيثة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « الغوى »
ووجه ما أثبت من س .

وَحَبَوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكَوَّنَتْ

وَالْأَرْضَ خَالَفَهَا لَهَا لَمْ يَمْهَدْ^(١)

وَالنَّسَمَ مِثْلَ الزَّرْعِ أَنْ حَصَادُهُ مِنْهُ الْحَصِيدُ وَمِنْهُ مَا لَمْ يُحْصَدْ^(٢)

وَحَمَادٌ هَذَا أَشْهَرُ بِالزَّنْدَقَةِ مِنْ عُمَارَةَ بْنِ حَرْبِيَّةِ^(٣) ، الَّذِي هَجَاهُ

بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَحَبَوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكَوَّنَتْ (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إِنَّ الْفَلَكَ بِمَا فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ . تَكُونُ بِنَفْسِهِ

وَمِنْ نَفْسِهِ ! فَجَهْلٌ^(٤) حَمَادٍ بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِنْ مَقَالَةِ الْقَوْمِ^(٥) ، كَأَنَّهُ عِنْدِي

مِمَّا يَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاءَتِهِ السَّاحَةِ^(٦) . فَإِنْ كَانَ قَدْ أَجَابَهُمْ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

مَقْلَدِيهِمْ .

(١) الْأَرْضَ عَطَفَ عَلَى السَّمَاءِ .

(٢) أَيْ : وَحَبَوْتُ مَنْ زَعَمَ النَّسَمَ . . . الخ . وَالنَّسَمَ ، بِالتَّحْرِيكِ : جَمْعُ نَسْمَةٍ ،

بِالتَّحْرِيكِ . وَالنَّسْمَةُ : الْإِنْسَانُ . وَقَدْ أَسْكَنَ السِّينَ لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« النَّعْم » تَعْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ . وَجَاءَ فِي الْأَغَانِي (١١ : ٧١) فِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ عَنْ

عُمَارَةَ بْنِ حِزَّةٍ ، الَّذِي هُوَ هُنَا : عُمَارَةُ بْنُ حَرْبِيَّةٍ : « وَكَانَ لَهُ نَدِيمٌ يَعْرِفُ بِمِطْعِ

ابْنِ إِيَّاسٍ ، وَكَانَ زَنْدَقِيًّا مَأْبُوتًا . وَكَانَ لَهُ نَدِيمٌ آخَرٌ يَعْرِفُ بِالْبَقْلِ . وَإِنَّمَا سَمِيَ

بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْإِنْسَانُ كَالْبَقْلَةِ ، فَإِذَا مَاتَ لَمْ يَرْجِعْ » . فَهَذَا النَّصُّ

يُفَسِّرُ مَا جَاءَ فِي الْبَيْتِ ، وَيَدُلُّ عَلَى التَّصْحِيحِ الَّذِي أَثْبَتَ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ فِي الْأَصْلِ ، بِجَاهٍ مَهْمَلَةٍ بَعْدَهَا رَاءٌ وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ تَحْتِيةٌ تَقُولُوهَا

يَا مِثْنَاءَ تَحْتِيةٍ . وَفِي الْأَغَانِي (١١ : ٧١) : « عُمَارَةُ بْنُ حِزَّةٍ » . وَأَسَالُ الْمُرْتَضَى

(١ : ٩٠) نَفْلًا عَنْ الْجَاهِظِ « عُمَارَةُ بْنُ حِزَّةٍ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « فَجَهْلٌ » .

(٥) يَمْنَى بِالْقَوْمِ هَهُنَا الزَّنَادِقَةُ .

(٦) كَذَا فِي ط . وَفِي س : « مِنْ بَرَاءَةِ السَّاحَةِ » ، وَفِي هـ : « مِمَّا نَعْرِفُهُ مِنْ بَرَاءَةِ

السَّاحَةِ » وَكُلُّ مُحَرَفٍ .

وهجا حمادُ بن الزُّبرقان^(١) ، حماداً^(٢) الراوية فقال :

نَعِمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ نَحَادُ
هَدَلَتْ مَشَافِرُهُ الدَّنَانُ فَأَنَقَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَ مِنْ شَرَبِ الْمَدَامَةِ وَجْهَهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فقد كان^(٤) كما ترى :

هَدَلَتْ مَشَافِرُهُ الدَّنَانُ فَأَنَقَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فقد رأيتُ جماعةً مَن يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قد عظمت أَنفُهُمْ^(٥) .
وصارت لهم خراطيمٌ ، منهم رُوحُ الصَّائِغِ^(٦) ، وعبد الواحد صاحب اللؤلؤى^(٧)

(١) نسبة صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي الغول ، وكان حماد قد عاب شعراً له .
وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمختص (١٧ : ٦) والمقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .
(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قديم النجار ، مؤنثة . في المختص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والعسكري :
« هدلت مشافره اللدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإنفراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أى أطفالاً .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَمَانٍ^(١) حمّاد بن الصَّبَّاح ، وعبد الله أخو نهر^(٢) ابن عسكر وناس كثير^(٣) .

ويدلّ على ذلك من المناقرة قول جبرير للأخطل :

١٤٣ وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدّنانِ كأنّ أنفك دُمْلُ^(٤)

وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حمّاد عمجد :

أما ابنُ فَرَوَةَ يُونسُ فكانه من كِبَرِهِ أيرُ الحمارِ القام^(٦)
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحدها والخلقُ عندكَ ما خَلَكَ بهائم^(٧)
إنّ الذي أَصْبَحْتَ مفتوناً به سيزولُ عنكَ وأنفُ جارِكَ راغمُ
فتعصُّ من نَدَمٍ يَدِيكَ على الذي فرطت فيه ، كما يَعصُّ النّادمُ

(١) النّدمان ، بالفتح : التّديم على الشّراب . والمراد هنا جماعة النّدائي . وفي اللسان : « وقد يكون النّدمان واحداً وجمعاً » . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هي في الأصل : « أخا » .

(٣) في الأصل : « وناساً كثيراً » ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة الخوارزمي ، والمعدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) . والمعدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) في عيون الأخبار والمعدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فلقد رَضِيتَ بِعُصْبَةٍ آخِيَتِهِمْ وَإِخَاهُ لَكَ بِالْمَعْرِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أَنِّي لَعِرْضُكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ.
(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحمادُ الراوية^(٤) ، وحمادُ بنُ الزُّرقانِ^(٥) ،
ويونسُ بنُ هارُون^(٦) ، وعلى بنُ الخليل^(٧) ، ويزيد بنُ الفيض^(٨) ، وعُبادَةُ
وجميل بنُ محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بنُ الحباب ، وأبانُ.

- (١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبته . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم »
تصحيحه من س ، هـ .
- (٢) دخلة الرجل ، بثلاث الدال : بطلانته .
- (٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمي
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . وكان بينه وبين بشار أراج
فاشحة . توفي سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .
- (٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليل ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع
فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفي سنة ١٥٥ .
- (٥) حماد بن الزُّرقان ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو من
اتهم بالزندقة .
- (٦) كذا في الأصل ، وهو كذلك في الأوراق للصوى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت
ترجمته قريباً .
- (٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشيد . انظر الأغاني (١٣ :
١٣ - ١٨) .
- (٨) ذكره صاحب لسان الميزان .
- (٩) كذا في الأصل وأمالى المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر في لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . في رسم خاص . ولعله تصحيف عليه .
- (١٠) في أمالى المرتضى : « قاسم بن زنفطة » .
- (١١) هو مطيع بن إياس الكنتاني ، من مخضرمي الدولتين ، كان ظريفاً خليفاً . ولد =

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمارة بن حريية^(٢) ، يتواصلون ، وكانهم نفس واحدة وكان بشارٌ ينكر عليهم .

ويونس^٣ الذى زعم حمادُ عَجْرِدَ أَنَّهُ قد غَرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأى منهم ، وقد كان كتب كتاباً للملك الرومِ فى مثالب العرب ، وعبوب الإسلام ، بزعمه^(٤) .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواس أبان بن عبد الحميد اللاتقى ، وبعض هؤلاء ، ذَكَرَ إنسانٍ يرى لهم قدراً وخطراً ، فى هجائيةٍ لأبان^(٥) ، وهو قوله :

جالستُ يوماً أباناً لا دَرَّ دَرُّ أبان

ونحنُ حَضَرُ رواقِ أميرِ البُهِرَوَانِ^(٦)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسبهة فى الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللاتقى ، شاعر من طراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كلية ودمنة فجملة شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفئك أن أحفظه فأكون راويك ؟ ! .

(٢) فى الأغاني ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جملة فيها أبان ، فقال يهجو به ذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قويه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد الشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

نشلت يده يوم يحمل راية إلى تهشل والقوم حضرة تهشل =

- حَتَّى إِذَا مَا صَلَاةَ الْـ أَوَّلَى أَتَتْ لِأَوَانٍ^(١)
 فقامَ ثُمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ^(٢)
 فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَذَانِ^(٣)
 فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِذَا ، بغيرِ عِيَانٍ^(٤) ؟
 لَا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تَعَيَّنَ الْعَيْنَانِ !
 فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي !^(٥)
 فَقُلْتُ : عَيْسَى رَسُولُ فَقَالَ : مِنْ شَيْطَانٍ !^(٦)
 فَقُلْتُ : مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ جَهِيمِنِ الْمَنَانِ^(٧)

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س :
 « ونحن وحضروا » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار
 الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، حتى بها الصبح : لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ،
 وأثبت ما في الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفى هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق)
 نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإغلاما تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذناً لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ،
 لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

(٤) بهذا : أى يقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير
 عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) ما نى : صاحب دين الماثوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطاني » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال :
 رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المناني » ، تصحيحه
 من الديوان والأوراق .

فقال : رَبُّكَ ذُو مُقَدِّمَةٍ إِذَا وَلَّيْتَ
 فَنَفْسُهُ خَلَقَتْهُ أَمْ مَنْ ؟ ! فَقُمْتُ مَكَانِي
 عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يَرِيدُ أَنْ يَتَسَوَّى بِالْعُصْبَةِ الْمُجَانِّ
 بِعَجْرِدٍ وَعُبَادٍ وَالْوَالِيِّ الْهَيْجَانِ (٢)
 وَقَاسِمٍ وَمُطِيعٍ رَيْحَانَةِ النَّدْمَانِ (٣)

وَتَعَجُّبِي مِنْ أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ كَانَ (٤) جَالِسَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَشَدَّ مِنْ تَعَجُّبِي
 مِنْ حَمَّادٍ ، حِينَ يَحْكِي عَنْ قَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ قَوْلًا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ (٥) . وَهَذِهِ قُرَّةُ (٦)
 عَيْنِ الْمَهْجُوِّ . وَالَّذِي يَقُولُ : سَبْحَانَ مَا نِي ، يَعْظُمُ أَمْرَ عَيْسَى تَعْظِيمًا شَدِيدًا (٧)

(١) يتمري : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط
 والأوراق : « يتجاري » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما في س ،
 والديوان . وفي هـ : « متمري » تحريف ما في س . وبين هذا البيت وسابقه
 بيتان في الديوان ، هما :

وَقُلْتُ رَبِّي ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُمْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي عَنْ هَازِيٍّ بِالْقُرَّانِ

(٢) في الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بهد تغيير يسير ، لما يقتضيه
 الشعر . أما واليبي فهو والية بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ،
 هاجى بشاراً وأباً النهاية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبي نواس .
 الأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة في ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق في ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا ما فهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد في فهرست ابن التميمي ٣٢٨ ليسبك ٤٥٨
 مصر : « زعم ما في أنه الفارقلط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج ما في =

فكيف يقول : إنه من قبل شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقتَه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ تجدها ظاهرةً على ألسنِ العوامِ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالهيُّ الهيجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنه يقول في أبان : إنه ممن يتشبه بعُجْرَد ومُطِيعٍ . والبلبة

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل ، وأصبغ^(١) - وأبان فوقَ ملء الأرض

من هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانٌ ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم

صحاة^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاسَ لم يؤثروا

في اعتقادهم الخطأ المكشوفَ ، من جهة النظر^(٣) . ولكنَّ للنَّاسَ تأسَّ

وعاداتٌ ، وتقليدٌ للأباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق

إلى القلوب ، ويستقلُّون التَّحصيلَ ، ويُهمِلون النَّظَرَ ، حتى يصيروا

في حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصارٍ كليلية^(٤) ، وأذهان مدخولة ،

[و] مع سوء عادة . والنفس لا^(٥) تجيبُ وهي مُستَكْرَهة . وكان

= مذهبه من الجوسية والنصرانية . لكن جاء في الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه

أبو نواس . ففيه : « وما في ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويرى عليهم ،

ويزعمهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم

بل يقول في مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند

النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك

الخلافاً إلى ما في أقوال ما في من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المقتمة ، فلعله سقط منها شيء . وانظر الأدب والاوراق حيث تجد زيادة في الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحور . س : « أحصاء » ، صوابه في ط ، هـ ، والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « التنظير » ، صوابه في س .

(٤) كليلية : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفي الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لا » .

يقال : « العقل ^(١) إذا أكره ^(٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ ^(٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتى يَأْلَفَ الجَهِلُ ، لم يكْد ^(٤) يفهم ما عايه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابِقِ إلى القلب .

(شعر لحمد عجرد)

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

اعْلَمُوا أَنَّ لُودَى ثَمْنَا عِنْدِي ثَمِينًا
لَيْتَ شِعْرِي أَىَّ حَكْمٍ قَدْ أَرَاكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطِي نَ وَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَا ^(٥)
ابْنُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ فِي أَسْتِ هَذَا الدِّينِ دِينَا ^(٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عادٍ في هذا الموضع . غيره ! وقال

حمادُ عَجْرَدٍ في بشار :

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ إِنَّ أُمَّ لَكَ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ اكْتِنَامٍ ^(٧)
وَتَبَدَّلْتَ ثَوْبَانِذَا الْ—بَآئِرِ الْمَضْبَرِّ وَالْعُرَامِ ^(٨)

(١) ط ، ه : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، ه : ولم يكْد « بإثبات الواو قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، ه .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في ه . ونقاهن :

أى يالقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثويان : رجل اتهم أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (المايون

ثَوْبَانَ دَقَاقَ الْأَزْزِ بِأُرُوَاتِ حَمَامٍ^(١)
عَرْدَ كَقَامَةِ السَّرِّ بِرِ يُبِيلَهَا عِنْدَ الرُّطَامِ^(٢)
وَأَتَتْ سُمَيْعَةَ بَعْدَهَا بِالمَصْمَلَاتِ الْعِظَامِ^(٣)
أَخْتُ لَمْ كَانَتْ تَكَا بِرُ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ^(٤)
وَقَالَ حَمَادٌ يَذْكُرُ بَشَارًا .

غَزَالَةَ اللُّرْجَةِ أَوْ بِنْتَهَا سُمَيْعَةَ النَّاعِيَةِ الْفَهْرَا^(٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمَّهُ^(٦)

أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جُشَمِ اسْتَهَا لِيَحْقُكُمُ أَنْ تَفْرَحُوا لَا تَبْجِزُوا^(٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشار أن يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلقُ

== يابن التي نشزت عن شيخ صبيها لأير ثوبان ذى الهامات والمعجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجه . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، ه .

(١) ط : « دقانا » صوابه في س ، ه . ط : « الازار » وأثبت ما في س ،
ه ، وهما عرقان . س : « يدقها أزرب خام » وأثبت ما في ط ، ه .
عل تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في س ، ه .
يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسلها » ووجه ما أثبت من س .
والرطام : أن يخالطها مستوحيا . ه : « الركام » صوابه في ط ، س .

(٣) ضبطت « سمية » بهيئة التصغير في س . والمصملات : الدوامي .

(٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبني ، أي يابني . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم »
ولا كاله من س .

بالشعر ؛ لأن حماداً في الخضيض ، وبشاراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض مولدٌ قروى يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن مخطوط^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وقد كان يعدو على رجله
يرُوحُ ويغلو كأيبر الحمارِ ويرجعُ صيفراً إلى أهله^(٣)
وقد زعموا أنه كافرٌ وأن التزندقَ من شكله
كأنى به قد دعاه الإمامُ وآذن ربك في قتله

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرضُ للقتلِ بجهده . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يُذْنِلكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٤)

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضى في طرف الحيرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه في س ، هـ . صفرأ : خال القيدن .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تعريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلقها :

أيها المتتاب من عفره لست من ليل ولا سمره

يحد بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت عجة كبيرة بين الأدباء ، فأخفوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . انظر للكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ ليسك والمقد (٣ : ٤٣٦ - ٤٣٧) =

فلما قال :

فأَحْبَبْتُ قُرَيْشًا لِحَبِّ أَحْمَدِهَا وَاشْكُرْ لَهَا الْجَزَلَ مِنْ مَوَاهِبِهَا^(١)
جاء بشيء غطى على الأوَّل .
وأنكروا عليه قوله :

« لو أكثر التَّسْيِيحَ ما نَجَّاهُ »

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضرير ، أحد رواة أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مدحجه الذي يقول فيه :
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
فعليت أنه كلام ردى مستحسن موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لي : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القليل الذي هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومغفر
بهايل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين الياس منهم ، فاتهمب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الليوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهزمة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حيبته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حيبته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لنفسه » . وفيه : « وحكى سيويه : حيبته وأحببته . معنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بقطران وهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعها إبداعاً ، وأنى بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شوما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست يدار عفت وغيرها ضريان من قطرها وحاصها
وفيها يقول :

فلجج نزارا وافر جلدها واعتك السر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جِبَارَ السَّمَوَاتِ ^(١)
غَطَىٰ هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ ^(٢) . وهذا البيت مع كفره مَقْبُوتٌ جداً . وكان
يُكْثِرُ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٣) .

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ إلا قوله :

أَمَسْتَجِرَ الدَّارَ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ ^(٤)
كَأَنَّهُمَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمُ بَيْنَ ذَوَى تَفَنِّيدِهِ مُطَرِّقُ ^(٥)
فعاوبه بذلك ، وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكنت هذا الحجر ، كأنه

(١) أحد هذا ، هو أحمد بن أبي صالح ، كان أبو نواس يتمشقه . أخبار أبي نواس ١٤٥ .
وأبيات القصيدة فيها ، وفي ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقوله :

فقلت والليل يحلوه الصباح كما يحلو التيس عن غير الثنيات

(٢) في الأصل : « الأول » . وانظر مثل هذا التعقيب في الصفحة السابقة .
و « غطى » رسمت بالألف في هذا الموضع وسابقه في كل من ط ، هـ وهو
رسم قديم . وأثبت ما في س .

(٣) أي كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق . وما قال في ذلك .
(الصناعتين ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّهَ فَاشْتَبَهَا خُلُقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشَّرَاكَانِ

قال العسكري : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
في خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أخبر الديار » س : « أمستجر الديار » هـ : « يامستجر الديار » ،
ولعل صوابه ما أثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجاني . والتفنيذ ، المراد به : اليوم والعذل . والتفنيذ : التشذيب والتعجيز .
وتخطى الرأي وتضعيفه . والبيت عند العسكري في الصناعتين ٦٨ .

إنسان ساكت ، وإنما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار ، ويشبه صممه بصمم الصخر .

وعاوبه بقوله ، حين وصف عين الأسد بالبحوظ ، فقال :
كأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَبَتْ بِارِزَةِ الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالغَوُورِ . قال الرَّاَجَزُ :
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) .

وقال أبو زبيد^(٣) :

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمَنَاقِبِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بعدَ بَشَّارٍ أَشْعَرَ منه^(٥) .
وقال أبو زبيد :

وَعَيْنَانِ كَالْوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجُمُرَتَيْنِ تَسْعَرُ^(٦)
(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدثني أبو شعيب اللؤلؤ ، وهو صُفْرِي^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

- (١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ماقط ، س والصناعتين ١١٥ .
- (٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .
- (٣) هو أبو زبيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .
- (٤) الوقب ، بالفتح : الفتحة في الصخر . قِيضًا : شقا وحفرا . اقْتِيَاضًا : استئصالا . في الأصل : « قِيضًا اقْتِنَاصًا » محرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالقأس ينقر بها .
- (٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتي .
- (٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة » يرى فيها « .
- (٧) الصُفْرِي ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفريّة . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلعهم من

سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَأَنَّهُمْ^(٢) جعلوا السَّيَّاحَةَ بَدَلَ تَعَلُّقِ النَّسْطُورِيِّ^(٣) فِي الْمَطَامِيرِ .
و [مُقَامٌ^(٤)] الْمَلِكَانِيُّ^(٥) فِي الصَّوَامِعِ . وَمُقَامُ النَّسْطُورِيِّ

= للدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبه في الفرق ٧٠ - ٧١ والمثل والنحل
(١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق
والمثل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

« (١) السَّيَّاحَةُ : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

« (٢) ط ، هـ : « لَأَنَّهُمْ » وأثبت ما في س .

« (٣) في القاموس : « النسْطُورِيَّةُ ، بالنسبة وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم .
وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل
بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو ألقاب ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) :
« وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى
نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس : فإن
نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر
المسعودي في الغنية والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أفسس قرر
لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا
ومات بقبرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١
الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبضية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة
الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب
القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، مذكروا الشهير ستاني
صاحب المثل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسْطُورِيَّةُ
أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل
(١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام
نحو ١٨٣ سنة .

« (٤) ليست بالأصل . ونها يلتمس الكلام .

« (٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣
وملكي وملكية كما في الغنية والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني
أقدم النصارى . وفي المثل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي
ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكاء » =

في المطامير ^(١) .

قال : « ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت »
« رأيت صاحبه » ^(٢) « والسياحة عندهم ألا بيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة ^(٣) ، ومما طابت به أنفسُ الناس له
حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غرْمه ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتم
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال . فدخل الأهواز منهم رجلاً ، فضى أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخر بقرب حانوت صائغ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور
ومعها حق ^(٤) فيه أحجار نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لبعض أهل تلك الدور يردد ^{١٤٧}
فلما سقط الحق وبأينه الطبق ^(٥) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسرانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع المعمود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الأمة النبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهباً تحت الأرض . وهي في أصلها القنوى : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقبة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً
لحقبة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجاب النور » ، لو كشف
طبقة لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوى
ما هو غطاء له .

ذلك الظليم أعظمَ حجرٍ فيه وأنفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السَّائِحِ ^(١) ؛ ووثب الصَّائِغُ وغلَّمَانُهُ فجمَعُوا تلكَ الأحجارَ ، ونَحَوُوا النَّاسَ ^(٢) وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلك الحجرَ ، فصرخت المرأةُ ، فكشف القَوْمُ وتناحَوْا ^(٣) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكَرِهَ أن يخبرهم أنه في جوف الظليم فيَذْبَحُ الظليمُ ، فيكون قد شارك في دم بعض الحيوان ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبخشوه وقدشوا كلَّ شيءٍ معه وألَحُّوا عليه بالضرب ، وأقبل صاحِبُهُ وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا ^(٤) دفعته إلى هذا حتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوها ليقِرَّ ^(٥) فيبينا هما كذلك إذ مرَّ رَجُلٌ بِعَقْلٍ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم : أكان هذا الظليمُ يتردَّدُ في الطريق حينَ سَقَطَ الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوضُوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجرَ وقد نَقَصَ في ذلك المقدارِ من الزَّمانِ شيئاً بِشَطْرِهِ ^(٦) ، إلا أنها أعطته لَوْ نَأَى صارَ الذي استفادوه من جهة اللَّوْنِ أربحَ لهم من وزنِ ذلك الشَّطْرِ أن لو كان لم يَذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ ^(٧) .

(١) العين ، بالفتح : المايعة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أثرأ بعد عين » . انظر أمثال الميداني في هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، ه .

(٣) تناحوا : المراد بها تبعادوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها في س ، ه .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ه .

(٥) في الأصل : « لميوتا » . وفي الجواهر للبديوي ٤١ : « فضرَبها ضرب التقرير » .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التي تقذح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ مُجَمَّلًا في القول في النيرانِ وأقسامها ، ومَوَاضِعِها ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَجَم ، وأَيُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العَرَب . ونُخَبِّرُ عن نيرانِ الدِّياناتِ وغيرِ الدِّياناتِ . وعن عَظَمِها وعن استِهانِ بها . وعن أَفْرَطِ تَعظيمِها حتَّى عَبَدَها . ونُخَبِّرُ عن المَوَاضِعِ التي عَظُمَ فيها مِنْ شَأْنِ النَّارِ .

(نار القربان)

فمن مَوَاضِعِها التي عَظُمَتْ بها أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جعلها لبني إِسرائيلَ في موضعٍ امتحانٍ لإخلاصِهِمْ ، وَتَعَرُّفِ صَدَقِ نِيَّاتِهِمْ ، فكانوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلَهُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النِّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَذَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

والدَّلِيلُ على أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ معلوماً ، قولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَيَا لَذَى قُلْتُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعل بيان ذلك في الآخرة . وكان ذلك التذبير مصلحة ذلك الزمان^(١) ، ووفق^(٢) طبائعهم وعيولهم . وقد كان القوم من المعاندة والغبابة على مقدار لم يكن لينجع^(٣) فيهم ويكمل لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزن . فهذا باب من عظم شأن النار في صدور الناس .

ومما زاد في تعظيم شأن النار في صدور الناس^(٤) قول الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ^(٥) أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ^(٦) إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد في قدر النار في صدور الناس .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التذبير مصلحة فيه ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في ه و ثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، ه : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال . ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ . إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك مما زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾^(١) .
والنار من أكبر الماعون^(٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك مما يزيد في قدرها ، وفي نباهة ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾^(٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخرها ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريقها .

١٤٩٩ وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق ، والرياح ، وبالخاصب^(١) ، والرَّجْم^(٢) ، وبالصواعق ، وبالخشف^(٣) ، والمسخ ، والجوع ، والنقص من الثمرات ، ولم يعث عليهم ناراً ، كما بعث [عليهم^(٤)] ماءً وريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرق بها شيء من الهوام وقال^(٥) : « لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كَمَا تَرَى . ففهمهم - رحمك الله - فقد أراد الله إفهامك .

وقال الله تعالى لِلْمُتَّقِينَ^(٦) : ﴿ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواطئ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآية . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها^(٧) ، غير إدخال الناس^(٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والخصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والتلج ، أو الريح التي تقلع الخصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تغيب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخنسنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أى على لسان رسوله صل الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المرار بن منقذ^(١) :

وَكأنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحَصَّبٍ يَلْوَى عُنَيْرَةً مِنْ مَقِيلِ الثُّرْمُسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطْتَ الْخَزَامَى عَرْفَجاً يَأْتِيكَ قَابَسُ أَهْلِهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوِيَّتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبِسٌ لَمْ يُورِ نَاراً .

وقال كثير :

لَهُ حَسْبٌ فِي الْحَيِّ ، وَإِ زِنَادُهُ عَقَارٌ وَمَرْخٌ حَتَّى الْوَرَى عَاجِلُ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار المختل ، وهو الذي سمي بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج المجاهد بينه وبين جرير . معجم المرزبان ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرحلنا » صوابه في س . ط : « محصب » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الخزامة » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعليق الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : منقذ . والزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذي يقتل به . وهي كناية عن الكرم وغيره من الخصال الحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه في هـ والمخصص . حته : أراد : جعل بإسماله . وفي الأصل : حته » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره في المخصص : « لم حسب » . وما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد المالك خالط فيه مرخ عقارا

ولو بت قدح في ظلمة حصاة بنيع لأوريت نارا

وَالْعَفَارِ وَالْمَرْخِ ، مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْعِيدَانِ الَّتِي تُقَدِّحُ ، أَكْثَرُهَا
فِي ذَلِكَ وَأَسْرَعُهَا .

قال : ومن أمثالهم : « فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ
وَالْعَفَارُ ^(١) » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ؛
فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الْأَزْمَاتُ ^(٢) وَرَكَدَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَاشْتَدَّ
الْجَدْبُ ، وَاحْتاجُوا إِلَى الْاسْتِمْطَارِ ، اجْتَمَعُوا وَجَمَعُوا مَا قَدَّرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبَقَرِ
ثُمَّ عَقَدُوا فِي أَذْنَابِهَا وَبَيْنَ عَرَاقِبِهَا ، السَّلْعَ وَالْعُشْرَ ^(٣) ، ثُمَّ صَعَدُوا بِهَا
فِي جَبَلٍ وَغَيْرِهِ ^(٤) ، وَأَشْعَلُوا فِيهَا النَّيْرَانَ ، وَضَجُّوا بِالْذُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ . فَكَانُوا
يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ السُّقْيَا . وَلِذَلِكَ قَالَ أُمَيَّةٌ :

سَنَةَ أَزْمَةٍ تَخِيلُ بِالنَّاسِ
مِنْ تَرَى لِلْعِضَاءِ فِيهَا صَرِيرًا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء .

طلباً للمجد . ط ، س : « استمجد » هو : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميداني .

(٢ : ١٨) (٢ : ١١) والخزائن (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦)

٤٦ بولاق (ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمان ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل :
« الأزمان » محرفة .

(٣) السَّلْع ، بالتحريك ، والعشْر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون
حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحذرونها من الجبال . انظر شرح شواهد
المنقى ٣٤٧ .

- إِذْ يَسْفُونَ بِالْذَّقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطِيرًا (١)
وَيَسُوقُونَ بَاقِرًا يَطْرُدُ السَّمَّ لِي مَهَازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ يَمُورًا (٢)
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهَيَّجَ الْبُحُورًا (٣)
فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرًا (٤)
فَرَأَاهَا إِلَهُهُ تَرَشَّمَ بِالْقَطِّ رِ وَأَمْسَى جَنَابُهُمْ مَمْطُورًا (٥)
فَسَقَاهَا نَشَاصُهُ وَكَافَ الْغَيْءُ مِ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ السَّكْبِيرًا (٦)
سَدَلَعُ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرُ مَا عَائِلُ مَا وَعَالَتْ الْبَنْقُورًا (٧)

(١) سفت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، يفتح السين .
والباء في : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب
٣٩٧ والافتضاب ٤٥٦ . والفطير : ما عجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
حتى يخبث .

(٢) الباقِر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهى رواية
الألوسى في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نخاف ، هزلتها
الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا »

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر للطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا »
ه : « عدا » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
وأهاجه . وروى في اللسان (شكن) وبلوغ الأرب : « في شكن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
يرح ، كأنه يصبر أى يعيس .

(٥) صبير رأيا للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نباتها . فى الأصل
والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والفطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفى
الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أى من النشاص .
وفى الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة »
وفى الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مقعم
بالتحريف والتصحيف .

(٧) السبع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأضمى ينشد هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صَفَّتْ ، إنما هي اليقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد ^(١) القحذى ^(٢) للورل الطائي ^(٣) :

لَا دَرْدَرٌ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ ^(٤)
أَجَاعِلُ أَنْتَ يَيْقُورًا مُسْلَعًا ذَرْبَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ ^(٥)

= الجاحظ تصحيف الأضمى ، كما سيأتى . والرواية : « اليقورا » بمعنى البقر ،
كما تبه وكافى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال للشيء قلنا : نزل عليه .
القاموس . يقول : أنقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل)
وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة فى (عل) بعد أن قال : « وَعَالٍ عَلَى :
أى إجل » . فكأنه جعل « عال » مرة أخرى من المبالاة . والبيت استشهد
به ابن هشام فى المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى فى المزهرة
(٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأضمى . وفيه : « التيقورا » .
وليس أحد الصحيفين بأولى فى الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى فى بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأضمى هو : « وغالت اليقورا » بالعين
المعجمة .

(١) ط : « فأُشْد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) القحذى هو الوليد بن هشام القحذى ، كما فى البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قاله ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن
هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . مات سنة اثنتين وعشرين
وماثلين . » والقحذى ، يفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة :
نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحذى » بالذال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كلا فى الأصل واللسان (يقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيت . وفى اللسان
(سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (يقر ، و سلع) .

(٥) مسلعة : وضع فى أذناها وبين عراقيها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وبَقِير . وبَقِير ، وبَاقِر ^(١) . ويقال للجِجَاعَة منها :
 قَطِيع وإِجْل . وكَوَّر ^(٢) . وأنشد ^(٣) :
 فسَكَّنهم بالقَوْلِ حتى كأنهم بواقِرُ جُلُحٍ أسكَّنَها المرائعُ ^(٤)
 وأنشد ^(٥) :
 ولا شُبُوبٌ مِنَ الثيرانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإِغْرَاءِ وَالطَّرْدُ ^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
 (٢) إجْل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكبيرة من الإبل » وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً .
 (٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة المذلي ، كما في اللسان (جلع) . وله ترجمة في معجم المرزبانى ٣٢٦ . وللعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .
 (٤) جلع : جمع أجلع وجلعاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكتها » ، وروى في (بقر) : « أسكنها » . وفي س : : « أسكنها » .
 (٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب المذلي ، كما في ديوان المذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :
 تَأَلَّه يَبْقَى عَلَى الْإِيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رِبَاعٌ سِنَّهُ غَرْدٌ

يقول : تأله لا يبق على الأيام مبتقل : أى الذى يرمى البقل . جاون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أى : ولا يبق شبوب . والشبوب ، كصبور : التام اثشاب . ومثله الشيب ، بالتحريك . والمنشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » . وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شُبُوبٌ » بالبناء على الفتح « وهو خطأ » ، فإنه عطف على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفردته عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ؛ فلا يعقدون حلفهم إلا عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يجركون الدّال في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلا شدة ، وطول الليالي إلا مدًا ، ما بل البحر صوفة ^(٥) : وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) : (إن كان جبلهم رضوى) .

= أى إغراء الكلاب الصائحات به . والطرء ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » بحرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصاحح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمتا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمتا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لانزال معكم حتى نموت عنكم . والعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيده الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني . ويروى : « ما بل بحر صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبلهم .
 وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم ^(١) .
 ويهولون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفُ
 مِنْ جِرْمَانٍ مُنْفَعَتِهَا . وقال الكُمَيْتُ :
 كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْحَلْفُ نَ لِلْحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا ^(٢)
 وأصل ^(٣) الحِلْفُ والتَّحَالِفُ ، إِنْما هُوَ مِنَ الْحَلْفِ وَالْإِيمَانِ ^(٤)
 ولقد تحالفت قبائلُ من قبائل مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ ، فتحالفوا عند نَارٍ قَدَنُوا منها .
 وعشَّوا بها ^(٥) . حَتَّى مَحَشَتَهُمْ . فَسَمُّوا : الْحَاشِ ^(٦) .
 وكان سيدهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يَزِيدُ بْنُ سَنانَ بْنِ أَبِي حارثة ^(٧) .
 ولذلك يقول النَّابِغةُ :

جَمَعَ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي جَمَعْتُ يَرْبُوعاً لَكُمْ وَتَمِياً ^(٨)

- (١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
 (٢) الهولة ، بالقسم : مأهول . ط ، س : « الهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
 وكانوا يطرحون في النار ملحا يفتح يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزاعة
 (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلاً أوسع . وقبل البيت كما في الخزاعة :
 فَقَدْ صرْتُ عَمَّاءَ لَهَا بِالْمَشِيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ
 (٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجه ما أثبت .
 (٤) الأيمان : جمع يمين ، وهى القمم . ط : « ولا يمار » تحريف ما أثبت من
 س ، هـ .
 (٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .
 (٦) الحاش ، بالكسر . وعشته النار : أحرقته . والحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
 ديوان النَّابِغةِ البطلاني ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيط بن مرة ،
 تحالفوا على بني يَرْبُوعَ بن غيط بن مرة ، رهط النَّابِغةِ .
 (٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما
 سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
 (٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يَرْبُوعاً » .

١٥١ وَلِحِقْتُ بِالنَّسَبِ الَّذِي عَيَّرَنِي وَتَرَكْتُ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيَا^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تميمه^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وَرَبَّمَا تَحَالَفُوا وَتَعَاقدُوا عَلَى الْمَلْحِ . وَالْمَلْحُ شَيْثَانٌ : أَحَدُهُمَا الْمَرْقَةُ^(٣) .
وَالْآخَرُ اللَّبَنُ . وَأَنْشَدُوا الشُّتَيْمَ بْنَ خُوَيْلِدٍ الْفَزَارِيَّ^(٤) :
لَا يَبْعَدُ اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَالْمَلْحُ مَا وَلَدَتْ خَالِدَةً^(٥)

(١) كان يزيد يفخر بنسبه في قيس ويقول :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ صُلْبِ قَيْسٍ مَا جِدَ لَامِدَحٍ نَسَبًا . وَلَا مَسْتَكْرَ .
وكان يقول للنايفة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقال
النايفة له : أنا لاحق بمن عيرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تتلنى عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي لاديوان :
« وتركت أصلك » و « ذميا » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك
وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وميمه هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النايفة ٧٠ . قال : « قوله وميميا ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
ميمية بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرغم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هى في أصل الشرح : « مرة » . و « ميمية بن ضبة » هى في أصلها : « تميم
ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمه » . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزانة
(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجده من فسرها
بأنها المرقه .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهل كما في الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في
الخزانة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيكه بن الحارث المازني من مازن فزاره .
ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبيرى .
وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرقى بنى خالدة : كردما
وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاعل ٩ والكامل ٢٨٤ ليساك . صلف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطَّمَحَانِ ^(٢) :

وإني لأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشْعَثَ أَغْبَرًا ^(٣)
 وذلك أَنَّهُ كَانَ جاورهم ، فكان يَسْقِيهم اللَّبَنَ ؛ فقال : أرجو أن
 تشكروا لي رَدَّ لِإِسْلِي ^(٤) ، عَلَى ما شَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِها ، وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ
 أَشْعَثَ أَغْبَر . كَأَنَّهُ يَقول : كنتم مهازيل - والمهزولُ يَتَشَفَّفُ جِلْدُهُ
 وَيَنْقُبُضُ - فَبَسَطَ ذَلِكَ مِنْ جُلُودِكُمْ .

(نار المسافر)

ونار أخرى ^(٥) ، وهى النَّارُ الَّتِي كانوا رُبَّمَا أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على « العباد » أو بجمل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ :
 ٤٤٤ س ٤) - حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وغالدة هى بنت أرقم ،
 أم كردم وكريدم ابني شعبة القفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحن ، بالحريك ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب
 فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغافه
 (١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى السكامل ٢٨٤ ليسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف
 ٤٩٤ والمختص (١ : ٢٦) بالجر . وللتصيدة مكسورة الروى . وأولها :

أَلَا حَسَنَتِ المِرْقَالُ واشتاق رُبُّها تَذَكَّرُ أَرْمَامًا وَأَذَكَّرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغافه (١١ : ١٢٨) . والبيت يقولهُ لقوم
 نزلوا عليه فشرُّوا من أَلْبَانِها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائل س :
 « ردائل » هذا الإجمال . وصوابهما ما أثبت .

(٥) سماها السكرى فى كتاب الأوائِل : « نار الطرد » صبيح الأعشى (١ :
 ٤٠٩) وتنزيل الآيات لحب الدين أفتدى . وسماها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٥٩ =

« نار المسافر » .

«وَحَلَفَ الزَّائِرُ الَّذِي لَا يَجْبُونَ رَجُوعَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الدُّعَاءِ : أَبْعِدْهُ اللَّهُ وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقَدَ نَاراً خَلْفَهُ ، وَفِي إِثْرِهِ ! وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَشَارَ - وَضَرْبَهُ - مِثْلًا - :

صَوْتٌ وَأَوْقَدْتَ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا^(١)
وَأَنشَدُوا :

وَجَعَلَتْ أَقْوَامٌ حَمَلَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِتَوْقِدِ نَارًا لِإِثْرِهِمْ لِتَنْتَدِمَ^(٢)
وَالْجَمْعَةُ : الْجَمَاعَةُ يَمْشُونَ فِي الصَّلَحِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي إِبْلِهِ :
• تَقَسَّمُ فِي الْحَقِّ وَتَغْطِي فِي الْجَمْعِ^(٣) •

يقول^(٤) . لا تندم على ما أعطيت في الجمالة^(٥) ، عند كلام الجماعة
«توقد خلفهم ناراً كي لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى^(٦) وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً
عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً ؛ ليلغ الخبر أصحابهم .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ وبجالس ثعلب ٦١١ والأزمة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .
(٢) مثل هذه الرواية في ثمار القلوب ٥٩٩ وتنزيل الآيات . وروى في اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمعة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) في الحق : أي في حق الأضياف إذ ينحرفها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق »
صوابهما في ط . س : « بالجمع » صوابه في ط ، هـ .

(٤) أي الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الجمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والسكري فيما نقل عنه
سحب الدين أفندي : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه التلخشتي : « نار الحرب » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَ^(١)

وَإِذَا جَدُّوا فِي جَمْعِ عَشَائِرِهِمْ إِلَيْهِمْ^(٢) أَوْقَدُوا نَارَيْنِ . وَهُوَ قَوْلُ

الفَرَزْدَقِ^(٣) :

لَوْلَا فَوَارِسُ تُغْلِبَ ابْنَةُ وَاثِلٍ سَدَّ الْعَدُوَّ عَلَيْكَ كُلِّ مَكَانٍ^(٤)

ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ أَشْرَفَتَا عَلَى الثَّيَرَانِ^(٥)

(١) خزاز وخزازی ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروایتين . س ، هـ : « خزاز » مصحفة . وانظر خير يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ : ٣٥٣) والمقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ : « ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين وهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : نخبائة رجل رهائن لقيائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنوقيس وبنو تميم اللات ابنتي ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابيه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يحكى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحَرَّتَيْنِ)

ونار أخرى ، وهى « نار الحَرَّتَيْنِ »^(١) ، وهى نار خالد بن سنان ، أحد بنى مخزوم . من بنى قَطِيمةَ بْنِ عَبْسٍ^(٢) . ولم يكن فى بنى إِسْمَاعِيلِ ١٥٢ نبيُّ قبله . وهو الذى أطفأ الله به نار الحَرَّتَيْنِ . وكانت ببلاد بنى عبس^(٣) ، فإذا كان اللَّيْلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السَّما ، وكانت طيِّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرة ثلاث^(٤) . وربما ندرت منها العُنُقُ^(٥) فتأتى على كلِّ شىء فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإِنما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن سنان

== فهو تحريف صوابه ما أثبت من الحزاة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، ونزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا للصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرقنا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هاجرة ليل ، ليل مرة ، وحرة النار لطفان ، كما فى المزهرة (٢ : ١١٩) . أما حرة ليل فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قرية من حرة ليل قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيمة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضهير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبي عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صحيح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جمعها ترحى ليلادون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلاً عن الجاحظ ، وكما فى صحيح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفى ثمار القلوب : « تنمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالقاء ، كما أثبت موافقاً لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَضَرَ لها بُرّاً ، ثمَّ أدخلها فيها ، والنَّاسُ ينظرون ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتى غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول : [هَلَاكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كذب ابنُ راعيةِ المعز ، لأخرجنَّ منها وجيئني يَنْدَى ^(٢) ! فلما حضرته الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتموني ، فاحضروني بعد ثلاثٍ ؛ فإنَّكم تَرَوْنَ عَيْراً أَبْتَرَ يطوفُ بقبري ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني ؛ فإنِّي أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك في اليوم الثالث ^(٣) ، فلما رأوا العَيْرَ ^(٤) وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله في الفرقة التي أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفعلُ ! إني ^(٥)] إذا أدعَى ابنُ المنبوش ! فتركوه .

وقد قَدِمَتْ ابنتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبَسَطَ لها رِدَاعَهُ وقال : هذه ابنةُ نَجِيٍّ ضِيعُهُ قَوْمُهُ .

قال : وَسَمِعْتَ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقالت : قد كان أبي يتلو هذه السورة .

(١) هذه التكلفة من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب في محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة في الأصل . وفي ط :

« وجيئني تندل » ه : « وجيئني يندا » س : « وجيئني تندی » . وينتلى :

أي عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولقحها .

(٣) كذا في س ، وثمار القلوب . وفي ط ، ه : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشي .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر الخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمشكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرح وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قط من الأعراب
ولا من الفدادين^(٢) أهل الوبر ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكّان
المدن .

وقال خليد عني^(٣) :

وأي نبي كان في غير قومي وهل كان حكم الله إلا مع النخل^(٤)
وأنشدوا :

كنار الحرتين لها زفير يصم مسمع الرجل السميع^(٥)

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زال الناس كفاءةً ، والأمم قاطبةً - حتى جاء الله بالحق - مؤلّعين
بتعظيم النار ؛ حتى ضلّ كثير من الناس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرح وناظرة : ما ان لميس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرح ، يفتح الشين .

وسكون للراء بعدها جيم . وناظرة ، بالطاء المعجمة . وفي ط ، س : « سرح

وناصرة » ه : « سرح وناصر » محرفان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل البادية .

(٣) ميين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خليد عيسى » محرف .

(٤) يقوله لجرير في قصيدة يهجو بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، ه : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلوية ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبدت ألبتة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْنَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد ينجىء في الأثر وفي سنة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبد والحنه ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من الناس ، فيجوزون الحد .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النِّيرانَ مِنْ بَيْتِي » . فلذلك لاتجد الكنائس والبيع ^(١) ، وبيوت العبادات ، إلا وهي لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتى اتخذت للنيران ٥٣ البيوت والسدنة . ووقفوا عليها الغلات الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة ^(٢) وقحلم ^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكرة ^(٤) ، وأمره أن يطفىء النيران ، فأراد عبد الله أن يبدأ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالدال المهملة . والمعروف في أسماهم : « قحلم » بالدال ، و : « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيح بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تولى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكرة . الإصاية ٨٧٩٤ .

جور^(١) فيطفيئها ، فقيل له : ليست للمجوس نَارٌ أعظمُ من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عليك أحدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدُّوا للحرب وامتنعوا ، فأبدأ بها . فخرج إلى الكاريان فتحصن أهلها في القلعة . وكان رجلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدرُ عليه أحدٌ ، وكان يمرُّ كلَّ عَشِيَّةٍ بباب منزله^(٥) استخفاً وإذلاً . ينفسه ، فغمَّ ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أحدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكر^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشدَّ الناس بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدٌ جبان . وإن أمرته به خاف القتال فلم يعرض له . فاحتل له حيلة . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرَّ الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلَ خلقٍ هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها مأثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناء أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروف » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكر » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العبدول » ، نسبة إلى عدول يفتحان فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما تجملون لى إن احتملته حتى أدخله الدار وأكتفه ؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تفون لى بألف ؟ قال : نعم ! فلما كان الغد مرَّ الفارسى^(٢) ، فقام إليه العبدى فاحتمله فامتنع ولا قدر أن يتحرك ، حتى أدخله الدار وضرب به الأرض وثب عليه الناس فقتلوه ، وعشى على العبدى^(٣) حين قتلوه . فلما قتل أعطى أهل القلعة بأيديهم^(٤) . فقتل ابن أبى بكره المراهبة^(٥) ، وأطفأ النار ، ومضى يطفى^(٦) النيران حتى بلغ سجستان .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوس تقدم النار فى التعظيم على الماء ، وتقدم الماء فى التعظيم على الأرض . ولا تسكاد تذكر الهواء^(٧) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٨) والجن ، وهى غير نار الغيلان^(٩) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(١٠) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأثروا .

(٤) المراهبة : جمع هريذة ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استبحاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعال : جمع سملا ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعال . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان

(٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعاً واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شير بن الحارث الضبى » وضبط « شير » =

وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعِيدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بهما مُقَامًا^(١)
 سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَالَتْهَا خَافَةٌ أَنْ تَنَامًا^(٢)
 أَتَوْا نَارِي • قُلْتُ مَنُونُ أَنْتُمْ فَقَالُوا: الْجَنُّ إِقْلَتْ: عَمُوا ظَلَامًا^(٣)
 قُلْتُ: إِلَى الطَّعَامِ، فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ: نَحْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامًا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسَنَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

تعالى^(٥) . بَلِ الَّذِي يَقَعُ هَهُنَا قَوْلُ أَبِي الْمَطْرَابِ عُبَيْدِ بْنِ أَيْيُوبَ^(٦) :

بَيْتُهُ التَّصْغِيرُ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ فِي ١٢٤ : « حَفَظْتُ سِيرَ » أَيْ بِالسَّيْرِ . وَانْظُرِ
 الْخِزَانَةَ (٣ : ٣) بُولَاقَ . وَجَاءَ فِي الْخِيَوَانِ (٦ : ١٩٦) : « شَمِرَ بَيْنَ الْحَارِثِ
 الْفُسْبِيِّ » وَمِثْلُهُ فِي الْبَاسَانِ (مِنْ) . وَنَسَبَهُ فِي (عِيرِ) إِلَى تَأْبِطِ شَرَاءَ .

(١) حَضَاتُ : أَشْمَلَتْ . هـ : « حَصَاتُ » مَصْحُفَةٌ . وَالْهَدَى ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : أَنْ تَهْدِيَ الرَّجُلَ
 وَالْقِيلَ . س : « هَذَا » بِحَرْفَةِ .

(٢) فِي شَرْحِ نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ١٢٦ : « سَوَى تَحْلِيلِ رَاحِلَةٍ ، أَرَادَ سَوَى رَاحِلَةٍ أَقْبَتْ بِهَا فِيهَا
 يَقْدَرُ تَحْلَةُ الْعَيْنِ » . وَتَحْلَةُ الْعَيْنِ : مِثْلُ فِي الْقَلِيلِ الْمَفْرُطِ الْقَلَّةِ . وَهُوَ أَنْ يَبَاشِرَ مِنَ الْفِعْلِ
 الَّذِي يَقْسِمُ عَلَيْهِ الْمَقْدَارَ الَّذِي يَرِبُهُ قِسْمُهُ وَيَحْلُهُ . مِثْلُ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى النَّزُولِ بِمَكَانٍ ، فَلَوْ
 وَقَعَ بِهِ وَقْعَةٌ خَفِيفَةٌ أَجْزَأَتْهُ ، فَتَلْكَ تَحْلَةُ قِسْمِهِ . انْظُرِ السَّهَانَ . وَرَوَى : « سَوَى تَحْلِيلِ
 رَاحِلَةٍ » أَيْ إِزَالَةَ اللَّحْلِ عَنْ ظَهْرِهَا . وَرَوَى فِي الْمَخْصَصِ (١ : ٩٤) الْمِيدَانِي (١) :
 (٣٢٠) مَعَ نَسَبِهِ فِي الْأَخِيرِ إِلَى تَأْبِطِ شَرَاءَ : « وَعِيرَ » أَكَالَتْهَا خَافَةٌ أَنْ يَنَامَا » . وَفِي
 الْخِزَانَةِ عَنِ الْمَفْضَلِ « وَعِيرَ أَكَالَتْهَا خَافَةٌ أَنْ تَنَامَا » . وَالْعِيرُ ، بِالْفَتْحِ : إِنْسَانُ الْعَيْنِ ،
 يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ .

(٣) مَنُونُ أَنْتُمْ : أَيْ مِنْ أَنْتُمْ . وَانْظُرِ تَفْصِيلَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ
 (مِنْ) .

(٤) إِلَى الطَّعَامِ : أَيْ هَلُمُّوا إِلَيْهِ .

(٥) بِرَّ الْجَاهِظِ بِوَعْدِهِ . وَأَعَادَ ذِكْرَ الْآيَاتِ فِي مَوْضِعِهَا . انْظُرِ الْخِيَوَانِ
 (٦ : ١٩٦) .

(٦) عُبَيْدُ بْنُ أَيْيُوبَ : شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ . كَانَ يَخْتَبِرُ فِي شَعْرِهِ أَنَّهُ يَرِافِقُ الْفُلُوحَ وَالسَّلَامَةَ ،
 وَيَبَايِتُ الذَّنَابَ وَالْأَفَاعِيَ ، وَيُؤَاكِلُ الثَّلَبَاءَ وَالْوَحْشَ . الشُّعْرَاءُ ٧٥٨ — ٧٦١ .

فَلله دُرُّ الغُولِ أَيْ رَفِيقَةُ لِصَاحِبِ قَفَرٍ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ ^(١) ١٥٤
أَرَنْتُ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدْتُ حَوَالِي نِيرَانًا تَبُوخٌ وَتَزْهَرُ ^(٢)

(نَارِ الاحْتِيَالِ)

وما زالت السَّدَنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جَهَةَ النَّيْرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحَيْلِ ، كاحتِيَالِ
رُهبَانِ كَنِيسَةِ الْقُصَامَةِ ^(٣) بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمَصَابِيحِهَا ، وَأَنْ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَهُمْ ^(٤) مِنْ غَيْرِ نَارٍ ، فِي بَعْضِ لَيَالِي أَعْيَادِهِمْ .

قال : وبمثل احتيَالِ السَّادِنِ ^(٥) لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، حِينَ رَمَاهُ بِالشَّرَرِ ،

(١) المتقفر : الذي يتبع آثار الصيد ونحوه . في الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسمودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للإبلاغي ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أَيْ رَفِيقَةُ » . صوابه : « رَفِيقَةُ » أَيْ
صاحِبَتِهِ ، كَمَا فِي هِ الْمَرَاجِعِ الْمُتَقَدِّمَةِ . وَفِي الشَّعْرَاءِ « يَسْتَر » بِدَل « مُتَقَفَّر » .

(٢) أَرَنْتُ : مِنَ الْإِرْنَانِ ، وَهُوَ التَّصَوُّيْتُ . فِي الْأَصْلِ : « أَذْنْتُ » صوابه فِي الْمَرَاجِعِ . ط :
« حَوَالِي نَيْرَانٍ » صوابه فِي س ، هـ ، وَالْمَصَادِرُ السَّابِقَةُ ، قَالَ الْمَسْمُودِيُّ ، « كَانَتْ
الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَزْعُمُ أَنَّ الْغِيلَانَ تَوْقِدُ بِالْقَيْلِ النَّيْرَانَ لِلْعِبْتِ وَالتَّخْبِيلِ وَاجْتِلَالِ السَّابِلَةِ » .
وَانْظُرِ الْحَيَوَانَ (٥ : ١٢٣) . تَبُوخٌ : تَسْكُنُ وَتَقْفَرُ . تَزْهَرُ : تَفْضُو ، وَبَابُهُ مَنَعَ .
وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا تَحْبُو تَارَةً وَتَشْتَعِلُ أُخْرَى . وَهَذِهِ رَوَايَةُ الْأَصْلِ وَالشَّعْرَاءِ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ
وَتَنْزِيلُ الْآيَاتِ . وَفِي مَرْجُوحِ الذَّهَبِ وَالْحَيَوَانَ ج ٥ : « تَلَوَّحَ وَتَزْهَرُ » . وَفِي هَذَا
الْبَيْتِ لِقَوَاءُ ، فَإِنَّهُ مَرُورٌ مَعَ آيَاتٍ خُصَّةٍ أُخْرَى مَكْشُورَةِ الرُّوْيِ . انْظُرِ الْحَيَوَانَ
(٦ : ٥٠) .

(٣) هِيَ كَنِيسَةُ الْقِيَامَةِ : أَعْظَمُ كَنِيسَةٍ لِنَصَارَى بِالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَرَجَحَ يَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ
تَسْمِيَتَهَا : كَنِيسَةُ الْقِيَامَةِ ، بِالضَّمِّ . فِي الْأَصْلِ : « الْقَمَّةُ » مُحَرَفَةٌ . صَوَابُهَا مِنَ الْحَيَوَانَ
(٦ : ٢٠٢) وَمَعْجَمِ الْبُلْدَانِ . وَجَاءَ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ ١٢٣ : « وَبَيْتُ هَيْلَانِ ،
بَبِلْيَا : السَّكْنِيَّةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْقِيَامَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا النَّارُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ
الْكَبِيرِ الَّذِي صَبَحَهُ الْفَصْحُ » .

(٤) يُقَالُ أَتَقَدَّتِ النَّارُ وَتَوْقَدَتْ وَاسْتَوْقَدَتْ . الْقَامُوسُ . فِي الْأَصْلِ : « تَسْتَوْقِدُ » .

(٥) يَرِيدُ سَادِنَ الْعَزَى . وَكَانَتْ الْعَزَى ثَلَاثَ شَجَرَاتٍ مِنْ سَمَرٍ ، فَأَرْسَلَ النَّبِيَّ =

ليوهمه أَنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ، حتى قال :

يَا عَزُّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)

حتى كشف الله ذلك الغطاء ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النار التى توقد للظباء وصيدها . لتعشى إذا أدامت
النظر . وتجعل من ورائها . ويطلب بها بيض النعام فى أفاحيصها ومكناها^(٢) .
ولذلك قال طفيل الغنوى :

عواذب لم تسمع نبوح مقامةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مُحْرَمٍ^(٣)

سوى نار بيض أو غزال يقفرة أغن من الخنفس المناخير توأم^(٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليمضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمكنا : الأمكنة ومنه
الحديث : « أقروا الطير على مكناها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .
قال الزخشرى : « وروى : مكناها ، جمع مكن . ومكن : جمع مكان
كصعدات فى صعد ، ومحررات فى محر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدُونَ النَّيرانَ يَهْوِلُونَ بِهَا عَلَى الْأَسَدِ إِذَا خَافُوهَا . وَالْأَسَدُ إِذَا عَايَنَ النَّارَ حَذَقَ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلَهَا ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَشْغَلُهُ عَنِ السَّابِلَةِ ^(١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثَعْلَبٍ ^(٢) الْأَعْرَجُ ، عَلَى وَادِي السَّبَاعِ ، فَعَرَضَ لَهُ سَبْعٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَكَارِيُّ : لَوْ أَمَرْتَ عِلْمَانَكَ فَأَوْقَدُوا نَارًا ، وَضَرَبُوا عَلَى الطَّسَاسِ ^(٣) ! فَفَعَلُوا فَأَحْجَمَ عَنْهَا ^(٤) . فَأَنْشَدَنِي لَهُ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، فِي حَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّارِ ، وَمَدَحِهِ لَهَا وَلِلصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِهِ لَهَا ^(٥) وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَأَحْبَبْتُهَا ^(٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا وَلَوْ فِي صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَصِرْتُ أَلَدُ الصَّوْتِ لَوْ كَانَ صَاعِقًا وَأَطْرَبْتُ مِنْ صَوْتِ الْحِمَارِ الْمُرْقَمِ ^(٧)
وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْبَرْدُ ، فَأَصَابَ نَارًا ، فَدَنَا مِنْهَا لِيَصْطَلِيَ بِهَا ^(٨) ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَخْرِمْنِيهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ !

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعلبي هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبوق تغلب » . وجاء في الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من المرجان الشعراء أبو ثعلب » ، وهو كليب بن الغول . وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، هو وثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه يخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلى منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الْحِيرَةُ ، الضَّفْدَعُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْقُ
فَإِذَا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحجاب)

ومن النَّيرانِ « نار الحجاب »^(١) وهي أَيْضاً « نارُ أَبِي الحجاب » .
وقال أَبُو حَيَّةَ :

تَعَسَّرَ فِي تَغْرِيبِهِ فَإِذَا انْحَنَى عَلَيْهِمْ فِي قَفٍّ أَرْنَتْ جَنَادِلَهُ^(٢)
١٥٥ وَأَوْقَدَ نِيرَانَ الْحَجَابِ وَالتَّتَى غَضَى تَرَاقَى بَيْنَهُمْ وَلَاوِلُهُ^(٣)
وقال القَطَائِيُّ فِي نَارِ أَبِي الْحَجَابِ :

تُخَوِّدُ تَحْوِيدَ النِّعَامَةِ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتْ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَعَارِبِ^(٤)

(١) الحجاب ، يضم الماء الأول ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ تَحْرِيفٌ . وَالْقَفُّ ، بِالضَّمِّ : الْأَرْضُ ذَاتُ حِجَارَةٍ عَظَامٍ . أَرْنَتْ : صَوَّتَتْ . ط ، هـ : « أَرْنَتْ » س : « أَرْتَنَا » مُحْرَفَتَانِ . وَالْجَنَادِلُ : الْحِجَارَةُ الْكَبِيرَةُ . جَعَلَهَا تَصَوَّتْ عَمَّا يَغْرِبُ بِمَعْضَا فِي بَعْضٍ .

(٣) الْفَضَى : نَبْتُ شَدِيدِ النَّارِ تَبَقَّ نَارُهُ طَوِيلًا . وَفِي الْأَصْلِ : « عَصَا » صَوَابُهُ فِي تَنْزِيلِ الْآيَاتِ ٩٣ . تَرَاقَى : تَتَصَاعَدُ . وَالْوَلَاوُ : الْأَصْوَاتُ ، جَمْعٌ وَلَوْلَا .

(٤) خُودُ الْهَيْبَرِ وَالظَّلِيمِ : أَسْرَعُ وَاهْتَزَّ فِي مَشْيِهِ . وَفِي الْأَصْلِ ، وَهَوْنًا ط ، هـ ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ سَاقِطٌ مِنْ س : « تَجَرَّدَ تَجَرِيدًا » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ ٣ . وَأَمَّا ابْنُ الشَّجَرِيِّ (٢ : ٦٠ حيدر آباد) . وَالْجُوزَاءُ : نَجْمٌ . تَصَوَّبَتْ قَصْدَ الْمَغَارِبِ : انْتَحَدَرَتْ وَمَالَتْ إِلَى الْمَغِيبِ . يَقُولُ : تِلْكَ النَّاقَةُ قَدْ سَارَتْ لِهَيْبَتِهَا وَهِيَ بَعْدَ ذَلِكَ تَوَاصَلَ سِيرَهَا السَّرِيعَ بَعْدَ تَصَوُّبِ الْجُوزَاءِ حِينَ يَمْتَرَى السَّكَلَالُ كُلُّ شَيْءٍ ، فَهِيَ مُحْفَظَةٌ أَبَدًا بِنَشَاطِهَا . وَإِنَّمَا تَتَصَوَّبُ الْجُوزَاءُ وَقْتُ الْغَدَاةِ . ط : « تَصَوَّتْ » صَوَابُهُ فِي هـ وَالْمَرْجِعِينَ السَّابِقِينَ . وَفِي الْأَصْلِ : « قَصْر » صَوَابُهُ فِي الدِّيَوَانِ وَالْأَمَالِ .

ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشتوت لطارقٍ ليلٌ مثلُ نارِ الحبابِ^(١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قريةٌ من نار أبي الحباب . وكلُّ نار
تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباب . ولم أسمع
في أبي حباب نفسه شيئاً^(٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرقُ :

نَارٌ تُعَوِّدُ بِهِ لِلْعَوْدِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ نِيرَانًا فَتَحْتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمال ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حبيب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه
الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس تؤنث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا اشتوا » أى أقاموا شواء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تعريف .
وهو قد سما قيس عيلان ؛ لأنه مرقى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبث عندها
بأثر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمال ابن الشجرى (٢ : ٥٨) . والخزانة
(٣ : ١٨٩ - ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حبيب) إلى النابغة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حباب ولا
أبو حباب . ولم تسمع فيه عن العرب شيئاً » . لكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلاً عن صاحب العين : « كان أبو حباب رجلاً من محارب خصفة .
وكان بجيلاً لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« ثلاثرى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباب فضرب بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا ناراً ضميغة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العِبدانَ وتُبطلها وتُهلكها ،
إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تبيء بالغيث . وإذا غِثَّتِ ^(١) الأرضُ ومُطِرَتْ
أحدَثَ الله للعِبدانِ جِدَّةً ، وللأشجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبي حجاب ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائرٌ صغير ، إنَّ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ،
وإن طار بالليل كان كأنَّهُ شهابٌ قذِفَ ^(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرة المذكورة في السَّكتب ، أنَّ رجلاً ألقى في ماءٍ
راكِدٍ ^(٣) في شتاءٍ بارد ، في ليلةٍ من الخنَادِسِ ^(٤) ، لا قمر ولا ساهور ^(٥) —
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلةَ العَشرِ ^(٦) والبدل والطوق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسيراً ^(٧) من برْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا حجاب وحجابا اليراع ، وهو فراشةٌ إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنَّها شريرة طارت من نار .

(١) غِثَّتِ الأرض : أصابها الغيث . والغيث : بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت »
صوابه في س .

(٢) أى الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفي السَّكتاب : « إلا من
خطف الخطفة فأنبئه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « باردا » .

(٤) الخنَادِس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع اليواقي من الشهر .

(٦) أى العشر الليالي . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أى مضمغاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالبدال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تَجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِئَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخلقاء والهراب)

وقال الشاعر :

ونار قبيل الصُّبحِ بَادَرَتْ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْفَدَتْهَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)
يقول : بَادَرَتْ اللَّيْلُ ، لِأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بِالنَّهَارِ ، كَأَنَّهُ كَانَ خَلِيعًا
أو مَطْلُوبًا^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٌ لَا يَتَقَبَّ النَّارَ سَفَرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ لَهِيدٌ^(٥)
كَأَنَّهُمْ كَانُوا هُرَابًا ، فَمِنْ^(٦) حُثْمِ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ،

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « بارد » ، وإذا فقد المعنى ، ووجه ما أثبت .

(٢) طَفِئَتْ النار ، كسَمِعَ ، طَفِئُوا : ذهب لها ، كَانْطَفَأَتْ . وَاَنْتَفَضَ : ارتفع ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفا » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهمزة . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد علمه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أُنْقِبَ النار : أشعلها . س : « ثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . في الأصل : « لهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فاعل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، هـ .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمسك ، وإنما يجتازون بالبسيطة ^(١) ،
أو بأدنى عُلقة ^(٢) . وقال بعضُ اللصوص ^(٣) :

ملساً بنودِ الخدييِّ مَلْساً ^(٤) نَبَّهْتُ عَنْهُنَّ غِلَاماً غُصّاً ^(٥)
لَمَّا تَغَشَّى فَرَوَةَ وَحِلْساً ^(٦) مِنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ ^(٧)
بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُسَكِّسِي وَرَمَا لَا تَخْبِرَا خَبْرًا وَبُسَا بَسَا ^(٨)

١٥٦

(١) البسيطة : بالفتح ، سيفرها الجاحظ . يقال بس البسيطة : صنها . ط ، س « بالبسيطة » .

ه : « بالبسيطة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بس) .

(٢) العُلقة : بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو الخفوان العقيل ، أحد بني المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإيل ملسا : ساقها في خفية . والنود ، بالفتح : جماعة الإيل . والخديي

يعني الرجل الخدي الذي سرقوا إبله . والخديي ، بالتحريك : نسبة إلى بني

حدس ، حى من التين . والبيت محرف في الأصل . ط ، ه : « ملسا برود

الحى مئى » س : « يرود الحى مئى » صوابها في اللسان (حدس) ومعجم

المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بنود

الحلى » محرف .

(٥) عَنْهُنَّ : أى عن الإيل . والنس ، بضم النين : الضعيف اللثيم . وفي الأصل : « قاسا »

صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جيسا » . والجيس ،

بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تَغَشَّى الشَّيْءَ : تَغَطَّى بِهِ . والجلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .

وهو ما يسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير

تحت القتب .

(٧) مثله في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى

وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة

بالورس . والورس ، بالفتح : ثبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تسكسا »

س ، ه : « تسكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص

ونوادر أبي زيد : « تطل ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد

سبق في (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رَوَاهُ الْمَرْزَبَانِيُّ : « لَا تَوَقُّدًا نَارًا » . وفسره بقوله : « لَا تَوَقُّدًا نَارًا لِتَخْتَبِرَا فَنَبِطًا =

ولا تُطِيلَا بِمُخَارِ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَبَسَا^(١)
قال : والبَسِيسَة^(٢) : أن يبلّ الدَّقِيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسم »^(٣) والمِيسَم . يقال للرجل : ما نار
إبلك ؟ فيقول عِلَاط^(٤) ، أو خِباط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرب بعض اللصوص إبلاً من الهواشة^(٧) ، وقد أغار عليها من كلِّ

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقتصر على الإساس وهو الحلب «
وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لَا تَحْزِنَا خَبْرًا وَنُسًا نَسًا » وهى إحدى
روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر
الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . وروى :
« لَا تَحْزِنَا خَبْرًا وَبَسًا بَسًا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء
فى المخصص .

(١) أسد وعيس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسيسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبلى بالميسم ، وهو المسكواة .

(٤) العِلَاط ، بالكسر : سمّة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العِلَاط
خطأ ، وربما كان خطين أو غطوطاً فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمّة تكون فى الفخذ طويلة عريضاً . وهى لبني سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .
س : « أو خباط » و « خباط » محرقة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمّة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س
« جلقة » صوابه فى هـ . وانظر باباً مفصلاً فى سمات الإبلى ، فى المخصص (٧ :
١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبلى هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبلى هواشة : أخذت =

جانب ، وجمّعها من قبائل شتى ، فقرّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التجّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كل قوم كرم إبلهم من لؤمها . فقال :

تَسألني البّاعة ما نِجارُها إذ زعزعوها فَسَمَتْ أَبصارُها^(١)
فكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُها وكلُّ نارٍ للعالمين نارها
وقال الكرّدوس المرادى^(٢) :

تسألني عن نارها ونِجاجها وذلك عِلْمٌ لا يُحِيطُ به الطَّمشُ^(٣)
والطَّمشُ^(٤) : الخلقُ . والورَى^(٥) : النَّاسُ خاصّة .

تمَّ المصحفُ^(٦) الرابع من كتاب الحيوان ، ويليّه إن شاء الله تعالى
المصحفُ الخامسُ . وأوله . نبدأ في [هذا] الجزء بتمام القول في نيران العجم
والعرب ، ونيران الدّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والحواشات ، بالضم : الجباعات من الناس

ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفي الأصل : « التّواسة » بحرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقاً شديداً . وفي الخزائنة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ

زعزعتها » أى زعزعتها البّاعة . وانظر رواية الرجز في الخزائنة ، وأمثال الميدافه

(٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرادى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفي ط : « الطمس » بالسين ، صوابه في

س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما في س .

(٦) ط فقط : « تمّ هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

٢٧ ١ كلمة « الشُّبُور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שִׁבּוּר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى كمرأس السنة . والعيد الأكبر : (عيد الصَّيَّام) .

٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم بيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عائتهم أنَّه لا يرأس حتى يكونَ طويلَ الباع تبلغُ أناملُ يديه ركبتيه إذا مَدَّها » . قلت : وهو بالعبرية : (גִּלְגָּם) : رُوش جالُويُوت .

٨٩ ٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يُتَّبَعْ ، فقتله على كُفْرِهِ وَرِدَّتِهِ . والنواحة : الكثيرة النَّوح » .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربت به . فيلحقون الياء » .

٩ « ربيعة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبي عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعائى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فإنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرثها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بحجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل القارسي هكذا : « أرْدهاء » بهزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهزة براء « أردهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرْدهاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً . . . » .

روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً . ٤ ١٧٤

« وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيدة موزوناً » . وقد يظن بعض الناس أن فى العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفة للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فنقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المعنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواء على قت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل المذلى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواء عليهم أن نذرتهم ٣ ١٨٤

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ لإمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرة أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

« المحلّ باقره » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

٨ ٢٠٣

فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا نَائِيًا إِذْ دَعَوْتَنِي

مُنَادِي عَيْبِدَانَ الْمَحَلِّ بِأَقْرَهُ

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف

رواية بيت النابغة .

ش ١٠ ٢١٨ « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف

ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في مع الهوامع (١ : ٣٤) .

لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا

عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ،

وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

٣ ٢٢١ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب

(١٠ : ١٤٨٠) .

١٥ ٢٢٢ ولادة الدّساس ، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعاً أخرى

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية، ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

٨ ٢٤٣ « دون صفاتها » أى دونه إرادة صفاتها وملاحظتها .
٧ ٢٧٠ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاحى
تكشُّ خلا الأسود ، فإنه يصغِر وينسَح ويضَبَح » . ونبح ،
يقال من بابى منع وضرب .

١١ ٣٢٣ ش « وكنت كالحقيق غدا يبتغى . . . الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيح ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى »
وقد أثبت هذا التصحيح صاحب المعاهد والتنصيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيح ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فأب وماله أذنان » اه
وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كثل حمار كان للقرن طالبا فأب بلا أذن وليس له قرن
فالظاهر أن « الحقيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني - عند قولهم :

« كطالب القرن جدعت أذنه » - :

مثل النعامة كانت وهي سائمة

أذناء حتى زهاها الحنين والجنُّ

جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه

والدهرُ فيه رباحُ البيع والغبنُ

فقيل أذنالكِ ظلمٌ ثمت اصطلمت

إلى الصَّماخ ، فلا قرنٌ ولا أذن

والجنُّ ، بضميتين : الجنون ، كما في اللسان (جن ٢٤٩)

عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيهه

الإبل المهزولة بالقسي ، قول البحتري - (انظر معاهد التنصيص

١ : ٢١٦) - :

كالقسيِّ المعطَّفاتِ بل الأثْمُ هُم مَبْرِيَّةٌ بل الأوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإِذَا سَمَّا خَطْبُ فَهَنْ سِهَامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .

ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصَّد

ولا خفراً زادت به حمرة الحصد

ورواية البيت بتمامه عند العكبري (١: ٢٧٧) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

١ ٤٠٨ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة
يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لا رعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ؛
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفىء البرق » .

١ ٤١٣ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خُلِقَ .

٢ ٤٢٧ « أربعين عاماً » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه
« أربعين يوماً » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحى الحبر ، لوحى
العهد الذى قطعه الرب معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلة ، لا أكل خبزاً ولا أشرب ماء » .

١ ٤٣٢ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :
(פסח) وتنطق : پيسح . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .
والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ما جاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

لرب الذي عَبَّرَ عن بيوت بني إسرائيل في مصر ، لما ضرب
المصريين وخلص بيوتنا . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وخدم بالضرب ، متجاوزاً بيوت بني إسرائيل
لم يحسبها بسوء . والضربة التي تشير إليها التوراة ، هي أن الله
قد أَمَات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بكر من حيوانهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هي في النص
العبري للتوراة : [מָסַח] بِاسْمِ . وهذا هو الفعل العبري
الذي أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربي ، وهي ليست من ذلك .

٦ ٤٣٥
نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما في القاموس
والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذال معجمة في آخره
كما في كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يَا رَبُّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى

وبك استعنتُ على الزَّمانِ المَوْذَى

مَالِي بَعَثَ إِلَى أَلْفِ بَعُوضَةٍ وَبَعَثَ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودٍ

انظر شرح القاموس .

- ٢ ٤٥٦ « يا أَحْمَدَ المَرْتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بـ « ابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بـ « أى صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر مع الهوامع (١ : ١٧٦) .
- ٧ ٤٨٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده في المختص (٩ : ١٠٢) وافتقر الرواية فيه .

مصر الجديدة في { أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦

كتبه

عبد الله محمد خير

أبواب الكتاب

صفحة

| | |
|-----|---|
| ٥ | القول في الذرة والنمل |
| ٣٦ | باب جملة القول في القرد والخنزير |
| ٦٠ | رجع القول إلى ذكر الخنزير |
| ١٠٧ | القول في الحيات |
| ١٢٠ | ومن أعاجيب الحيات |
| ٢٣٢ | أصوات خشاش الأرض |
| ٢٣٣ | باب من ضرب المثل للرجل اللداهية وللحي الممتع بالحية |
| ٢٩٢ | ما جاء في الحديث من الحيات |
| ٣١٠ | جملة القول في الظلم |
| ٣٢٠ | باب آخر وهو أعجب من الأول |
| ٣٣٥ | القول فيما اشتق له من البيض اسم |
| ٤٦١ | القول في النيران |
| ٤٦٣ | باب آخر |
